الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ في الأجوبة النجدية

الجزء الثاني

كتاب العقائد

(ص5) بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

قال شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب، قـدس الله روحـه: -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يستدل على وجـوب وجـوده ببـدائع له من الأفعـال، المـنزه في ذاتـه، وصـفاته، عن النظـائر والأمثـال، أنشأ الموجودات، فلا يعزب عن علمه مثقال، أحمده سبحانه و أشــكره، إذ هــدانا لــدين الإســلام، وأزاح عنا شــبه الزيغ والضلال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شـهادة موحد له في الغدو، والآصال 0

وأشهد: أن سيدنا محمدا عبـده ورسـوله، نـبي جاءنا بـدين قويم، فارتوينا مما جاءنا به، من عذب زلال؛ اللهم صـلِ على محمـد، وعلى آل محمـد، وأصـحابه الـذين هم خـير صـحب، وآل، وسلم تسليما 0

أما بعـد: فقد طلب مـني بعض الأصـدقاء، الـذين لا تنبغي مخالفتهم، أن أجمع مؤلفاً، يشتمل على مسائل أربع،

(ص6) وقواعد أربع، يتميز بهن المسلم، من المشرك 0

الأولى: أن الذي خلقنا، وصـورنا، لم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، معه كتـاب من ربنـا، فمن أطـاع فهو في الجنـة، ومن عصى، فهو في النار؛ والـدليل قوله تعـالى: (إنا أرسـلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعـون رسـولاً) [المزمل: 15] وقـال تعـالى: (ومن يطع الله ورسـوله يدخله جنــات تجــري من تحتها الأنهــار خالــدين فيها وذلك الفــوز

العظيم، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) [النساء: 13، 14] 0
الثانية: أنه سبحانه ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده، مخلصين له الدين، والدليل على ذلك، قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56] وقال: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)[البينة:5]

الثالثة: أنه إذا دخل الشرك في عبادتك، بطلت، ولم تقبل؛ وأن كل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك، والدليل قوله تعالى: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [الزمر: 65] وقال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً) [النساء: 116] وقال تعالى: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) [المائدة: 72]

(ص7)ـ ومن نوع هذا الشرك: أن يعتقد الإنسان في غير الله، من نجم، أو إنسان، أو نبي، أو صالح، أو كاهن، أو ساحر، أو نبات، أو حيوان، أو غير ذلك: أنه يقدر بذاته على جلب منفعة من دعاه، أو استغاث به، أو دفع مضرة، فقد قال الله تعالى: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) [فاطر: 2] وقال تعالى: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) [يونس: 107] 0

فإذا تبين في القلب: أنه عزَّ وجلَّ بهذه الصفة، وجب أن لا يستغاث إلا به، ولا يستعان إلا به، ولا يدعى إلا هو؛ ولذلك قال تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) [التوبة: 51] 0

وقال تعالى: موبخاً لأهل الكتاب، الذين يستغيثون بعيسى، وعزير، عليهما السلام لما أنزل الله عليهم القحط، والجوع: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم

الوســيلة أيهم أقــرب ويرجــون رحمته ويخــافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) [الإسراء: 56 – 57] 0

وقــال تعــالى لنبيه ﷺ: (قل إنما أنا بشر مثلكم يــوحى إليَّ إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجــوا لقــاء ربه فليعمل عملاً صـالحاً ولا يشـرك بعبـاده ربه أحـداً) [الكهـف: 110] وقـال تعالى: (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو (ص8)ـ كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسـني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) [الأعـراف: 188] 0

ومن نوع هذا الشـرك: التوكـل، والصـلاة، والنـذر، والـذبح لغير الله؛ فقد قـال الله تعـالى: (فاعبـده وتوكل عليـه) الآية [هود: 123] وقال تعالى: (وتوكل على الحي الذي لا يموت) [الفرقان: 58] وقال تعالى: (وعلى الله فليتوكل المؤمنـون) [التوبة: 51] وقال تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخــنزير وما أهل لغــير الله بــه) إلى قولــه: (وما ذبح علي النصــب) [المائــدة: 3] وقــال تعــالى: (فصـلِ لربك وانحـر) [الكوثر: 2] وقـال تعـالى: (قل إن صـلاتي ونسـكي ومحيـاي ومماتي لله رب العالمين) [الأنعام: 162] 0

ومن نوع هذا الشرك: تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل اللــه، واعتقــاد ذلــك، فقد قــال تعــالى: (اتخــذوا أحبــارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسـيح ابن مـريم وما أمـروا إلا ليعبــدوا إلهــاً واحــداً لا إله هو ســبحانه عما يشــركون) [التوبــة: 31] وقــال: عــدي بن حــاتم، يا رســول اللــه، ما عبــدوهم، فقــال رســول الله ﷺ: " أما أحلــوا لهم الحــرام فأطاعوهم ؟ وحرموا عليهم الحلال فأطـاعوهم ؟ قـال: بلى؛ قال: فتلك عبادتهم " 0

وأحبــارهم، ورهبــانهم: علمــاؤهم، وعبــادهم؛ وذلــك: أنهم اتخذوهم أرباباً، وهم لا يعتقدون ربــوبيتهم، بل يقولــون : ربنا وربهم اللــه، ولكنهم أطــاعوهم في تحليل ما حــرم اللــه، وتحــريم ما أحل اللــه، وجعل الله ذلك عبــادة، فمن أطــاع

إنساناً عالماً، أو عابداً، أو غـيره، في تحـريم ما أحل اللـه، أو تحليل ما حرم

(ص9)ـ الله، واعتقد ذلك بقلبـه، فقد اتخـذه ربـاً، كالـذين: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله 0

ومن ذلك: أن أناساً من المشركين، قالوا: يا محمد، الميتة من قتلها ؟ قال: الله؛ قالوا كيف تجعل قتلك أنت وأصـحابك حلالاً ؟ وقتل الله حراماً ؟ فنزل قوله تعالى: (ولا تأكلوا مما لم يـذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشـياطين ليوحـون إلى أوليـائهم ليجـادلوكم وإن أطعتمـوهم إنكم لمشـركون)، [الأنعام: 121] 0

ومن نوع هـذا الشـرك: الاعتكـاف على قبـور المشـهورين بالنبوة، أو الصحبة، أو الولاية، وشد الرحال إلى زيارتهـا، لأن الناس يعرفـون الرجل الصـالح، وبركتـه، ودعـاءه، فيعكفـون على قبره، ويقصدون ذلك؛ فتارة: يسألونه؛ وتـارة: يسـألون الله عنده؛ وتارة: يصلون ويدعون الله عند قبره 0

ولما كان هذا بـدء الشـرك، سد النـبي هـذا البـاب؛ ففي الصـحيحين، أنه قـال في مـرض موتـه: " لعن الله اليهـود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيـائهم مسـاجد " يحـذر ما صـنعوا، قـالت عائشـة: ولـولا ذلك لأبـرز قـبره، ولكن كـره أن يتخذ مسجداً 0

وقال: " لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ حيث كنتم، فإن صلاتكم تبلغني " وقال : " ولعن الله زائرات

(ص10)ـ القبـور، والمتخـذين عليها المسـاجد، والسـرج " وفي الموطأ عنه أنه قال: " اللهم لا تجعل قبري وثنـاً يعبد " 0

وفي صحيح مسلم، عن علي، قال: بعثني رسول الله أن لا أدع قـبراً مشـرفاً إلا سـويته، ولا أدع تمثـالاً إلا طمسـته؛ فأمر بمسح التماثيل من الصور، الممثلة على صورة الميت، والتمثال الشاخص، المشرفـ فوق قبره، فإن الشرك يحصل بهذا، أو بهذا 0

وبلغ عمر رضي الله عنه: أن قوماً يـذهبون إلى الشـجرة، التي بايع النبي أصحابه تحتها، فأمر بقطعها 0
وأرسل إليه أبو موسى: أنه ظهر بتستر: قبر دانيال وعنده مصحف، فيه أخبار ما سيكون، وفيه أخبار المسـلمين، وأنهم إذا جـدبوا، كشـفوا عن القـبر، فمطـروا، فأرسل إليه عمـر، يـأمره: أن يحفر في النهـار ثلاثة عشر قـبراً، ويدفنه بالليل بواحد منها، لئلا يعرفه الناس، فيفتتنون به 0
واتخاذ القبور مساجد: مما حرم الله ورسـوله، وإن لم يبن عليها مسجد، ولما كان اتخاذ القبور مساجد، وبناء المسـاجد عليها محرمـاً، لم يكن من ذلك شـيء، على عهد الصـحابة، والتابعين 0
وكـان الخليل عليه السـلام: في المغـارة الـتي دفن فيهـا، وهي مسدودة، لا أحد يدخلها، ولا تشد الصحابة الرحال إليـه، ولا إلى غيره من المقابر، ففي الصحيحين عنه
(ص11)ـ قـال: " لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مسـاجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هـذا " فكـان من يـأتي منهم إلى المسـجد الأقصـى، يصـلون فيـه، ثم يرجعون، لا يأتون مغارة الخليل، ولا غيرها، وكانت مسـدودة حتى استولى النصارى على الشام، في أواخر المائة الرابعة، وجعلوا ذلك مكان كنيسة، ولما فتح المسلمون البلاد: اتخـذه بعض الناس مسجداً، وأهل العلم ينكرون ذلك 0
وهـذه البقـاع، وأمثالهـا: لم يكن السـابقون الأولـون يقصدونها، ولا يزورونها، فإنها محل الشرك؛ ولهـذا توجد فيها الشياطين كثيراً، وقد رآهم غير واحد، على صـورة الإنسـان، يتلـون لهم رجال الغيب، فيظنـون أنهم رجـال من الإنس، غـائبون عن الأبصـار، وإنما هم جن، والجن يسـمون رجـالاً، قال تعالى: (وأنه كان رجـال من الإنس يعـوذون برجـال من الجن فزادوهم رهقاً) [الجن: 6] 0
وما حدث في الإسلام، من هذه الخرافات، وأمثالها: ينافي ما بعث الله به محمداً من كمـال التوحيـد، وإخلاص الـدين لله وحده، وسد أبواب الشرك، التى يفتحها الشيطان 0

ولهذا: يوجد من كان أبعد عن التوحيد، والإخلاص، ومعرفة الإسلام، أكثر تعظيماً لموضع الشرك؛ فالعارفون سنة محمد أولى بالتوحيد، والإخلاص، وأهل الجهل بذلك: أقرب إلى الشرك، والبدع؛ ولهذا يوجد في الرافضة أكثر مما يوجد في غيرهم؛ لأنهم أجهل من غيرهم، وأكثر شركاً،

(ص12)ـ وبدعاً؛ ولهذا: يعظمون المشاهد، ويخربون المساجد، فالمساجد لا يصلون فيها جمعة، ولا جماعة؛ وأما المشاهد: فيعظمونها، حتى يرون زيارتها أولى من الحج 0

وكلما كان الرجل: أتبع لدين محمد كان أكمل توحيداً لله وإخلاصاً لدينه؛ وإذا أبعد عن متابعته، نقص عن دينه بحسب ذلك؛ فإذا كثر بعده عنه: ظهر فيه من الشرك، والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه، لاتباع الرسول ، والله إنما أمر بالعبادة في المساجد، وذلك عمارتها، فقال تعالى: (إنما يعمر مساجد الله) [التوبة: 18] ولم يقل مشاهد الله، وأما نفس بناء المساجد، فيجوز أن يبنيه البر، والفاجر، وذلك بناء، كما قال : " من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة " 0

ثم كثير من المشاهد، أو أكثرها: كذب؛ كالذي بالقاهرة، على رأس الحسين رضي الله عنه، فإن الرأس: لم يحمل إلى هناك، وكذلك مشهد: علي، إنما حدث في دولة: بني بويه؛ قال الحافظ، وغيره: هو قبر المغيرة بن شعبة؛ وعلي: إنما دفن بقصر الإمارة بالكوفة؛ ودفن معاوية، بقصر الإمارة بدمشق؛ ودفن عمرو بن العاص، بقصر الإمارة بمصر، خوفاً عليهم إذا دفنوا في المقابر، أن تنبشهم الخوارج 0

المسألة الرابعة: أنه إذا كان عملك صواباً، ولم يكن خالصاً، لم يقبل؛ وإذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم

(ص13)ـ يقبل؛ فلا بدَّ: أن يكون خالصاً، على شريعة محمد ، ولذلك قال سبحانه، في علماء أهل الكتاب، وعبادهم، وقرائهم: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) [الكهف: 103 – 104] وقال تعالى: (وجوه يومئذٍ خاشعة،

عاملة ناصبة، تصلى نـاراً حاميـة) [الغاشـية: 2 – 4] وهـذه الآيات: ليست في أهل الكتاب خاصــة، بل كل من اجتهد في علم، أو عمل، أو قراءة، وليس موفقاً لشريعة محمد فهو: من الأخسرين أعمالاً، الـذين ذكـرهم الله تعـالى، في محكم كتابه العزيز، وإن كان له ذكـاء، وفطنـة، وفيه زهـد، وأخلاق، فهذا العذر: لا يوجب السعادة، والنجاة من العذاب، إلا باتبـاع الكتاب والسنة؛ وإنما قوة الذكاء، بمنزلة قـوة البـدن، وقـوة الإرادة، فالـذي يـؤتى فضـائل علميـة، وإرادة قويـة، وليس موافقاً للشريعة، بمنزلة من يؤتى: قوة في جسمه، وبدنه 0

وروي في صحيح البخـاري، عن أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنـه، قـال سـمعت رسـول الله يقـول: " يخـرج فيكم قوم، تحقرون صـلاتكم مع صـلاتهم، وصـيامكم مع صـيامهم، وعلمكم مع علمهم، يقـرؤون القـرآن، لا يجـاوز حنـاجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السـهم من الرميـة، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شـيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق " 0

(ص14)ـ وروى في صحيح البخاري، قـال سـمعت رسـول الله يقول: " يأتي في آخر الزمان، نـاس، حـدثاء الأسـنان، سفهاء الأحلام، يقولـون من قـول خـير البريـة، يمرقـون من الإسـلام، كما يمـرق السـهم من الرميـة، لا يجـاوز إيمـانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم، فاقتلوهم، فـإن في قتلهم أجـراً لمن قتلهم يـوم القيامة " وقـال رسـول الله : " يكـون في آخر الزمـان، رجـال كـذابون، يـأتون من الأحـاديث بما لم تسـمعوا أنتم، ولا آبـاؤكم، فإيـاكم وإيـاهم، لا يضـلونكم، ولا يفتنونكم " رواه أبو هريرة 0

وقـال رسـول الله : " ما من نـبي بعثه الله في أمة قبلي إلا له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسـنته، ويقتـدون بـأمره، ثم إنها تخلف من بعـدهم خلـوف، يقولـون ما لا يفعلـون، ويفعلـون ما لا يـؤمرون، فمن جاهـدهم بيـده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه

فهو مـؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمـان حبة خـردل " رواه ابن مسعود رضي الله عنه 0

وقال رسول الله : " لا تزال طائفة من أمتي، قائمة على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يـأتي الله بأمره وهم على ذلك " رواه معاوية رضي الله عنه، وقـال : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى " قيل: يا رسـول اللـه، ومن يأبى ؟ قـال: " من أطـاعنى دخل الجنـة، ومن عصـاني فقد أبى " رواه أبو هريرة رضي الله عنه،

(ص15)ـ وعن ابن عمــر، عن النــبي قــال: " لا يــؤمن أحدكم، حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " 0

وقد تـــبين: أن الـــواجب، طلب علم ما أنـــزل الله على رسوله من الكتـاب، والحكمـة، ومعرفة ما أراد بـذلك، كما كان عليه الصحابة، والتـابعون، ومن سـلك سـبيلهم، فكل ما يحتاج إليه الناس، فقد بينه الله، ورسوله، بياناً شـافياً كافيـاً، فكيف أصـــول التوحيـــد، والإيمـــان، ثم إذا عـــرف ما بينه الرسـول، نظر في أقـوال النـاس، وما أرادوا بهـا، فعرضت على الكتــاب، والســنة والعقل الصــريح، الــذي هو موافق للرسول، فإنه الميزان، مع الكتاب، فهذا سبيل الهدى 0

وأما سـبيل الضـلال، والبـدع، والجهـل، فعكسـه: أن تبـدع بدعة بأراء رجـال، وتـأويلاتهم، ثم تجعل ما جـاء به الرسـول، تبعـاً لهـا، و تحـرف ألفاظـه، وتأويلـه، على وفق ما أصـلوه، وهؤلاء تجـدهم في نفس الأمـر: لا يعتمـدون على ما جـاء به الرسول، ولا يتلقون منه الهدى، ولكن ما وافقهم منه قبلوه، وجعلـوه حجة لا عمـدة، وما خـالفهم منـه، تـأولوه؛ كالـذين يحرفون الكلم عن مواضـعه؛ أو فوضـوه، كالـذين لا يعلمـون الكتاب إلا أماني 0

وكثير منهم: إنما ينظر في تفسير القرآن، والحـديث، فيما يقوله، موافقة على المذهب؛ وكثـير منهم: لم يكن عمـدتهم في نفس الأمـر، اتبـاع نص أصـلاً، كالـذين ذكـرهم الله من اليهود: الذين يفترون على الله الكذب، وهم يعلمون؛

(ص16)ـ ثم جـاء من بعـدهم: من ظن صـدق ما افـترى أولئـك، وهم في شك منهم، كما قـال تعـالى: (وإن الـذين أورثوا الكتـاب من بعـدهم لفي شك منه مـريب) [الشـورى: 14] 0

ففي الصحيحين عنه " لتتبعن سنن من كان قبلكم، حـذو القذة بالقذة، حتى لو دخلـوا جحر ضب لـدخلتموه " قـالوا يا رسول الله اليهـود والنصـارى ؟ قـال: " فمن " ؟ فهـذا دليل على أن ما ذم الله به أهل الكتاب، يكون في هذه الأمة، من يشبههم فيه، هذا حق شوهد، قال الله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) [فصـلت: 53] فمن تـدبر ما أخبر الله به رسوله، رأى: أنه قد وقع من ذلك أمور كثيرة 0

ومن زاد في الدين بشيء، ما فعله الرسـول وليس عليه الصحابة، والتـابعون، فكأنما نقص؛ عن أنس رضي الله عنـه: أن رسول الله قال: " لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شـددوا على أنفسـهم، فشـدد الله عليهم، فتلك بقايـاهم في الصـوامع والـديار، رهبانية ابتـدعوها، ما كتبناها عليهم " وعن عائشة رضي الله عنهـا، عن النـبي قال: " ما بال قوم يتنزهون عن شـيء أصـنعه ؟! فوالله إني لأعلمهم، وأشدهم لله خشية " 0

وعن أنس بن مالك، قال: جاء ثلاثة رهط، إلى بيوت أزواج رسول الله يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا،

(ص17)ـ كأنهم تقالوها، قالوا: وأين نحن من النـبي ، وقد غفر له ما تقـدم من ذنبه وما تـأخر ؟ فقـال أحـدهم: أما أنا فأصلي الليل، ولا أرقد؛ وقـال أحـدهم: أنا أصـوم الـدهر، ولا أفطر؛ وقال الآخر: أنا أعتزل النساء، ولا أتزوج؛ فجاء النبي فقـال؛ " أنتم الـذين قلتم: كـذا، وكـذا ؟ أما واللـه، إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكـني: أصـوم، وأفطـر؛ وأصـلي، وأرقد؛ وأتزوج النساء، فمن رغب عن سـنتي، فليس مـني " رواه البخاري؛ وقال : " أنتم أعلم بـأمر دنيـاكم فخـذوا به " 0وعن عائشة: أن النبي تلا: (هو الـذي أنـزل عليك الكتـاب

منه آيـات محكمـات هن أم الكتـاب وأخر متشـابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعـون ما تشـابه منـه) [آل عمـران: 7] قـال : " إذا رأيتم الـذين يتبعـون المتشـابه، ويـتركون المحكم، فأولئك الذين سمى اللـه: أهل الزيـغ، فاحـذروهم "
وعن ابن عمر رضي الله عنهمـا، قـال: هـاجرت إلى رسـول الله فسمع صـوت رجلين اختلفا في آيـة، فخـرج في وجهه الغضب، فقال: " إنما هلك من كـان قبلكم، بكـثرة سـؤالهم، واختلافهم على أنبيـائهم، فـإذا أمـرتكم بشـيء، فـأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه " 0

وقال : " من أحيا سنة من سنتي، قد أميتت بعـدي، فـإن له من الأجر، مثل أجور من عمل بها، من غـير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن ابتدع بدعة، ضلالة، لا

(ص18)ـ يرضاها الله، ورسـوله، كـان عليه من الإثم، مثل آثـام من عمل بهـا، لا ينقص ذلك من أوزارهم شـيء " رواه بلال بن الحارث المـازني، رضي الله عنـه؛ وروى في صـحيح البخـاري، ومسـلم، عن عائشة قـالت: قـال رسـول الله : " من أحـــدث في أمرنا هـــذا ما ليس منه فهو رد " وروى عن عمر بن الخطــاب، رضي الله عنــه، أن رســول الله قــال لعائشة: " إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، أصحاب البـدع والأهواء من هذه الأمة " 0

وعن العربـاض بن سـارية، قـال: صـلى بنا رسـول الله الصـبح، فوعظنا موعظـة، وجلت منها القلـوب، وذرفت منها العيـون، وقـال قائـل: يا رسـول اللـه، كأنها موعظة مـودع، فأوصـنا؛ قـال " أوصـيكم بتقـوى اللـه، والسـمع والطاعة لأميركم، وإن حبشـياً، فإنه من يعش منكم، فسـيرى اختلافـاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإيـاكم ومحـدثات الأمـور، فـإن كل بدعة ضلالة " 0

وروي في سنن أبي داود، والترمذي؛ وقـال: حـديث حسن صـحيح؛ وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمـا، قـال: قــال رســول الله : " تفــرقت بنو إســرائيل على اثنــتين

وسبعين ملة، وستفترق هـذه الأمة على ثلاث وسـبعين ملـة، كلهم في النـار، إلا واحـدة " قـالوا من هي يا رسـول الله ؟ قال: " من عمل بما أنا عليه اليوم، وأصحابي " قال عبد الله
(ص19)ـ ابن مسـعود: إن أحسن الحـديث كتـاب اللـه، وأحسن الهـدي هـدي محمد ، وشر الأمـور محـدثاتها؛ رواه جابر مرفوعاً إلى رسول الله 0

وعن أبي المختـار الطـائي، عن ابن أخي الحـارث الأعـور، عن الحـارث الأعـور، قـال: مـررت بالمسـجد، فـإذا النـاس يخوضون في الأحـاديث، فـدخلت على علي رضي الله عنـه، فقلت: يا أمير المؤمـنين، ألا تـرى أن النـاس قد خاضـوا في الأحـاديث ؟ قـال: أو قد فعلوها ؟ قلت: نعم؛ قـال: فـإني سمعت رسول الله يقـول: ألا إنها سـتكون فتنـة، قلت فما المخرج يا رسول الله ؟ قـال: كتـاب اللـه، فيه نبأ ما قبلكم، وخـبر ما بعـدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بـالهزل، من تركه من جبار قصمه اللـه، ومن ابتغى الهـدى من غـيره أضله الله 0

وهو حبل الله المـتين، وهو الـذكر الحكيم، وهو الصـراط المسـتقيم، وهو الـذي لا تزيغ به الأهـواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الـرد، ولا تنقضي عجائبـه، وهو الـذي لم تنته الجن إذ سـمعته حـتى قالوا: (إنا سمعنا قرآناً عجباً، يهدي إلى الرشد) [الجن: 1 – 2] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هـدي إلى صراط مستقيم 0

قوله: لا تزيغ به الأهواء؛ يعنى: لا يصير بسببه مبتدعاً ضالاً؛ وقوله: لا تلتبس به الألسن؛ أي: لا يختلط به
(ص20)ـ غيره، بحيث يشبه، ويلتبس الحق بالباطـل؛ قـال تعالى: (وإنا له لحافظون)، [الحجر: 9] 0

وقـال : " إن الـدين بـدأ غريبـاً، وسـيعود غريبـاً كما بـدأ، فطوبى للغرباء، الـذين يصـلحون ما أفسد النـاس من بعـدى من سـنتي " رواه طلحة عن أبيه عن جـده؛ وقـال : " من تمسك بسنتي عند فساد أمتي، فله أجر مائة شهيد" رواه أبو

هريــرة؛ وعن أبي هريــرة عن النــبي : ": إنكم في زمن من ترك منكم عشر ما أمر الله به هلك، ثم يأتي زمان من عمل بعشر ما أمر الله به نجا " حديث غريب 0

وعن عبد الله بن مســعود، قــال: خط لنا رســول الله خطاً، ثم قال: " هذا سبيل الله " ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله وقال: " هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليـه، وقـرأ: (وأن هـذا صـراطي مسـتقيماً فـاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سـبيله ذلكم وصـاكم به لعلكم تتقون)

[الأنعام: 153] 0

وعن أبي هريرة، قال: قـال رسـول الله : " نـزل القـرآن على خمسة وجوه: حلال، وحرام؛ ومحكم، ومتشابه؛ وأمثال؛ فأحلوا الحلال؛ وحرمـوا الحـرام؛ واعملـوا بـالمحكم؛ وآمنـوا بالمتشـابه؛ واعتـبروا بالأمثـال " وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما، قال: قال رسـول الله : " الأمر ثلاثـة: أمر بين غيـه، فاجتنبه؛ وأمر بين رشده، فاتبعه؛ وأمر اختلف فيه، فكله إلى الله تعالى " 0

(ص21)ـ وفي الصحيحين عن أبي موسـى: عن النـبي " مثل المؤمن الذي يقرأ القـرآن، مثل الأترجـة، طعمها طيب، وريحها طيب؛ ومثل المــؤمن الــذي لا يقــرأ القــرآن، مثل التمرة، طعمها طيب، ولا ريح لها؛ ومثل المنافق الـذي يقـرأ القـــرآن، مثل الريحانـــة، ريحها طيب، وطعمها مـــر؛ ومثل المنافق الذي لا يقرأ القـرآن، مثل الحنظلـة، طعمها مـر، ولا ريح لها " فـبين: أن في الـذين يقـرؤون القـرآن، مؤمـنين، ومنافقين 0

وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين، هي: باتباع المرسلين؛ فمن المعلوم: أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسـلين، واتبعهم لذلك؛ فالعالمون بأقوالهم، وأفعالهم، المتبعـون لهـا، هم أهل الســعادة في كل زمــان ومكــان؛ وهم: الطائفة الناجيـة، من أهل كل ملـة؛ وهم: أهل السـنة والحـديث، من هذه الأمة 0

والرسـل: عليهم البلاغ المـبين؛ وقد بلغـوا البلاغ المـبين؛ وخاتم الرسل: محمد أنزل الله عليه كتابه، مصدقاً لما بين يديه من الكتـاب، ومهيمنـاً عليـه؛ فهـو: المهيمن على جميع الكتب؛ وقد بين أبين بلاغ وأتمه وأكملـه، وكـان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، بلغ: الرسالة، وأدى الأمانــة، وجاهد في الله حق جهــاده، وعبد الله حــتى أتــاه اليقين، فأسـعد الخلــق، وأعظمهم نعيمــاً، وأعلاهم درجــة: أعظمهم اتباعاً له؛ وموافقة علماً

(ص22) وعملاً؛ والله سبحانه وتعالى أعلم 0

وقال رحمه الله تعالى:

أصل دين الإسـلام، وقاعدتـه: أمـران؛ الأول: الأمر بعبـادة الله وحده لا شريك له؛ والتحريض على ذلك، والموالاة فيـه، وتكفـير من تركه 0 الثـاني: الإنـذار عن الشـرك في عبـادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله 0

والمخالفون في ذلك أنواع؛ فأشـدهم مخالفـة: من خـالف في الجميــع؛ ومن النــاس من عبد الله وحــده، ولم ينكر الشرك، ولم يعاد أهله: ومنهم: من عـاداهم، ولم يكفـرهم 0 ومنهم: من لم يحب التوحيـــــد، ولم يبغضه 0 ومنهم: من كفرهم، وزعم أنه مسـبة للصـالحين 0 ومنهم: من لم يبغض الشــرك، ولم يحبه 0 ومنهم: من لم يعــرف الشــرك، ولم ينكره 0 ومنهم: من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره 0

ومنهم: - وهو أشد الأنــواع خطــراً – من عمل بالتوحيــد، لكن لم يعـرف قـدره، ولم يبغض من تركـه، ولم يكفـرهم 0 ومنهم: من ترك الشرك، وكرهه، ولم يعرف قدره، ولم يعـاد أهله، ولم يكفرهم؛ وهؤلاء: قد خـالفوا ما جـاءت به الأنبيـاء، من دين الله سبحانه وتعالى، والله أعلم 0

(ص23) وله أيضاً: قدس الله روحه، ونور ضريحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أسـأل الله الكـريم، رب العـرش العظيم، أن يتـولاك في الدنيا والآخـرة، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شـكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الثلاث: عنوان السعادة 0

اعلم أرشـدك الله لطاعتـه: أن الحنيفية ملة إبـراهيم، أن تعبد الله مخلصـاً له الـدين، وبـذلك أمر الله جميع النـاس، وخلقهم لهـا، كما قـال تعـالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56] فإذا عرفت: أن الله خلقك لعبادته، فاعلم: أن العبـادة لا تسـمى عبـادة، إلا مع التوحيـد، كما أن الصلاة لا تسـمى صـلاة، إلا مع الطهـارة؛ فـإذا دخل الشـرك في العبادة، فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، كما قال تعالى: (ما كان للمشركين أن يعمروا مسـاجد الله شـاهدين على أنفسـهم بـالكفر أولئك حبطت أعمـالهم وفي النـار هم خالـدون) [التوبـة: 17] فـإذا عـرفت: أن الشـرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصـار صـاحبه من الخالـدين في النار؛ عرفت: أن أهم ما عليك معرفة ذلـك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشـرك باللـه، وذلك بمعرفة أربع قواعد، ذكرها الله في كتابه 0

(ص24)ـ القاعدة الأولى: أن الكفار الـذين قـاتلهم رسـول الله مقرون: أن الله هو الخالق، الرازق، المحـيي المميت، المدبر لجميع الأمور؛ ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، والـدليل قوله تعالى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصـار ومن يخـرج الحي من الميت ويخـرج الميت من الحي ومن يـدبر الأمر فسـيقولون الله فقل أفلا تتقـون) [يونس: 31] 0

القاعدة الثانيـة: أنهم يقولـون: ما دعونـاهم وتوجهنا إليهم، إلا لطلب القربــة، والشــفاعة، ونريد من الله لا منهم، لكن بشــفاعتهم، والتقــرب إلى الله بهم، فــدليل القربــة، قوله تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبـدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمـر: 3]، ودليل الشـفاعة، قوله تعـالى: (ويعبــدون من دون الله ما لا يضــرهم ولا ينفعهم ويقولــون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يونس: 18]0

والشـفاعة: شـفاعتان؛ شـفاعة: منفيـة؛ وشـفاعة مثبتـة؛ فالشـفاعة المنفيـة، هي الـتي تطلب من غـير اللـه، فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ والدليل قوله تعـالى: (يا أيها الـذين آمنـوا

أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يـأتي يـوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شـــفاعة والكـــافرون هم الظـــالمون) [البقـــرة: 254] والمثبتــة، هي: الــتي تطلب من اللــه، فيما لا يقــدر عليه إلا الله؛ والشافع: مكـرم بالشـفاعة؛ والمشـفوع لـه: من رضي الله قوله وعمله، بعد الإذن؛ والدليل قوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم

(ص25) لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الــذي يشـفع عنـده إلا بإذنــه) [البقـرة: 255] 0القاعدة الثالثة: أن النــبي ﷺ ظهر على أنـاس متفـرقين في عبـاداتهم؛ منهم: من يعبد الشـمس والقمـر؛ ومنهم من يعبد الملائكــة؛ ومنهم: من يعبد الأنبيــاء والصــالحين؛ ومنهم: من يعبد الأشـجار والأحجـار؛ وقـاتلهم رسـول الله ﷺ، ولم يفـرق بينهم؛ والـدليل قوله تعـالى: (وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتنة ويكون الدين كله لله) الآية [الأنفال: 39] 0

فـدليل الشــمس والقمــر، قوله تعـالى: (ومن آياته الليل والنهــار والشــمس والقمر لا تســجدوا للشــمس ولا للقمر واسـجدوا لله الـذي خلقهن إن كنتم إيـاه تعبـدون) [فصـلت: 37] ودليل الملائكة، قوله تعالى: (ويوم يحشرهم جميعــاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا سـبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنــون) [سبأ: 40 – 41] 0

ودليل الأنبيــاء، قوله تعــالى: (وإذ قــال الله يا عيسى ابن مـريم ءَأنت قلت للنـاس اتخـذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمتـه) [المائـدة: 116] وقولـه: (ولا يـأمركم أن تتخـذوا الملائكة والنبـيين أربابـاً أيـأمركم بـالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) [آل عمران: 80] ودليل الصالحين، قوله تعالى:

(ص26)ـ (قل ادعــوا الــذين زعمتم من دونه فلا يملكــون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) [الإسراء: 56] 0

ودليل الأشـجار، والأحجـار، قوله تعـالى: (أفـرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخـرى) [النجم: 19 – 20] وحـديث

أبي واقد الليـثي، قـال: خرجنا مع رسـول الله إلى حـنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة، يعكفـون عنـدها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنـا: يا رسـول اللـه، اجعل لنا ذات أنـواط، كما لهم ذات أنـواط؛ فقـال؛ رسـول الله : " الله أكـبر، إنها السـنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى "، (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، إن هـؤلاء متـبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) [الأعراف: 138 – 139] 0

القاعـدة الرابعـة: أن مشـركي زماننـا، أغلظ شـركاً من الأولين، لأن الأولين يخلصون لله في الشدة، ويشـركون في الرخاء؛ ومشركي زماننا: شركهم دائم، في الرخاء والشـدة؛ والـدليل قوله تعـالى: (فـإذا ركبـوا في الفلك دعـوا الله مخلصـين له الـدين فلما نجـاهم إلى الـبر إذا هم يشـركون) [العنكبـوت: 65] فعلى هـذا: الـداعي عابـد؛ والـدليل قوله تعالى: (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يسـتجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غـافلون) [الأحقـاف: 5] والله سـبحانه أعلم، وصـلى الله على محمـد، وعلى آله وصحبه وسلم 0

(ص27) وله أيضاً: رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعـد: فهـذه أربع قواعـد، ذكرها الله في محكم كتابـه، يعـرف بها الرجـل: شـهادة أن لا إله إلا اللـه، ويمـيز بها بين المسـلمين، والمشـركين؛ فتـدبرها، يرحمك اللـه؛ وأصغ إليها فهمك؛ فإنها عظيمة النفع 0

الأولى: أن الله ذكـر، أن الكفـار في زمن رسـول الله كانوا يقرون: أن الله الخـالق، الـرازق، لا يشـاركه في ذلـك، ملك مقـرب، ولا نـبي مرسـل؛ وأنه لا يـرزق إلا هـو؛ وأنه سبحانه منفرد بملك السـماوات والأرض؛ وأن جميع الأنبيـاء، والمرسلين: عبيد له، تحت قهره وأمنه 0

فـإذا فهم: أن هـذا مقر به الكفـار، ولا يجحدونـه، وسـألك بعض المشـركين، عن دليله ؟ فـاقرأ عليه قوله تعـالى، في حق الكفـــار: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمـــون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السـبع ورب العرش العظيم، سـيقولون لله قل أفلا تتقـون، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم

(ص28)ـ تعلمـون، سـيقولون لله قل فـأنَّى تسـحرون) [المؤمنون: 84 – 89] وقـال تعـالى: (قل من يـرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخـــــرج الميت من الحي ومن يـــــدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) [يونس: 31] 0

القاعـدة الثانيـة: أنهم يعتقـدون في الملائكـة، والأنبيـاء، والأولياء، لأجل قـربهم من الله تعـالى، قـال الله تعـالى، في الذين يعتقدون في الملائكة: (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قـالوا سـبحانك أنت ولينا من دونهم بل كـانوا يعبـدون الجن أكـثرهم بهم مؤمنـون) [سبأ: 40 – 41] وقال: في الذين يعتقدون في الأنبيـاء (ما المسيح ابن مـريم إلا رسـول قد خلت من قبله الرسل وأمه صـديقة كانا يـأكلان الطعـام انظر كيف نـبين لهم الآيـات ثم انظر أنَّى يؤفكون، قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً) [المائدة: 75 – 76] وقال في الذين يعتقدون في الأولياء: (أولئك الذين يدعون يبتغـون إلى ربهم الوسـيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته) [الإسراء: 57] 0

القاعـدة الثالثـة: وهي أن الله – العلي الأعلى – ذكر في كتابه، أن الكفـار ما دعـوا الصـالحين، إلا لطلب التقـرب من الله تعالى، وطلب الشـفاعة؛ وإلا فهم مقـرون بأنـه: لا يـدبر الأمر إلا الله كما تقـدم؛ فـإذا طلب المشـرك الـدليل على ذلـك، فـاقرأ عليه قوله تعـالى: (ويعبـدون من دون الله ما لا يضرهم

(ص29)ـ ولا ينفعهم ويقولـون هـؤلاء شـفعاؤنا عند اللـه) [يـونس: 18] وقـال: (والـذين اتخـذوا من دونه أوليـاء ما

نعبـــدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار) [الزمر: 3] فـإذا فهمت هـذه المسـألة، وتحققت: أن الكفـار عرفـوا ثلاث هـذه المسـائل، وأقـروا بهـا؛ الأولى: أنه لا يخلــق، ولا يرزق ولا يخفض، ولا يرفع، ولا يـدبر الأمـر، إلا الله وحـده، لا شريك لـه؛ الثانيـة: أنهم يتقربـون بالملائكـة، والأنبيـاء، لأجل قربهم من الله، وصلاحهم؛ والثالثة؛ أنهم معـترفون، أن النفع والضر، بيد الله ولكن الرجاء من الملائكة، والأنبياء، للتقــرب من الله، والشفاعة عنده 0

فتدبر هذا، تـدبراً جيـداً، واعرضه على نفسـك، سـاعة بعد سـاعة؛ فما أقل من يعرفــه، من أهل الأرض، خصوصــاً من يــدعى العلم ! فــإذا فهمت هــذا، ورأيت العجب، فــاعرف، وحقـق: المسـألة الرابعـة، وهي: أن الـذين في زمن رسـول الله لا يشركون دائماً، بل تـارة يشـركون، وتـارة يوحـدون، ويتركون دعاء الأنبيـاء، والشـياطين، فـإذا كـانوا في السـراء دعوهم، واعتقدوا فيهم؛ وإذا أصـابهم الضـر، والألم الشـديد، تركـــوهم، وأخلصـــوا لله الـــدين؛ وعرفـــوا: أن الأنبيـــاء، والصالحين، لا يملكون نفعاً، ولا ضراً.

فـإذا شك أحد في أن الكفـار الأولين، كـانوا يخلصـون لله بعض الأحيان، فاقرأ عليه قوله: (وإذا مسكم الضر في البحر (ص30)ـ ضل من تـدعون إلا إيـاه فلما نجـاكم إلى الـبر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً) [الإسـراء: 67] وقـال تعـالى: (وإذا مس الإنسـان ضر دعا ربه منيبـاً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنـداداً ليضل عن سـبيله قل تمتع بكفـرك قليلاً إنك من أصـحاب النـار) [الزمر: 8] 0

فهذا الـذي هو من أصـحاب النـار: يخلص الـدين لله تـارة، ويخلص للملائكة، والأنبياء تارة؛ وقال تعالى: (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغـير الله تـدعون إن كنتم صـادقين، بل إيـاه تـدعون فيكشف ما تـدعون إليه إن شـاء

وتنسون ما تشركون) [الأنعام: 40 – 41] وصلى الله على محمد، وآله، وصحبه، وسلم 0

(ص31)ـ وقال أيضاً: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، وإمام المتقين؛ سألت – رحمك الله – أن أكتب لك كلاماً، ينفعك الله به؟

فأول ما أوصيك به: الالتفات إلى ما جاء به محمد ﷺ من عند الله تبارك وتعالى، فإنه جاء من عند الله، بكل ما يحتاج إليه الناس، فلم يترك شيئاً يقربهم إلى الله، وإلى جنته، إلا أمرهم به، ولا شيئاً يبعدهم من الله، ويقربهم إلى عذابه، إلا نهاهم، وحذرهم عنه؛ فأقام الله الحجة على خلقه، إلى يوم القيامة؛ فليس لأحد حجة على الله، بعد بعثه محمداً ﷺ، قال الله عزَّ وجلَّ، فيه، وفي إخوانه من المرسلين: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) الآية [النساء: 163 – 165] 0

فأعظم ما جاء به من عند الله، وأول ما أمر الناس به:

(ص32)ـ توحيد الله، بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين له وحده، كما قال عزَّ وجلَّ: (يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبِّر) [المدثر: 1 – 3] ومعنى قوله: (وربك فكبِّر) أي؛ عظم ربك بالتوحيد، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له؛ وهذا قبل الأمر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغيرهن، من شعائر الإسلام؛ ومعنى: (قم فأنذر) أي: أنذر عن الشرك في عبادة الله وحده، لا شريك له؛ وهذا: قبل الإنذار عن الزنا، والسرقة، والربا، وظلم الناس، وغير ذلك من الذنوب الكبار 0

وهذا الأصل، هو: أعظم أصول الدين، وأفرضها، ولأجله خلق الله الخلق، كما قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56] ولأجله أرسل الله الرسل،

وأنزل الكتب، كما قال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل: 36] ولأجله تفرق الناس، بين مسلم، وكافر 0

فمن وافى الله يوم القيامة، وهو موحد، لا يشرك به شيئاً: دخل الجنة؛ ومن وافاه بالشرك: دخل النار، وإن كان من أعبد الناس، وهذا معنى قولك: لا إله إلا الله، فإن الإله، هو: الذي يدعى، ويرجى، لجلب الخير، ودفع الشر، ويخاف منه، ويتوكل عليه، فإذا عرفت هذا، فعليك – رحمك الله – بمعرفة: أربع قواعد؛ قلت: تقدم نحوها، فتركناها، خشية التكرار 0

(ص33) وقال أيضاً: رحمه الله تعالى:

هذه: أربع قواعد من قواعد الدين؛ يميز بهن المسلم، بين مذهب المسلمين، من مذهب المشركين 0

القاعدة الأولى: أن هؤلاء المشركين، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون: بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر – الضار، النافع؛ ولم ينفعهم إقرارهم، إذ لم يخلصوا الدعاء لله وحده؛ والدليل على ذلك، قوله تعالى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) [يونس: 31] وقوله تعالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله) إلى قوله: (فأنَّى تسحرون) [المؤمنون: 84 – 89] وقوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) [الزمر: 38] 0

وقال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما

(ص34)ـ من شرك وماله منهم من ظهير) [سبأ: 22] وقال تعالى: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من

قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) [فاطر: 13 – 14] وقال تعالى: (قل أرأيتم ما تـدعون من دون الله أروني مـاذا خلقـوا من الأرض أم لهم شـرك في السـموات) إلى قولـه: (وكانوا بعبادتهم كافرين) [الأحقاف: 4 – 6] 0

القاعدة الثانية: أن هؤلاء المشركين، الذين قاتلهم رسـول الله ما قصـدوا من قصـدوا بعبـادتهم، إلا لأجل التقـرب، والشفاعة منهم إلى الله، وأنه عـزَّ وجـلَّ: نـزه نفسه عن أن يتخذ من دونه ولي أو شفيع، بل أمرنا بـالإخلاص؛ وهـو: أن لا يجعل له واسطة؛ فلا نسـتغيث، ولا نسـتعين إلا بـه؛ والـدليل على ذلـك، قوله تعـالى: (والـذين اتخـذوا من دونه أوليـاء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي) [الزمر: 3] وقـال تعـالى: (ويعبـدون من دون الله ما لا يضـرهم ولا ينفعهم ويقولـون هـؤلاء شـفعاؤنا عند اللـه) [يـونس: 18] وقـال تعـالى: (أم اتخذوا من دون الله شـفعاء قل أولو كـانوا لا يملكـون شـيئاً ولا يعقلون، قل لله الشفاعة جميعاً) الآية [الزمر 43 – 44] 0

القاعدة الثالثة: أن رسـول الله أرسل إلى أنـاس، منهم: من يعبد الأصنام الجمادات، والسحرة، والكهنة، والشياطين؛ ومنهم: من يعبد الملائكة، والصالحين؛ فلم يفـرق بين الكـل، بل قاتلهم جميعاَ، ولا فرق بينهم، إلى أن

(ص35)ـ كـان الـدين كله للـه؛ والـدليل على ذلـك، قوله تعالى: (قل ادعوا الـذين زعمتم من دونه فلا يملكـون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغـون إلى ربهم الوسـيلة أيهم أقـرب ويرجـون رحمته ويخـافون عذابـه) [الإسراء: 56 – 57] وقال تعالى: (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا سـبحانك أنت ولينا من دونهم) [سـبأ: 40 – 41] وقـال تعـالى: (ويـوم نحشـرهم جميعـاً ثم نقـول للـذين أشـركوا مكـانكم أنتم وشـركاؤكم فزيلنا بينهم وقـال شـركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون) [يونس: 28] 0

القاعدة الرابعة: أن هؤلاء المشركين، الذين قاتلهم النبي ﷺ إذا أصابهم الضر، لم يجعلوا لله واسطة، بل يدعونه وحده، مخلصين له الدين، والدليل على ذلك، قوله تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) [العنكبوت: 65] وقوله تعالى: (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون) [الروم: 33] وقوله تعالى: (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) [لقمان: 32] وصلى الله على محمد 0

(ص36) وله أيضاً، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله: أن الحنيفية ملة إبراهيم، أن تعبد الله مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها، قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56] 0

فإذا عرفت: أن الله خلقك لعبادته؛ فاعلم؛ أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد؛ كما أن الصلاة: لا تسمى صلاة، إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة، فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، كما قال تعالى: (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) [التوبة: 17] 0

فمن دعا غير الله، طالباً منه، ما لا يقدر عليه إلا الله، من جلب خير، أو دفع ضر، فقد أشرك في عبادة الله، كما قال تعالى: (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) [الأحقاف: 5 – 6] وقال تعالى: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل

(ص37) خبير) [فاطر: 13 – 14] 0

فأخبر تبارك وتعالى: أن دعاء غير الله شرك، فمن قال: يا رسول الله؛ أو: يا عبد الله بن عبـاس؛ أو: يا عبد القـادر؛ أو: يا محجـوب؛ زاعمـاً أنه يقضي حاجته إلى الله تعـالى، أو أنه شفيعه عنده، أو وسيلته إليه، فهو الشرك الـذي يهـدر الـدم، ويـبيح المـال، إلا أن يتـوب من ذلـك، وكـذلك: من ذبح لغـير الله، أو نـذر لغـير اللـه، أو توكل على غـير اللـه، أو رجا غـير الله، أو التجأ إلى غير الله، أو استغاث بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو أيضاً: شرك 0

وما ذكرنا من أنواع الشرك، فهو: الذي قال الله فيــه: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشـرك بالله فقد افـترى إثمـاً عظيمـاً) [النسـاء: 48] وهـذا الــذي قاتل عليه رسـول الله مشــركي العــرب، وأمــرهم بإخلاص العبادة لله 0

ويتضــح: بمعرفة أربع قواعــد؛ أولهــا: أن تعلم أن الله هو الخـالق، الـرازق، المحـيي، المميت، الضـار، النـافع، المـدبر لجميع الأمــور؛ والــدليل على ذلــك، قوله تعــالى: (قل من يـرزقكم من السـماء والأرض أم من يملك السـمع والأبصـار ومن يخـــرج الحي من الميت ويخـــرج الميت من الحي ومن يـدبر الأمر فسـيقولون الله فقل أفلا تتقـون) [يـونس: 31] وقوله تعــالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمـــون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع

(ص38)ــ ورب العــرش العظيم، ســيقولون لله قل أفلا تتقـون، قل من بيـده ملكـوت كل شـيء وهو يجـير ولا يجـار عليه إن كنتم تعلمـون، سـيقولون لله قل فـأنى تسـحرون) [المؤمنون: 84 – 89] 0

إذا عرفت هذه القاعدة، وأنهم أقروا بهـذا، ثم توجهـوا إلى غير اللـه، فـاعرف: القاعـدة الثانيـة؛ وهي: أنهم يقولـون، ما توجهنا إليهم، ودعونـاهم، إلا لطلب الشـفاعة عند اللـه، نريد من الله لا منهم، لكن بشـفاعتهم؛ والـدليل على ذلـك، قوله تعــالى: (ويعبــدون من دون الله ما لا يضـــرهم ولا ينفعهم

ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنــبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعـالى عما يشـركون) [يونس: 18] وقوله تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) [الزمر: 3] 0

فإذا عرفت هذا، فاعرف: القاعـدة الثالثـة؛ وهي: أن منهم من تبرأ من الأصنام، وتعلق بالصالحين، مثل عيســى، وأمــه، والأولياء؛ قال الله فيمن اعتقد في عيسى وأمه: (ما المسيح ابن مـريم إلا رسـول قد خلت من قبله الرسل وأمه صـديقة كانا يأكلان الطعـام انظر كيف نـبين لهم الآيـات ثم انظر أنى يؤفكون، قل أتعبـدون من دون الله ما لا يملك لكم ضـراً ولا نفعـاً والله هو السـميع العليم) [المائـدة: 75 – 76] وقـال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)

(ص39) الآية[التوبــة: 31] وقــال تعــالى: (أولئك الــذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محـذوراً) [الإسـراء: 57] والرسول : قاتل من عبد الأصنام، ومن عبد الصـالحين، ولم يفرق بين أحد منهم، حتى كان الدين كله لله 0

القاعـــدة الرابعـــة؛ وهي: أن الأولين يخلصـــون لله في الشدائد، وينسون ما يشركون، كما قال تعـالى: (فـإذا ركبـوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجـاهم إلى الـبر إذا هم يشـركون) [العنكبـوت: 65] وأهل زماننـا: يخلصـون الدعاء في الشدائد لغير الله، فإذا عرفت هـذا، فـاعرف: أن شرك المشركين، الذين كانوا في زمـان رسـول الله أخف من شرك أهل زماننا، لأن أولئك: يخلصون لله في الشـدائد؛ وهؤلاء: يدعون مشـائخهم، في الشـدة، والرخـاء؛ والله أعلم 0

وله أيضاً، قدس الله روحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب: إلى من يصل إليه هـذا الكتـاب من المسلمين؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه، خصوصـاً: محمد بن عبيــد، وعبد القــادر العــديلي، وابنه وعبد الله بن سحيم، وعبد الله بن عضيب، وحميـدان بن تـركي؛ وعلي بن زامل، ومحمد أبا الخيل، وصالح بن عبد الله 0

(ص40)ـ أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى، أرسل محمـداً إلينا على حين فـترة من الرسـل، فهـدى الله به إلى الـدين الكامـل، والشـرع التـام، وأعظم ذلك وأكـبره وزبدتـه، هـو: إخلاص الـدين للـه، بعبادته وحـده لا شـريك لـه؛ والنهي عن الشــرك؛ وهــو: أن لا يــدعى أحد من دونــه، من الملائكــة، والنبيين، فضلاً عن غـيرهم؛ فمن ذلـك: أن لا يسـجد إلا للـه، ولا يركع إلا لــه؛ ولا يـدعى لكشف الضـر، إلا هـو، ولا لجلب الخير إلا هو، ولا ينذر إلا له، ولا يحلف إلا به، ولا يذبح إلا لــه، وجميع العبادة: لا تصلح إلا له؛ وحده لا شريك له، وهذا معنى قــول: لا إله إلا اللــه؛ فـإن المـألوه، هو المقصــود، المعتمد عليه؛ وهـذا أمر هين عند من لا يعرفـه، كبـير عظيم عند من عرفه، فمن عرف هذه المسألة، عرف: أن أكـثر الخلـق، قد لعب بهم الشـيطان، وزين لهم الشــرك باللــه، وأخرجه في قالب، حب الصالحين، وتعظيمهم 0

والكلام في هذا: ينبـني على قاعـدتين، عظيمـتين؛ الأولى: أن تعـرف أن الكفـار، الـذين قـاتلهم رسـول الله يعرفـون الله، ويعظمونه، ويحجون، ويعتمـرون؛ ويزعمـون: أنهم على دين إبراهيم الخليل؛ وأنهم يشهدون: أنه لا يخلق، ويرزق، ولا يدبر إلا الله، وحـده لا شـريك لـه؛ كما قـال تعـالى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض) [يونس: 31] 0

فإذا عرفت: أن الكفار يشهدون بهذا كله؛ فاعرف:

(ص41)ـ القاعـدة الثانيـة؛ وهي: أنهم يـدعون الصـالحين، مثل الملائكـة، وعيسـى، وعزيـر، وغـيرهم؛ وكل من ينتسب إلى شيء من هؤلاء، سماه إلهاً؛ ولا يعـني بـذلك، أنه يخلـق، أو يرزق؛ بل يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ ويقولــون: (ما

نعبـــدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمـــر: 3] والإله في لغتهم، هو الذي يسمى في لغتنا: فيه السر؛ والذي يسـمونه، الفقراء: شيخهم؛ يعنون بذلك: أنه يدعى، وينفع، ويضــر؛ وإلا فهم مقرون لله بالتفرد بـالخلق، والـرزق؛ وليس ذلك معـنى الإله، بل الإله المقصود: المدعو، المرجو 0

لكن: المشـركين في زماننـا، أضل من الكفـار، الـذين في زمن رســول الله ، من وجهين؛ أحـــدهما: أن الكفـــار، إنما يــدعون الأنبيــاء، والملائكــة، في الرخــاء؛ وأما في الشــدائد، فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: (وإذا مســكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) [الإسراء: 67] 0 والثاني: أن مشركي زماننا، يدعون أناساً، لا يوازنون: عيســى، والملائكة ! 0

إذا عـــــرفتم هــــــذا، فلا يخفي عليكم: ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر، عبادة الأصنام؛ هذا يأتي إلى قبر: نـبي؛ وهـذا إلى قــبر: صـحابي، كـالزبير، وطلحـة؛ وهـذا إلى قــبر: رجل صالح؛ وهذا يدعوه، في الضراء، وفي غيبتـه؛ وهـذا ينـذر لـه؛ وهــذا يــذبح: للجن؛ وهــذا يــدخل عليه من مضــرة الــدنيا، والآخرة؛ وهذا يسأله: خير الدنيا، والآخرة 0

(ص42)ـ فإن كنتم تعرفـون: أن هـذا الشـرك , من جنس عبـادة الأصـنام , الـذي يخـرج الرجل من الإسـلام , و قد ملأ البر , و البحر , و شاع , و ذاع , حـتى إن كثـيراً ممن يفعله , يقــوم الليل , و يصـــوم النهـــار , و ينتسب إلى الصـــلاح , و العبادة: فما بالكم , لم تفشوه في الناس ؟ و تـبينوا لهم: أن هذا كفر بالله , مخرج عن الإسلام 0

أرأيتم: لو أن بعض الناس , أو أهل بلدة , تزوجوا أخــواتهم , أو عمـاتهم , جهلاً منهم، أفيحل لمن يـؤمن بالله , و اليــوم الآخر , أن يـــتركهم ؟ لا يعلمهم أن الله حـــرم الأخـــوات , و العمات ؟ فـإن كنتم تعتقـدون: أن نكـاحهن أعظم مما يفعله الناس اليوم , عند قبـور الأوليـاء , و الصـحابة , و في غيبتهم عنها , فاعلموا: أنكم لم تعرفوا دين الإسلام , و لا شهادة أن لا إله إلا الله , و دليل هذا مما تقـدم من الآيـات , الـتي بينها

الله في كتابه , و إن عـرفتم ذلك , فكيـف: يحل لكم كتمـان ذلك , و الإعراض عنه ؟ و قد: (أخذ الله ميثـاق الـذين أوتـوا الكتاب لتبيننه للناس و لا تكتمونه)، [آل عمران: 187]0

فإن كان الاسـتدلال بـالقرآن عنـدكم: هـزوا , و جهلا , كما هي عـادتكم , و لا تقبلونه , فـانظروا في: الإقنـاع, في بـاب حكم المرتد، و ما ذكر فيه من الأمـور الهائلة , الـتي ذكر أن الإنسان إذا فعلها , فقد ارتد , و حل دمه , مثل: الاعتقاد في الأنبيـاء , و الصـالحين , و جعلهم: وسـائط بينه , و بين الله , ومثل: الطيران في الهوى , و المشي في المـاء , فـإذا كـان من

(ص43)ـ فعل هذه الأمور منكم , مثل: السائح , الأعـرج , و نحوه , تعتقدون: صلاحه , وولايته , و قد صرح في: الإقناع , بكفره؛ فاعلموا: أنكم لم تعرفوا معنى شهادة: أن لا إله إلا الله 0

فـإن بـان في كلامي هـذا شـيء من الغلو , من أن هـذه الأفاعيل , لو كانت حرامـاً، فلا تخـرج من الإسـلام، وأن فعل أهل زماننا في الشدائد، في البر، والبحر، وعند قبور الأنبياء، والصالحين: ليس من هذه؛ بينوا لنا الصـواب، وأرشـدونا إليه 0

و إن تبين لكم: أن هذا هو الحق , الـذي لا ريب فيـه؛ و أن الواجب , إشاعته في النـاس , و تعليمه النسـاء , و الرجـال؛ فرحم اللـه: من أدى الـواجب عليه , و تـاب إلى الله , و أقر على نفسـه؛ فـإن التـائب عن الـذنب , كمن لا ذنب لـه؛ و عسى الله: أن يهدينا و إيـاكم , و إخواننا , لما يجب و يرضى , و السلام.

و قال أيضاً: رحمه الله تعالى , بعد كلام له:

و أما النوعـ الثاني؛ فهو: الكلام في الشرك , و التوحيـد؛ و هو: المصـيبة العظمى , و الداهية الصـما؛ و الكلام على هـذا النوع , و الرد على هذا الجاهل: يتحمل مجلـداً , و كلامه فيه , كما قال ابن القيم رحمه الله: إذا قرأه المؤمن تارة يبكي , و تارة يضحك !!.

(ص44)ـ و لكن: أنبهك منه على كلمـتين؛ الأولى , قولـه: إنهما , نسبا من قبلهما , إلى الخروج من الإسلام , و الشرك الأكـبر؛ أفيظن: أن قـوم موسى , لما قـالوا: اجعل لنا إلهـاً , كما لهم آلهة , خرجــوا من الإســلام ؟ أفيظن: أن أصــحاب رسول الله لما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط؛ فحلف لهم: أن هذا مثل قول قوم موسـى: اجعل لنا إلهـاً , أنهم خرجـوا من الإسـلام ؟ أيظن: أن النـبي لما سـمعهم يحلفـون بآبـائهم , فنهــاهم و قــال: ((من حلف بغــير الله فقد أشــرك)) أنهم: خرجوا من الإسلام ؟ إلى غير ذلك من الأدلة التي لا تحصر , فلم يفرق بين الشرك , المخرج عن الملة , من غيره , و لم يفرق بين الجاهل , و المعاند 0

و الكلمة الثانية , قولــه: إن المشــرك لا يقــول: لا إله إلا اللــه؛ فيا عجبــاً من رجل يــدعى العلم , و جــاء من الشــام بحمل كتب , فلما تكلم: إذا أنه لا يعرف الإسـلام من الكفـر؛ و لا يعرف الفرق: بين أبي بكر الصـديق , رضي الله عنه , و بين: مسيلمة الكذاب.

أما علم: أن مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله , و أن محمداً رسول الله , و يصلي و يصــوم ؟! أما علم: أن غلاة الرافضة , الذين حــرقهم علي , رضي الله عنه , يقولونها ؟! و كــذلك الذين: يقذفون عائشة , و يكـذبون القـرآن؛ و كـذلك: الـذين يزعمـون أن جبرائيل غلــط؛ و غــير هــؤلاء , ممن أجمع أهل العلم على كفرهم؛ منهم: من ينتسب إلى الإسلام ,

(ص45) ومنهم: من لا ينتسب إليه , كــــــاليهود , و كلهم يقولــون: لا إله إلا اللـــه؛ و هــذا بين عند من له أقل معرفة بالإسلام , من أن يحتاج إلى تبيان 0

و إذا كان المشركون , لا يقولونها , فما معـنى: بـاب حكم المرتد ؟! الــذي ذكر الفقهــاء من كل مــذهب ؟ هل الــذين ذكرهم الفقهـاء، وجعلـوهم مرتـدين، لا يقولونها ؟ هل الـذي ذكر أهل العلم: أنه أكفر من اليهــود، والنصــارى ؟ وقـــال بعضـهم: من شك في كفر أتباعـه، فهو كـافر؛ وذكـرهم في الإقناع، في: باب حكم المرتد؛ وإمامهم: ابن عــربي، أيظنهم

لا يقولـــون: لا إله إلا الله ؟! لكن: هو أتى من الشـــام، وهم يعبــدون: ابن عـــربي؛ جــاعلين على قــبره صــنماً يعبدونــه، ولست أعني أهل الشام كلهم، حاشا وكلا؛ بل لا تزال طائفة على الحق، وإن قلَّت، واغتربت 0

لكن: العجب العجــاب؛ اســتدلاله: أن رســول الله دعى الناس إلى قول: لا إله إلا الله؛ ولم يطالبهم بمعناها، وكـذلك أصــحاب رســول الله ، فتحــوا بلاد الأعــاجم، وقنعــوا منهم بلفظها، إلى آخر كلامه؛ فهل يقول هذا الكلام: من يتصور ما يقول ؟! 0

فنقول، أولاً: هو الذي نقض كلامه، وكذبــه، بقولــه: دعــاهم إلى تــرك عبــاده الأوثــان، فــإذا كــان لم يقنع منهم إلا بــترك عبــــادة الأوثـــــان، تـــبين أن النطق بها لا ينفـــع، إلا بالعمل بمقتضاها، وهو: ترك الشرك، وهذا هو المطلوب؛ ونحن

(ص46)ـ إنما نهينا عن الأوثان، المجعولة على قبر الزبــير، وطلحة، وغيرهما، في الشام، وغيره 0

فــإن قلتم: ليس هــذا من الأوثــان، وإن دعــاء أهل القبــور، والاســتغاثة بهم في الشــدائد، ليست من الشــرك، مع كــون المشــركين الــذين في عهد رســول الله : يخلصــون لله في الشدائد، ولا يدعون أوثانهم، فهــذا: كفــر؛ وبيننا وبينكم: كلام العلماء، من الأولين، والآخرين، الحنابلة وغيرهم 0

وإن أقررتم: أن ذلك كفر، وشــرك، وتــبين أن قــول: لا إله إلا الله، لا ينفع إلا مع ترك الشرك، فهــذا هو المطلــوب، وهو الــذي نقــول، وهو الــذي أكــثرتم النكــير فيــه، وزعمتم أنه لا يخرج إلا من: خراسان؛ وهذا القول، كما في أمثال العامة: لا وجه سمح، ولا بنت رجال؛ لا أقــول صــواب، بل خطأ ظــاهر، وسب لدين الله؛ وهو أيضاً: متنــاقض، يكــذب بعضه بعضــاً، لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس 0

وأما دعواه: أن الصحابة لم يطلبوا من الأعــاجم، إلا مجــرد هذه الكلمة، ولم يعرفوهم بمعناها، فهــذا قــول: من لا يفــرق بين دين المرسـلين، ودين المنــافقين، الــذين هم في الــدرك الأســفل من النــار؛ فــإن المؤمــنين: يقولونهــا، والمنــافقين

يقولونهـــا، لكن المؤمـــنين: يقولونهـــا، مع معرفة قلـــوبهم بمعناها، وعمل جوارحهم، بمقتضاها، والمنـافقون، يقولونهـا، من غـــير فهم لمعناهـــا، ولا عمل بمقتضـــاها؛ فمن أعظم المصائب، وأكبر الجهل: من لا يعرف الفرق،

(ص47) بين الصحابة، والمنافقين 0

لكن هـذا: لا يعـرف النفـاق، ولا يظنه في أهل زماننـا؛ بل يظنه: في زمان رسول الله ، وأصحابه، وأما زمانـه: فصـلح بعد ذلك ! وإذا كـان زمانــه، وبلدانــه: يـنزهون عن البــدع، ومخرجها من أهل خراسـان، فكيف بالشـرك والنفـاق ؟! ويا ويح هـــذا القائـــل، ما أجـــرأه على الله ! وما أجهله بقـــدر الصحابة وعلمهم ! حيث ظن أنهم: لا يعلمون الناس معنى لا إله إلا الله 0

أما علم هـــذا الجاهـــل: أنهم يســـتدلون بها على مســـائل الفقه، فضلاً عن مسائل الشـرك؛ ففي الصـحيحين: أن عمر رضي الله عنـه، لما أشـكل عليه قتـال مـانعي الزكـاة، لأجل قوله : " أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا اللـه، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأمـوالهم، إلا بحقها " قـال أبو بكر: فإن الزكاة من حقها؛ فإذا كان منع الزكــاة، من منع حـق: لا إله إلا اللـه، فكيف بعبـادة القبـور ؟ والـذبح للجن ؟ ودعاء الأولياء ؟ وغيرهم، مما هو دين المشركين ؟!0

وصرح الشيخ تقي الدين، في: اقتضاء الصراط المستقيم، بأن من ذبح للجن، فالذبيحة حرام، من جهتين؛ من جهة: أنها مما أهل لغـير الله بـه؛ ومن جهـة: أنها ذبيحة مرتـد، فهي: كخـنزير مـات، من غـير ذكـاة؛ ويقـول؛ ولو سـمى الله عند ذبحها، إذا كـانت نيته ذبحها للجن، ورد على من قـال: إنه إن ذكر اسم الله، حل الأكل منها مع

(ص48) التحريم 0

وأما: ما سألت عنه، من قوله: اللهم صـلِّ على محمد إلى آخره؛ فهذه؛ المحامل التي ذكر، غير بعيـدة، لو كـان الإنكـار على الرجل الميت، الـــذي صـــنفها؛ والإنكـــار إنما هو على الخطباء، والعامة، الذين يسمعون؛ فإن كان يـزعم: أن عامة

أهل هـذه القـرى، كل رجل منهم يفهم هـذا التأويـل، فهـذا مكابرة؛ وإن كان يعرف: أنهم ما قصدوا إلا المعاني، الـتي لا تصلح إلا لله، لم يمنع من الإنكار عليهم، ولو تبين أنه شـرك؛ لكون الذي قالها أولاً، قصد معنى صحيحاً 0

كما لو أن رجلاً من أهل العلم؛ كتب إلى عاميـة، أن نكـاح الأخــوات حلال؛ ففهمــوا منه ظــاهره؛ وجعلــوا يــتزوجون أخواتهم، خاصتهم، وعامتهم؛ لم يمنع من الإنكـار عليهم، ولو تبين أن الله حرم نكاح الأخوات، لكـون القائل أراد الأخـوات في الـدين، كما قـال إبـراهيم – عليه السـلام – لسـارة: هي أخــتي؛ وهــذا واضح بحمد اللــه، ولكن: من انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه، انفتح له باب طويل عريض 0

(ص49) وله أيضاً، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهــاب: إلى من يصل إليه من علمــاء الإســلام، أنس الله بهم غربة الــدين، وأحيا بهم ســنة إمــام المتقين، ورسول رب العالمين، سلام عليكم معشر الإخوان، ورحمة الله وبركاته 0

أما بعد: فإنه قد جـرى عنـدنا فتنة عظيمـة، بسـبب أشـياء نهيت عنها بعض العــوام، من العــادات الــتي نشــؤوا عليهـا، وأخذها الصغير عن الكبير؛ مثل: عبادة غير الله، وتوابع ذلك، من تعظيم المشـاهد، وبنـاء القبـاب على القبـور، وعبادتهـا، واتخاذها مســاجد، وغــير ذلــك، مما بينه الله ورســوله غاية البيان، وأقام الحجة، وقطع المعذرة؛ ولكن الأمر كما قـال ﷺ: " بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدا " 0

فلما عظم العــوام: قطع عـاداتهم؛ وسـاعدهم على إنكـار دين الله: بعض من يـدعى العلم، وهو من أبعد النـاس عنه – إذ العالم من يخشى الله – فأرضى الناس بسخط الله؛ وفتح للعــوام بــاب الشــرك بالله، وزين لهم، وصـدهم عن إخلاص الــدين للــه؛ وأوهمهم: أنه من تنقيص الأنبيــاء، والصــالحين؛ وهــذا بعينــه، هو الــذي جـرى على رسـول الله ﷺ لما ذكر أن عيسى عليه السلام: عبد، مربوب، ليس له من الأمر شيء؛

(ص50)ـ قالت النصارى: إنه سب المسيح، وأمه؛ وهكذا قالت الرافضة: لمن عرف حقوق أصحاب رسول الله وأحبهم، ولم يغل فيهم، رموه: ببغض أهل بيت رسول الله 0

وهكذا هؤلاء، لما ذكرت لهم، ما ذكره الله ورسوله، وما ذكره أهل العلم، من جميع الطوائف، من الأمر بإخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا، في اتخاذ الأحبار، والرهبان، أرباباً من دون الله؛ قالوا لنا: تنقصتم الأنبياء، والصالحين، والأولياء؛ والله تعالى ناصر لدينه، ولو كره المشركون 0

وها أنا أذكر مستندي في ذلك، من كلام أهل العلم، من جميع الطوائف، فرحم الله من تدبرها بعين البصيرة، ثم نصر الله، ورسوله، وكتابه ودينه؛ ولم تأخذه في ذلك لومة لائم 0

فأما كلام الحنابلة، فقال الشيخ: تقي الدين، رحمه الله، لما ذكر حديث الخوارج: فإذا كان في زمن النبي ، وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام، من مرق منه، مع عبادته العظيمة، فيعلم: أن المنتسب إلى الإسلام، والسنة، قد يمرق أيضاً؛ وذلك بأمور، منها: الغلو، الذي ذمه الله تعالى؛ كالغلو في بعض المشائخ، كالشيخ عدي؛ بل الغلو في علي بن أبي طالب؛ بل الغلو في المسيح، ونحوه.

(ص51)ـ فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يدعوه من دون الله، بأن يقول: يا سيدي فلان: أغثني؛ أو أجرني؛ أو أنت حسبي؛ أو أنا في حسبك؛ فكل هذا شرك، وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل؛ فإن الله أرسل الرسل ليعبد وحده، لا يجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى، مثل الملائكة، أو المسيح، أو العزير، أو الصالحين، أو غيرهم، لم يكونوا يعتقدون: أنها تخلق وترزق؛ وإنما كانوا يدعونهم، يقولون: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل: تنهى أن يدعى أحد من دون الله، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة، انتهى 0

وقال في: الإقناع، في أول باب حكم المرتـد: إن من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، فهو: كافر إجماعاً 0

وأما كلام الحنفيـة، فقـال الشـيخ: قاسـم، في شـرح: درر البحار؛ النذر: الذي يقع من أكثر العـوام، بـأن يـأتي إلى قـبر بعض الصـلحاء، قـائلاً: يا سـيدي، إن رد غـائبي، أو عـوفي مريضي، أو قضيت حـاجتي: فلك من الـذهب، أو الطعـام، أو الشـمع، كـذا، وكـذا، باطل إجماعـاً، لوجـوه؛ منهـا: أن النـذر للمخلوق، لا يجوز؛ ومنها: أنه ظن الميت يتصرف في الأمـر، واعتقاد هذا: كفر؛ إلى أن قـال: وقد ابتلي النـاس بـذلك، ولا سيما في مولد الشيخ؛ أحمد البدوي0

(ص52)ـ وقال الإمام: البزازي، في فتاويـه: إذا رأى رقص صوفية، زماننا هذا، في المساجد، مختلطاً بهم جهال العوام، الـذين لا يعرفـون القـرآن، والحلال والحـرام؛ بل لا يعرفـون الإسـلام، والإيمـان، لهم نهيـق، يشـبه نهيق الحمـير، يقـول، هـؤلاء لا محالـة: اتخـذوا دينهم لهـواً ولعبـاً، فويل للقضـاة، والحكام، حيث لا يغيرون هذا، مع قدرتهم 0

وأمـا: كلام الشـافعية، فقـال الإمـام، محـدث الشـام: أبو شامية، في كتاب: الباعث على إنكار البدع والحـوادث – وهو في زمن الشارح، وابن حمدان – لكن نـبين من هـذا: ما وقع فيه جماعة من جهال العوام، النابذين لشريعة الإسـلام، وهو ما يفعله الطوائف، من المنتسبين إلى الفقـر، الـذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من مواخات النساء الأجانب، واعتقادهم في مشائخ لهم 0

وأطـال رحمه الله الكلام، إلى أن قـال: وبهـذه الطـرق، وأمثالهـا: كـان مبـادئ ظهـور الكفـر، من عبـادة الأصـنام، وغيرها؛ ومن هذا: ما قد عم الابتلاء به، من تـزيين الشـيطان للعامة، تخليق الحيطان، والعمد، وسـرج مواضع مخصوصـة، في كل بلـد، يحكى لهم حـاكٍ أنه رأى في منامه بهـا: أحـداً ممن شهر بالصـلاح ثم يعظم وقع تلك الأمـاكن في قلـوبهم، ويرجـون الشـفاء لمرضـاهم، وقضـاء حـوائجهم، بالنـذر لهـا،

وهي ما بين عيـون، وشـجر، وحائـط؛ وفي مدينـة: دمشـق، صانها الله من ذلك، مواضع متعددة 0

(ص53)ــ ثم ذكر – رحمه الله – الحــديث الصــحيح عن رسول الله لما قاله له بعض من معه: اجعل لنا ذات أنواط قـال: " الله أكـبر، قلتم والـذي نفس محمد بيـده، كما قـال قــــوم موسى اجعل لنا إلهـــــاً كما لهم آلهة " انتهى كلامه ورحمه الله 0

وقال في: اقتضاء الصراط المستقيم، إذا كان هذا كلامه في مجرد قصد شـجرة، لتعليق الأسـلحة، والعكـوف عنـدها، فكيف بما هو أعظم منها: الشرك بعينه، بالقبور ونحوها 0

وأمـا: كلام المالكيـة، فقـال أبو بكـر: الطرطوشـي، في كتاب: الحوادث والبدع، لما ذكر حديث الشجرة، ذات أنواط؛ فـانظروا رحمكم اللـه: أينما وجـدتم، سـدرة، أو شـجرة، يقصـدها النـاس، ويعظمـون من شـأنها، ويرجـون الـبرء، والشفاء لمرضاهم، من قبلها؛ فهي: ذات أنواط، فاقطعوهـا؛ وذكر حـديث العربـاض بن سـارية الصـحيح، وفيه قوله : " فإنه من يعش منكم فسـيرى اختلافـاً كثـيراً، فعليكم بسـنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين، عضـوا عليها بالنواجـذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة " 0

قال في البخاري، عن أبي الدرداء أنه قال: والله ما أعرف من أمر محمد شيئاً، إلا أنهم يصلون جميعـاً 0 وروى: مالـك، في الموطأ عن بعض الصحابة، أنه قال: ما أعرف

(ص54) شيئاً مما أدركت عليه الناس، إلا النداء بالصلاة 0

قـال الزهـري؛ دخلت على أنس، بدمشـق، وهو يبكي 0000 فقـال: ما أعـرف شـيئاً مما أدركت، إلا هـذه الصـلاة؛ وهـذه الصـلاة، قـد: ضـيعت؛ قـال الطرطوشي – رحمة اللـه؛ - فانظروا رحمكم الله: إذا كان في ذلك الزمن، طمس الحق، وظهر الباطل، حتى ما يعرف من الأمر القديم إلا القبلة؛ فما ظنك بزمانك هذا ؟! والله المستعان.

وليعلم الواقـف: على هـذا الكلام من أهل العلم – أعـزهم الله – أن الكلام في مسـألتين؛ الأولى: أن الله سـبحانه بعث

محمداً لإخلاص الدين لله، لا يجعل معه أحد، في العبادة، والتأله، لا ملك، ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك؛ وأن من عظّم الصالحين بالشرك بالله، فهو: يشبه النصارى؛ وعيسى عليه السلام: برئ منهم 0

والثانية: وجوب اتباع سنة رسول الله ، وترك البدع، وإن اشتهرت بين أكثر العوام؛ وليعلم: أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم، من تحقيق هذه المسائل، ونقل كلام العلماء؛ فرحم الله من نصر الله، ورسوله، ودينه، ولم تأخذه في الله: لومة لائم؛ والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله، وصحبه، وسلم 0

(ص55) وله أيضاً: رحمه الله تعالى، وعفا عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من يصل إليه من المسلمين، هدانا الله وإياهم لدينه القويم، وسلوك صراطه المستقيم، ورزقنا وإياهم ملة الخليلين: محمد، وإبراهيم؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته 0

أما بعد: قال الله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الأنفال: 39] وقال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) [آل عمران: 103] وقال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً) إلى قوله: (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الآية [الشورى: 13]ـ 0 فيجب على كل إنسان، يخاف الله، والنار: أن يتأمل كلام ربه الذي خلقه، هل يحصل لأحد من الناس، أن يدين الله بغير دين النبي ؟ لقوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى) الآية [النساء: 115]ـ 0 ودين النبي : التوحيد؛ وهو معرفة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ والعمل بمقتضاهما 0

(ص56) فإن قيل: كل الناس يقولونها؛ قيل: منهم من يقولها، ويحسب معناها، أنه لا يخلق إلا الله، ولا يرزق إلا الله، وأشباه ذلك؛ ومنهم: من لا يفهم معناها؛ ومنهم: من لا يعمل بمقتضاها؛ ومنهم: من لا يعقل حقيقتها؛ وأعجب من

ذلك: من عرفها من وجه، وعاداها، وأهلها من وجه؛وأعجب منه: من أحبها، وانتسب إلى أهلها، ولم يفرق بين أوليائها، وأعدائها، يا سبحان الله العظيم! تكون طائفتان، مختلفتين، في دين واحد، وكلهم على الحق! كلا، والله (فماذا بعد الحق إلا الضلال) [يونس: 32].

فإذا قيل: التوحيد زين، والدين حق، إلا التكفير، والقتال؛ قيل: اعملوا بالتوحيد، ودين الرسول، ويرتفع حكم: التكفير، والقتال، فإن كان حق التوحيد: الإقرار به، والإعراض عن أحكامه، فضلاً عن بغضه، ومعاداته، فهذا والله: عين الكفر، وصريحه؛ فمن أشكل عليه من ذلك شيء فليطالع سيرة محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه؛ والسلام عائد عليكم، كما بدا، ورحمة الله وبركاته.

(ص57) وله أيضاً: رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب، إلى: عبد الوهاب، بن عبد الله، بن عيسى؛ سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته:

وبعد: فنحمد إليكم الله، الذي لا إله إلا هو؛ وأبلغوا الوالد السلام، وفي نفسي عليه بعض الشيء، من جهة هذه المكاتيب، لما حبسها عنا، ظننا فيه الظن الجميل، ثم بعد ذلك، سمعنا: أنه أعطاها بعض السفهاء، يقرؤنها على الناس؛ وأنا أعتقد فيه المحبة؛ واعتقد أيضاً: أن له غاية، وعقلاً؛ وهو: صاحب إحسان علينا، فلا أود يعقبه بالأذى، ويكدر هذه المحبة، بلا منفعة في العاجل، والآجل.

وذكر أيضاً عنه: كلام يشوش الخاطر، فإن كان يرى: أن هذه ديانة، ويعتقده، من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فأنا ولله الحمد: لم آت الذي أتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته: إن أتاني منه، أو ممن دونه في هذا الأمر: كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يفارق.

(ص58)ـ الحــق؛ فــإن كــانت مكــاتيب أوليــاء الشــيطان، وزخرفة كلامهم، الــذي أوحى إليهم - ليجـادل في دين اللــه، لما رأى أن الله يريد أن يظهر دينه - غرته و أصــــــغت إليها أفئدتكم، فاذكروا لي حجـة، مما فيهـا، أو كلهـا، أو في غيرها من الكتب، مما تقـــدرون عليه أنتم، ومن وافقكم؛ فـــإن لم أجاوبه عنها، بجواب فاصل بين، يعلم كل من هـداه اللـه: أنه الحق؛ وأن تلك، هي الباطل، فانكروا علي.

وكذلك: عندي من الحجج الكثيرة الواضحة، ما لا تقـدرون، أنتم، ولا هم، أن تجيبــوا عن حجة واحــدة منهــا، وكيف لكم بملاقات جند الله ورسوله؛ وإن كنتم تزعمون: أن أهل العلم علي خلاف ما أنا عليه، فهذه كتبهم موجودة، ومن أشـهرهم، وأغلظهم كلاماَ: الإمام أحمد، وكلهم على هذا الأمر، لم يشذ منهم رجل واحـد، ولله الحمـد، ولم يـأتِ منهم كلمة واحـدة، أنهم أرخصوا لمن لم يعرف الكتاب، والسنة في أمركم هذا، فضلاً عن أن يوجبوه.

وإن زعمتم: أن المتـــأخرين معكم، فهـــؤلاء ســـادات المتأخرين، وقـادتهم: ابن تيميـة؛ و: ابن القيم؛ و: ابن رجب، عندنا له مصنف مستقل في هـذا؛ ومن الشـافعية: الـذهبي؛ وابن كثـير، وغـيرهم؛ وكلامهم في إنكـار هـذا: أكـثر من أن يحصر؛ وبعض كلام الإمـام أحمد ذكـره: ابن القيم رحمه الله في الطرق الحكمية، فراجعه؛ ومن أدلة شيخ

(ص59)ـ الإسـلام: (اتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابـاً من دون الله) [التوبة: 31] فسرها رسـول الله و الأئمة بعـده، بهـذا الـذي تسـمونه الفقـه، وهو الـذي سـماه الله شـركاً، واتخاذهم أرباباً، لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً.

والحاصـــل: أن من رزقه الله العلم، يعـــرف: أن هـــذه المكاتيب، التي أتتكم، وفرحتم بهـا، وقرأتموها على العامـة، من عند هـؤلاء الـذين تظنـون أنهم علمـاء، كما قـال تعـالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عـدوا شـياطين الإنس والجن يـوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) إلى قوله: (ولتصـغى إليه أفئدة الـذين لا يؤمنـون بـالآخرة) الآية [الأنعـام: 112 ـ

[113] لكن: هــذه الآيــات، ونحوها عنــدكم، من العلــوم المهجورة؛ بل: أعجب من هذا: أنكم لاتفهمون شـهادة: أن لا إله إلا الله، ولا تنكرون هـذه الأوثـان، الـتي تعبد في الخـرج، وغيره، التي هي الشـرك الأكـبر، بإجمـاع أهل العلم؛ وأنـا: لا أقول هذا وحدي.

وله أيضاً: رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب، إلى: نغيمش، وجميع الإخــوان؛ سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، وبعد: إن

(ص60) سألتم عنا ؟ فنحمد إليكم الله، الذي لا إله إلا هو، ونخــبركم: أنا بخــير، وعافيــة، أتمها الله علينا و عليكم، في الــدنيا و الآخــرة؛ وســرنا والحمد للَــه: ما بلغنا عنكم، من الأخبــار، من الاجتمــاع على الحــق، والاتبــاع لــدين محمد ﷺ، وهذا: هو أعظم النعم، المجموع لصاحبه، بين خيري الــدنيا و الآخرة، عسى الله: أن يوفقنا وإيـاكم لـذلك، ويرزقنا الثبـات عليه.

ولكن، يا إخــواني: لا تنســوا قــول الله تعــالى: (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصـبرون وكـان ربك بصـيرا) [الفرقـان: 20] وقوله: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولــوا آمنا وهم لا يفتنــون. ولقد فتنا الــذين من قبلهم فليعلمن الله الــذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) [العنكبوت: 2 - 3].

فـإذا تحققتم: أن من اتبع هـذا الـدين، لابـدَّ له من الفتنـة؛ فاصبروا قليلاً، ثم أبشـروا عن قليـل، بخـير الـدنيا و الآخـرة؛ واذكروا قول الله تعالى: (إنا لننصر رسلنا والـذين آمنـوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشـهاد) [غـافر: 51] وقولـه: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسـلين، إنهم لهم المنصـورون، وإن جندنا لهم الغالبون) [الصافات: 171 ـ 173] وقوله تعالى: إن الذين يحـادون الله ورسـوله أولئك في الأذلين، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) [المجادلة: 20 - 21].

(ص61) فـإن رزقكم الله الصـبر على هـذا، وصـرتم من الغربـاء، الـذين تمسـكوا بـدين اللـه، مع تـرك النـاس إيـاه،

فطوبى، ثم طوبى، إن كنتم ممن قال فيه نبيكم ﷺ: " بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء " قيل يا رسول الله، من الغرباء ؟ قال: " الذين يصلحون إذا فسد الناس " فيا لها من نعمة ! ويا لها من عظيمة ! جعلنا الله وإياكم من أتباع الرسول، وحشرنا تحت لوائه، وأوردنا حوضه، الذي يرده من تمسك بدينه في الدنيا؛ ثم أنتم في أمان الله، وحفظه، والسلام.

وله أيضاً: رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب، إلى أحمد بن يحيى، سلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

وبعد: ما ذكرت من قبل مراسلة سليمان، فلا ينبغي أنها تغضبك؛ أولاً: أنه لو خالف، فمثلك يحلم؛ ولا يأتي بغايته هذا، ولا أكثر منه؛ وثانياً: أنك إذا عرفت، أن كلامه ماله فيه قصد، إلا الجهد في الدين، ولو صار مخطأ فالأعمال بالنيات؛ والذي هذا مقصده: يغتفر له، ولو جهل عليك؛ ونحن: ملزمون عليك لزمةً جيدة؛ وربك، ونبيك، ودينك، لزمتهم لزمة: تتلاشى فيها كل لزمة؛ وهذه: الفتنة الواقعة،

(ص62) ليست في مسائل الفروع، التي مازال أهل العلم يختلفون فيها من غير نكير؛ ولكن هذه في شهادة أن: لا إله إلا الله، والكفر بالطاغوت.

ولا يخفاك: أن الذي عادانا في هذا الأمر، هم الخاصة، ليسوا بالعامة؛ هذا: ابن إسماعيل، والمويس، وابن عبيد، جاءتنا كتبهم: في إنكار دين الإسلام، الذي حكى في الإقناع، في باب حكم المرتد: الإجماع من كل المذاهب، أن من لم يدن به، فهو كافر؛ وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن، وما زادهم ذلك إلا نفوراً؛ وزعموا: أن أهل العارض، ارتدوا، لما عرفوا شيئاً من التوحيد ! وأنت تفهم: أن هذا لا يسعك، الإكتفاء بغيرك فيه، فالواجب عليك: نصر أخيك، ظالماً، أو مظلوماً.

وإن تفضل الله عليك: بفهم، ومعرفة، فلا تعذر، لا عند الله، ولا عند خلقه، من الدخول في هذا الأمر؛ فإن كان الصواب معنا، فالواجب عليك: الدعوة إلى الله، وعداوة من صرح بسب دين الله، ورسوله؛ وإن كان الصواب معهم، أو معنا شيء من الحق، وشيء من الباطل؛ أو معنا غلو في بعض الأمور فالواجب منك: مذاكرتنا، ونصيحتنا، وترينا عبارات أهل العلم، لعل الله أن يردنا بك إلى الحق؛ وإن كان إذا حررت المسألة، إذا أنها من مسائل الإختلاف، وأن فيها خلافاً عند الحنفية، أو الشافعية، أو المالكية، فتلك مسألة أخرى.

(ص63)ـ و بالجملة: فالأمر عظيم، ولا نعذرك من تأمل كلامنا، وكلامهم، ثم تعرضه على كلام أهل العلم، ثم تبين في الدعوة إلى الحق، وعداوة من حاد الله ورسوله، منا أو من غيرنا، والسلام.

وسئل الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى.

قال السائل: ما يقول الشيخ، شرح الله له صدره، ويسر له أمره، في مسائل أشكلت عليَّ، فيما يجب علينا من معرفة الله، إذا كان موجب الإلهية، الربوبية، وأراك قليل التعريج عليها، عند تقرير الإلهية ؟.

ويشكل عليَّ أيضاً: كون مشركي العرب، أقروا به؛ هل يكون من غير معرفة لوضوحه ؟ أم توغلوا في التقليد، ولم يلتفتوا للحقيقة الموجبة للعبادة ؟ أم زعمهم: أن هذا شيء يرضاه الرب ؟ أم كيف الحال ؟.

أيضاً: كلمة التوحيد، كونها محتوية على جميع الدين، من إنزال الكتب، وإرسال الرسل، وأنها نافية جميع المقصودات، المسماة بالآلهة الباطلة، إذ حدها القصد، فتسمى بذلك من غير استحقاق، لأنها: مخلوقة مربوبة مقهورة، والواحد في القصد، هو: الواحد في الخلق؛ وإن تكلم الناس في معناها و عملها، وأن ألفاظها مجردة من غير معرفة لا يفيد شيئاً، لكن نظرت في حديث الشفاعة الكبرى،

(ص64)ـ عند قوله سبحانه: (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) [الإسراء: 79] وإخراجه العصاة من أمته بإذن ربه، حتى قال: " أذن لي فيمن قال لا إله إلا الله " هذا مشكل علي جداً، وقاصر فهمي عن معرفته، إذا كان كلمة التوحيد هي الغاية، وتقييدها بالمعرفة مع العمل، وإخراجه من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان؛ فأنت – جزاك الله خيراً – بين لي معنى هذا الكلام، لا أضل ولا أضل 0

وأخبرك: أني غافل عن الفهم في الربوبية، ما فهمي بجيد في الإلهية، فحين بان لي شيء من معرفتها، واتضح لي بعض المعرفة في الإلهية بضرب المثل: إن فيصل ما استعبد لعريعر، إلا لأجل كبر ملك عريعر، مع أنه قبيل له، وأظن غالب الناس كذلك، وفيهم من لا يرى الربوبية، ولا يعتبرها، أو يتهاون بها، وهذا تسمعه من بعضهم، فجزاك الله خيراً، صرح بالجواب 0

فأجاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى الأخ؛ حسن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: سرني ما ذكرت من الإشكال، وانصرافك إلى الفكرة في توحيد الربوبية، ولا يخفاك: أن التفصيل يحتاج إلى أطول، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فأما توحيد الربوبية، فهو: الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه، كما قال تعالى، فيمن أقر بمسألة منه: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى

(ص65) يؤفكون) [الزخرف: 87] 0

ومما يوضح لك الأمر: أن التوكل من نتائجه، والتوكل من أعلى مقامات الدين، ودرجات المؤمنين؛ وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، كما قال تعالى: (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه) [الزمر: 8] وأما عبادته سبحانه بالإخلاص دائماً، في الشدة والرخاء، فلا يعرفونها وهي نتيجة الآلهية، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالكتب، والرسل وغير ذلك؛ وأما الصبر والرضا، والتسليم والتوكيل، والإنابة، والتفويض، والمحبة،

والخوف، والرخاء، فمن نتائج توحيد الربوبيـة، وكـذلك توحيد الإلهية، هو: أشهر نتائج توحيد الربوبية؛ وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر، لا بالمطالعة، وفهم العبارة 0

وأما الفرق بينهما: فإن أفرد أحدهما مثل قوله: (إن الـذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) [فصلت: 30] فهو توحيد الإلهية؛ وكذلك إذا أفرد توحيد الإلهية، مثل قوله: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) [محمد: 19] وأمثال ذلك؛ فإن قرن بينهما فسـرت كل لفظة بأشهر معانيها، كالفقير، والمسكين 0

وأما ما ذكـرت من أهل الجاهليـة: كيف لم يعرفـوا الإلهية إذا أقـروا بالربوبية ؟ هل هو كـذا ؟ أو كـذا ؟ أو غـير ذلك ؟ فهو: لمجموع ما ذكرت، وغيره 0

وأعجب من ذلك: ما رأيت، وسمعت، ممن يدعى أنه أعلم الناس، ويفسر القرآن، ويشرح الحديث بمجلدات، ثم

(ص66)ـ يشرح البردة ويستحسـنها، ويـذكر في تفسـيره، وشرحه للحديث: أنه شرك ! ويمـوت ما عـرف ما خـرج من رأسه ! هـذا: هو العجب العجـاب؛ أعجب بكثـير من نـاس لا كتاب لهم، ولا يعرفون جنة، ولا ناراً، ولا رسولاً، ولا إلهاً؛ وأما كون: لا إله إلا الله، تجمع الـدين كلـه، وإخـراج من قالها من النار، إذا كان في قلبه أدنى مثقال ذرة، فلا إشكال في ذلك.

وسر المسـألة: أن الإيمـان يتجـزأ، ولا يلـزم إذا ذهب بعضه أن يذهب كله، بل هذا مذهب الخـوارج، فالـذي يقـول: الأعمال كلها، من: لا إله إلا الله، فقوله الحق، و الذي يقول: يخرج من النار من قالها، وفي قلبه من الإيمـان مثقـال ذرة، فقوله الحق، السبب مما ذكـرت لـك، من التجـزي، وبسـبب الغفلة عن التجـزي: غلط أبو حنيفـة، وأصـحابه في زعمهم، أن الأعمال ليست من الإيمان، والسلام وله أيضاً: قدس الله روحه، ونور ضريحه.

بسم الله الـــرحمن الـــرحيم، وبه نسـتعين الحمد لله وكفي، وسلام على عباده الذين اصطفي.

أما بعـد: فـاعلم رحمك اللـه، أن الله تعـالى خلق الخلق ليعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، قـال تعـالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56] والعبادة هي:

(ص67)ـ التوحيـد، لأن الخصـومة بين الأنبيـاء والأمم فيـه، كما قـال تعـالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسـولاً أن اعبـدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل: 36].

والتوحيد: ثلاثة أصول؛ توحيد الربوبيـة، وتوحيد الألوهيـة، وتوحيد الذات، والأسماء، والصفات.

الأصل الأول: توحيد الربوبيـــة، وهـــو: الـــذي أقر به المشركون في زمن رسـول الله ﷺ، ولا أدخلهم في الإسـلام، وقـاتلهم رسـول الله ﷺ، واسـتحل دمـاءهم، وأمـوالهم، وهـو: توحيد الله بفعلـــه، والـــدليل عليـــه، قوله تعـــالى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخــرج الحي من الميت ويخــرج الميت من الحي ومن يــدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) [يـونس: 31] وقولـه: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمــون، ســيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العــرش العظيم، سيقولون لله قل أفلا تتقون، قل من بيــده ملكــوت كل شـــيء وهو يجـــير ولا يجـــار عليه إن كنتم تعلمـــون، سيقولون لله قل فـأنى تسـحرون) [المؤمنـون: 84 – 89] والآيات على هذا كثيرة جداً، أكثر من أن تحصر، وأشــهر من أن تذكر.

والأصل الثــاني: وهو توحيد الألوهيــة، فهو الــذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالـــدعاء، والرجـــاء، والخـــوف، والخشـــية، والاســـتعانة، والاستعاذة، والمحبة، والإنابة، والنذر،

(ص68)ـ والذبح، والرغبة، والخشـوع، والتـذلل، والتعظيم، فـدليل الـدعاء، قوله تعـالى: (وقـال ربكم ادعـوني أسـتجب لكم) الآية [غافر: 60] وكل نوع من هـذه الأنـواع، عليه دليل من القرآن.

وأصل العبـادة تجريد الإخلاص لله تعـالى وحـده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، قال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تـدعوا مع الله أحـــدا) [الجن: 18] وقوله تعـــالى: (فـــآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) [الأعراف: 158] (وما أرسـلنا من قبلك من رسـول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبيـاء: 25] وقوله تعالى: (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يسـتجيبون لهم بشـيء) إلى قولـه: (وما دعـاء الكـافرين إلا في ضـلال) [الرعد: 14] وقوله: (ذلك بـأن الله هو الحق وأن ما يـدعون من دونه هو الباطـل) [الحج: 62] وقوله تعـالى: (وما آتـاكم الرسول فخذوه وما نهـاكم عنه فـانتهوا) [الحشـر: 7] وقوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فـاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) [آل عمران: 31].

الأصل الثالث: وهو توحيد الذات، والأسماء والصـفات، كما قال تعالى: (قل هو الله أحد، الله الصـمد، لم يلد ولم يولـد، ولم يكن له كفـــواً أحـــد) [الإخلاص]. وقوله تعـــالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين

(ص69) يلحدون في أسمائه سـيجزون ما كـانوا يعملـون) [الأعــراف: 180] وقــال تعــالى: (ليس كمثله شـــيء وهو السميع البصير) [الشورى: 11].

واعلم: أن ضد التوحيد الشـــرك؛ وهو ثلاثة أنــواع: شـــرك أكبر؛ وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشرك الأكـبر، قوله تعـالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً) [النسـاء: 116] وقوله تعـالى: (وقـال المســيح يا بــني إســرائيل اعبــدوا الله ربي وربكم إنه من يشـــرك بالله فقد حـــرم الله عليه الجنة ومـــأواه النـــار وما للظالمين من أنصار) [المائدة: 72].

وهو: أربعة أنواع.

النـوع الأول: شـرك الـدعوة، والـدليل عليـه، قوله تعـالى: (فـإذا ركبـوا في الفلك دعـوا الله مخلصـين له الـدين فلما

نجـــاهم إلى الـــبر إذا هم يشـــركون، ليكفـــروا بما آتينـــاهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) [العنكبوت 65 – 66] 0

النوع الثاني: شرك النيـة، وهى: الإرادة والقصـد، والـدليل عليه، قوله تعالى: (من كان يريد الحيـاة الـدنيا وزينتها نـوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسـون، أولئك الـذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كـانوا يعملون) [هود: 15 – 16].

(ص70)ـ النوع الثالث: شرك الطاعـة، والـدليل عليه قوله تعـــالى: (اتخـــذوا أحبـــارهم ورهبـــانهم أربابـــاً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحـــداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) [التوبـة: 31] وتفسـيرها الـذي لا إشـكال فيـه، هـو: طاعة العلمـاء والعبـاد، في معصـية الله سبحانه، لادعاؤهم إياهم، كما فسرها رسول الله لعـدي بن حـاتم، لما سـأله فقـال لسـنا نعبـدهم فـذكر له أن عبـادتهم طاعتهم في المعصية.

النـوع الرابـع: شـرك المحبـة، والـدليل عليه قوله تعـالى: (ومن النـــاس من يتخذ من دون الله أنـــداداً يحبـــونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العـذاب أن القـوة لله جميعـاً وأن الله شـديد العـذاب) إلى قوله: (وما هم بخارجين من النار) [البقرة: 165: 167] 0

والنـوع الثـاني: شـرك أصـغر، وهو الريـاء، والـدليل عليـه، قوله تعالى: (فمن كـان يرجو لقـاء ربه فليعمل عملاً صـالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) [الكهف: 110].

والنوع الثالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله " الشـرك في هذه الأمة أخفي، من دبيب النمل على الصـفاة السـوداء في ظلمة الليـــل" وكفارته قوله : " اللهم إن أعـــوذ بك أن أشـرك بك شـيئاً وأنا أعلم، وأسـتغفرك من الـذنب الـذي لا أعلم ".

والكفر: كفران؛ كفر يخرج من الملة، وهو خمسة أنواع.

(ص71)ـ النوع الأول: كفر التكـذيب، والـدليل عليـه، قوله تعـــالى: (ومن أظلم ممن افـــترى على الله كـــذباً أو كـــذب

بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) [العنكبوت: 68] 0

النوع الثاني: كفر الاستكبار، والإباء مع التصديق؛ والدليل عليه، قوله: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) [البقرة: 34] 0

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه، قوله تعالى:)ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) [الكهف: 35 –37] 0

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل عليه قوله تعالى: (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) [الأحقاف: 3] 0

النوع الخامس: كفر النفاق، الدليل عليه، قوله تعالى: (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) [المنافقون: 3]، وكفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو: كفر النعمة؛ والدليل عليه، قوله تعالى: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله) [النحل: 112] وقوله: (إن الإنسان لظلوم كفار) [إبراهيم: 34]

(ص72)ـ وأما النفاق، فهو: نوعان، نفاق اعتقادي، ونفاق عملي.

فأما الإعتقادي فهو: ستة أنواع، تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول؛ فهذه الأنواع الستة، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله من الشقاق والنفاق 0

وأما النفاق العملي، فهو: خمسة أنواع، إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد

أخلف؛ والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كبيراً.

وسئل أيضاً: رحمه الله تعالى، عن توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الصفات ؟

فأجاب: توحيد الربوبية: هو الذي أقر به الكفار كما في قوله تعالى: (قل من يرزقكم من السماء و الأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن بخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) [يونس: 31]0

وأما توحيد الألوهية، فهو: إخلاص العبادة لله وحده من

(ص73) جميع الخلق؛ لأن الإله في كلام العرب، هو الذي يقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى، مثل الصالحين، والملائكة، وغيرهم؛ يقولون: إن الله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده.

فإذا عرفت هذا، معرفة جيدة: تبين لك غربة الدين؛ وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية، على بطلان مذهبهم، لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة، فكيف يدعونه، ويدعون معه غيره، مع إقرارهم بهذا 0

وأما توحيد الصفات: فلا يستقيم توحيد الربوبية، ولا توحيد الألوهية، إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار: أعقل ممن أنكر الصفات، والله أعلم 0

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

أصل الحنيفية: عبادة الله وحده لا شريك له، وتجنب الشرك، كما قال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) [النساء: 36] ومغلظ الكفر: الكبر، والشرك؛ فإن كان الإنسان ما عبد الله، فهو مستكبر، مثل ما يقع من غالب البدو، من التهزى بالوضوء، والصلاة؛ فإن كان عبد الله، وعبد معه غيره، فهو مشرك، مثل ما يقع من كثير من العباد، مثل النصارى، وجنسهم، ولكن فيهم رقة

فإذا عرفت هذا، وعرفت ما جرى من النبي من سد

(ص74)ـ الـذرائع، مثل كونه نهى عن الصـلاة عند طلـوع الشمس، وعند غروبها، ونهى المصلي أن لا يصـمد للسـترة، وألا يسـتقبل النـار، ونهى المـأمومين عن القيـام، إذا صـلى الإمام جالساً، وأمرهم بالجلوس وغير ذلك 0

فـإذا عـرف الإنسـان: أنه أمر بـالجلوس إذا جلس الإمـام، والإخلال بـــالركن، لأجل المشــــابهة، لما يفعله الكفـــار لعظمائهم، ونظر لما يجـري من النـاس من التكـبر، والقيـام والخضوع، وغير ذلك، عرف نفسه، وعرف ربـه، وما يجب له من الحقوق، لعله واقع في شيء من هذا 0

وعرف: أن النبي ﷺ ما ترك شـيئاً ينفع أمته إلا أمـرهم بـه، ولا شيئاً يضرهم إلا نهاهم عنه، وكذلك كونه يعـرف أن أصل الشرك الإعتقاد في الصالحين، وغـيرهم، وهـو: الـذي فـارق النبي ﷺ قومه، وقاتلهم عنده 0

وقال رحمه الله تعالى:

إذا أمر الله العبد بـأمر، وجب عليه فيـه: سـبع مـراتب؛ الأولى: العلم به؛ الثانية: محبته؛ الثالثـة: العـزم على الفعـل؛ الرابعة: العمـل؛ الخامسـة: كونه يقع على المشـروع خالصـاً صـواباً؛ السادسـة: التحـذير من فعل ما يحبطـه؛ السـابعة: الثبات عليه 0

إذا عـــرف الإنســـان: أن الله أمر بالتوحيـــد، ونهى عن الشرك؛ أو عرف: أن الله أحل البيع 0 وحرم الربا؛ أو

(ص75)ـ عرف: أن الله حرم أكل مال اليـتيم، وأحل لوليه أن يأكل بـــالمعروف، إن كـــان فقـــيراً، وجب عليه أن يعلم المـأمور به ويسـأل عنه إلى أن يعرفـه، ويعلم المنهي عنـه، ويسأل عنه إلى أن يعرفه 0

واعتـــبر ذلك بالمســـألة الأولى، وهي: مســـألة التوحيـــد، والشرك 0

أكثر النـاس: علم أن التوحيد حـق، والشـرك باطـل، ولكن أعرض عنـه، ولم يسـأل؛ وعـرف: أن الله حـرم الربـا، وبـاع واشترى ولم يسأل؛ وعرف: تحريم أكل مـال اليـتيم، وجـواز الأكل بالمعروف؛ ويتولى، مال اليتيم ولم يسأل 0

المرتبة الثانية: محبة ما أنزل الله، وكفر من كرهه، لقوله: (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) [محمـد: 9] فأكثر النـاس: لم يحب الرسـول، بل أبغضـه، وأبغض ما جـاء به، ولو عرف أن الله أنزله 0

المرتبة الثالثـة: العـزم، على الفعـل؛ وكثـير من النـاس: عرف وأحب، ولكن لم يعزم، خوفاً من تغير دنياه 0

المرتبة الرابعة: العمل؛ وكثير من الناس: إذا عزم أو عمل وتبين عليه من يعظمه من شيوخ أو غيرهم ترك العمل.

المرتبة الخامسة: أن كثيراً ممن عمل، لا يقع خالصاً، فـإن وقع خالصاً، لم يقع صواباً 0

المرتبة السادسة: أن الصالحين يخافون من حبوط

(ص76) العمل، لقوله تعالى: (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) [الحجرات: 2] وهذا من أقل الأشياء في زماننا 0

المرتبة السـابعة: الثبـات على الحـق، والخـوف من سـوء الخاتمـــة، لقوله ﷺ: " إن منكم من يعمل بعمل أهل الجنـــة، ويختم له بعمل أهل النار " وهذه أيضـاً: من أعظم ما يخـاف منه الصالحون؛ وهى قليل في زماننا؛ فالتفكر في حال الذي تعرف من النـاس، في هـذا وغـيره، يـدلك على شـيء كثـير تجهله؛ والله أعلم 0

وله أيضاً، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله: أن التوحيد الذي فرض الله على عبـاده، قبل الصـلاة والصـوم، هـو: توحيد عبادتـك، فلا تـدعو إلا الله وحده لا شريك له، لا تدعو النبي ﷺ ولا غيره؛ كما قال تعـالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) [الجن: 18] وقال تعـــالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يـــوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كـــان يرجو لقـــاء ربه فليعمل عملاً صـــالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) [الكهف: 110] 0

واعلم: أن المشـركين الـذين قـاتلهم رسـول الله ﷺ صـفة إشـــراكهم: أنهم يـــدعون اللـــه، ويـــدعون معه الأصـــنام،

والصالحين؛ مثل عيسى، وأمه، والملائكة؛ يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ وهم يقرون: أن الله سبحانه، هو:
(ص77)ـ النافع، الضار، المدبر؛ كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت) الآية [يونس: 31] 0

فإذا عرفت هذا؛ وعرفت: أن دعاءهم الصالحين، وتعلقهم عليهم، أنهم يقولون: ما نريد إلا الشفاعة، وأن النبي قاتلهم ليخلصوا الدعاء لله، ويكون الدين كله لله؛ وعرفت: أن هذا هو التوحيد، الذي أفرض من الصلاة والصوم، ويغفر الله لمن أتى به يوم القيامة، ولا يغفر لمن جهله، ولو كان عابداً؛ وعرفت؛ أن ذلك هو الشرك بالله، الذي لا يغفر الله لمن فعله، وهو عند الله أعظم من الزنا، وقتل النفس، مع أن صاحبه يريد به التقرب من الله 0

ثم مع هذا: عرفت أمراً آخر، وهو: أن أكثر الناس – مع معرفة هذا الدين – يسمعون العلماء، في سدير، والوشم، وغيرهم، إذا قالوا: نحن موحدون الله، نعرف ما ينفع ولا يضر إلا الله، وأن الصالحين لا ينفعون ولا يضرون، وعرفت أنهم لا يعرفون من التوحيد، إلا توحيد الكفار، توحيد الربوبية؛ عرفت: عظم نعمة الله عليك، خصوصاً إذا تحققت: أن الذي يواجه الله، ولا عرف التوحيد؛ أو عرفه ولم يعمل به، أنه خالد في النار، ولو كان من أعبد الناس، كما قال تعالى: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) [المائدة: 72] و الله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله، وصحبه، وسلم 0

(ص78)ـ وله أيضاً: تقريب الله التوحيد، بالعقل، والنقل، والأئمة، والأدلة المصرفة 0

فأما العقل: فكون الإنسان الذي في عقله: أنك تلجأ إلى الحي، ولا تلجأ إلى الميت؛ وتطلب الحاضر، ولا تطلب الغائب؛ وتطلب الغني ولا تطلب الفقير؛ وأما النقل: ففي القرآن أكثر من أربعين مثلاً؛ والأئمة مثل ما يعرف: أن

الناس متعلقة قلوبهم باتباع العلماء، ويقال من أكـبر الأئمـة؛ ومعلوم: أنه محمد، وإبراهيم، عليهما السلام 0

فأما إبراهيم، فكما قال تعالى: (إني جاعلك للناس إمامـاً) [البقرة: 124] لما جعله الله إماماً، معلـوم أنه في التوحيـد، وما جرى عليه من قومـه، أوقـدوا له نـاراً، إذا مر الطـير من فوقها سقط فيها 0

ومحمد فأي شـيء هو مرسل به ؟ دعـوة الصـالحين، هو مرسل بهـدمها ؟ أو يقيمها ؟ أو هو سـاكت عنها ؟ لا قـال شينة، ولا زينة ؟! ومعلوم أنه: ما تفارق هو وقومه إلا عندها، وأما الأدلة المصـرفة، فبحر لا سـاحل لـه، كل ما رأيت فهو يدل على الوحدانية 0

وقال رحمه الله تعالى:

هذه أربع قواعد، ينبغى لكل إنسان يتأملهن، ويفهمهن فهم قلب، يفيض عملهن على الجوارح 0

الأولى: الإنسان إذا مات على ما علم من ألفاظ الصلاة

(ص79)ـ فقط، هل معه دين يـدخل به الجنة ؟ وينجيه من النار ؟ أم لا ؟ 0

الثانيـة: هـذه الحـوادث عند المقامـات، ونحوهـا، هل هي توجد ؟ أو شيء منها في زمن النـبي ؟ وخلفائه الراشـدين ؟ والقرون المثنى عليهم ؟ أم لا ؟ 0

الثالثة: هذا الذي يفعلونه عندها، من القصد، والتوجـه، من إجابة الـدعوات، وقضـاء الحاجـات، وإغاثة اللهفـات، هل هو الذي يفعله مشركوا العرب ؟ قبل مبعث النبي ، عند اللات، والعزى، ومناة، سواء بسواء ؟ أم لا ؟ 0

الرابعــة: من فعل هــذا، وهو مســلم، مــؤمن، هل يكفر ويحبط إيمانه بــذلك ؟ أم لا ؟ فــإن أشـكلت عليك الأولى، فانظر، إلى سؤال الملكين في القـبر، وقولـه: هـاه، هـاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلتـه مثلهم؛ الثانيـة: إن قلت توجـد، فعليك الإثبـات؛ الثالثـة: إن قلت القصـد، غـير القصد؛ فعليك التفريق، بالأدلة الصحيحة، من كتاب أو سـنة، أو إجماع الأمة؛ الرابعة: إن قلت، الإسلام: يحميه عن الكفر؛

ولو فعل ما فعـل، فطـالع بـاب حكم المرتـد، من الإقنـاع، وغيره؛ والله أعلم 0

وقال رحمه الله تعالى:

ظهر لي في الحـــديث، في قوله : " لو أتيتـــنى بقــــراب الأرض خطايا " الخ، أن هذا فيه: تنبيه على جلالة التوحيد،

(ص80)ـ وأن هذا من نوع التمثيـل، كما ذكر في الشـرك، وكـبره عند اللـه، في قوله تعـالى، في الأنبيـاء (ولو أشـركوا لحبط عنهم ما كـانوا يعملـون) [الأنعـام: 88] لكـون التوحيد يكفر الخطايا، كما أن الشرك يحبط الحسنات 0

وقال أيضاً، رحمه الله تعالى:

الواجب على كل عبد: أن يعرف هـذه المسـائل، المسـألة الأولى: الرب الذي خلقنـا، ورزقنا لم يتركنا هملاً، لم يأمرنـا، ولم ينهنـا؛ بل أرسل إلينا رسـولاً، من أطاعه فهو في الجنـة، ومن عصاه فهو في النار؛ والدليل على ذلك قوله تعالى: (إنا أرسلنا إليكم رسولاً شـاهداً عليكم كما أرسـلنا إلى فرعـون رسـولاً، فعصى فرعـون الرسـول فأخـذناه أخـذاً وبيلاً) الآية [المزمل: 15 – 16] 0

المسألة الثانية: أن أعظم ما جاء به هذا الرســول من عند الله، أن الله لا يرضى أن يشـرك معه في عبادته أحد غـيره، والدليل على ذلك، قوله تعالى: (وأن المساجد لله فلا تـدعوا مع الله أحداً) [الجن: 18] 0

المسـألة الثالثـة: أن من صـدق الرسـول، ووحد اللـه، ما يجوز له يواد من حاد الله، ورسوله، حتى يتوب، من المحادة لله، ورسوله، والدليل على ذلـك، قوله تعـالى: (لا تجد قومـاً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حـاد الله ورسـوله ولو كانوا آباءهم أو أبنـاءهم أو إخـوانهم أو عشـيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويـدخلهم جنـات تجـري من

(ص81)ـ تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حـــزب الله ألا إن حـــزب الله هم المفلحـــون) [المجادلة: 22].

فمن لم يعرف ربه، بمعنى: معبوده؛ ودينه ورسوله، الـذي أرسله الله إليه، بدلائله في الـدنيا، ولم يعمل بـه، سـئل عنه في القـبرفلم يعرفـه؛ ومن لم يعرفه في القـبر : ضـربته الملائكة بمرزبة من حديـد، لو اجتمع عليها الجن والإنس، ما أطاقوا حملها 0.

ومن عرفه بدليله، وعمل به في الدنيا، ومات عليـه، سـئل في القبر، فيجيب بـالحق، فإنه ذكر في الحـديث: " إن العبد المؤمن، أو الموقن، إذا وضع في قـبره، سـألته الملائكة عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه، فيقول: ربي الله وديـني الإسـلام، ونبيي محمد، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا، وصدقنا، واتبعنا، فيقال له: نم صـالحاً، قد علمنا أنك مـؤمن، وأعظم البينـات، الذي جاء به الرسول؛ كتاب الله، كما قال تعـالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسـورة من مثله وادعـوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) [البقرة: 23] 0

وأما المنافق، والمرتاب، إذا سـئل عن ذلـك، يقـول: هـاه، هـاه، لا أدري، سـمعت النـاس يقولـون شـيئاً فقلتـه؛ فتعذبه الملائكـة، فالحـذر، الحـذر، من ذلـك؛ تفقهـوا في دينكم قبل الموت، وصلى الله على محمد 0

(ص82) وسئل أيضاً: عن مسائل فأجاب:

الأولى: أن الله سـبحانه، بعث محمـداً ﷺ بتحقيق التوحيـد، وتجريده، ونفى الشرك بكل وجه، حتى في الألفاظ.

الثانية: أن العبادة الـتي شـرعها الله تعـالى كلهـا، تتضـمن إخلاص الـدين كله للـه، تحقيقـاً لقوله تعـالى: (وما أمـروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الـدين حنفـاء) [البينـة: 5] فـإن دين الإسلام، هـو: دين اللـه، الـذي أمر به الأولين والآخـرين، كما قـال تعـالى – وهي: الثالثة – (بلى من أسـلم وجهه لله وهو محسـن) [البقـرة: 112] وفسر إسـلام الوجـه، بما يقتضى الإخلاص؛ والإحسـان: العمل الصـالح، المـأمور بـه؛ وهـذان الأصلان: جماع الـدين؛ لا نعبد إلا اللـه، ولا نعبـده بالبـدع، بل بما شرع، كما قال تعالى: (فمن كان يرجو لقـاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) [الكهف: 110] 0

الرابعة: أن هذين الأصلين، هما تحقيق الشهادتين، شهادة: أن لا إله إلا الله؛ وشهادة: أن محمداً رسول اللـه؛ فـالأولى: تتضـمن إخلاص الألوهيـة، فلا يتأله القلب غـيره، لا بحب، ولا خــوف ولا رجــاء، ولا إجلال، ولا إكــرام؛ والثانيــة: تتضــمن تصديق الرسول فيما أخـبر بـه، وطاعته فيما أمـر؛ فلا حـرام إلا ما حرم، ولا دين إلا ما شرع 0

(ص83)ـ ولهـذا: ذم الله تعـالى المشـركين، في سـورة الأنعـام، والأعـراف، وغيرهمـا، لكـونهم حرمـوا ما لم يحرمه اللـه، وشـرعوا ما لم يـأذن فيـه، قـال تعـالى: (إنا أرسـلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منـيراً) [الأحـزاب: 45 – 46] فمن دعا إلى غـير الله فقد أشـرك، ومن دعا الله بغير إذنه فقد ابتدع، والشرك: بدعة، والمبتـدع يؤل إلى الشرك، كما قال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبـانهم أرباباً من دون الله) [التوبة: 31] وقال تعالى: (قاتلوا الـذين لا يؤمنــون بالله ولا بــاليوم الآخر ولا يحرمــون ما حــرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق) [التوبة: 29] 0

ولفظ الإسـلام: يتضـمن الاستسـلام، والانقيـاد، ويتضـمن الإخلاص، فمن استسـلم لـه، ولغـيره، فهو مشـرك؛ ومن لم يستسلم له، فهو مستكبر 0

وقال أيضاً:

الـدعاء الـذي يفعل في هـذا الزمـان: أنـواع؛ النـوع الأول: دعاء الله وحده لا شريك له، الذي بعث الله به رسوله 0

النــوع الثــاني: أن يـدعو اللـه، ويـدعو معه نبيـاً، أو وليـاً، ويقـول: أريد شـفاعته، وإلا فأنا أعلم: ما ينفـع، ولا يضـر، إلا الله؛ لكن أنا مذنب، وأدعو هذا الصالح، لعله يشفع لي؛ فهذا الذي فعله المشركون، وقاتلهم رسول الله

(ص84)ـ حـتى يـتركوه؛ ولا يـدعوا مع الله أحـداً، لا لطلب شفع، ولا نفع 0

النـوع الثـالث، أن يقـول: اللهم إنى أتوسل إليك بنبيـك، أو بالأنبيـاء، أو الصـالحين؛ فهـذا: ليس شـركاً، ولا نهينا النـاس

عنه؛ ولكن المذكور عن أبي حنيفة، وأبي يوسف، وغيرهم: أنهم كرهوه، لكن ليس مما نختلف نحن، وغيرنا فيه 0

وقال أيضاً رحمه الله:

ذكر في السيرة، في استماع أبي جهل، قراءة النبي ، وكلامه معروف، يقول: هذا حق، وذكر الذي منعه، خوفه: أن يصيروا تبعاً لبني عبد مناف؛ والواقع: لو أن واحداً من الملوك، يقر أن هذا الدين حق، ولا يدع اتباعه، إلا خوف أن يزول ملكه، لوجدت النفوس تعذره 0

الثانية: كونهم يخفون إقرارهم على عامة أهل مكة، مخافة أن يتبعوه، وأما أهل هذا الزمان، فكل مطوع شيطان، منطقه الله: أن التوحيد دين الله ورسوله، والشرك الذي هم يفعلون: دين الشيطان؛ ولا أحد يعي لقولهم 0

وقال أيضاً؛ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، وأسكنه الجنة بغير حساب:

هذه: كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن (ص85) محمداً رسول الله، وقد غلط أهل زماننا فيها، وأثبتوا لفظها دون معانيها، وقد يأتون بأدلة على ذلك، تلتبس على الجاهل المسكين، ومن ليس له معرفة في الدين، وذلك يفضى إلى أعظم المهالك 0

فمن ذلك قوله " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم " الحديث، وكذلك قوله لما سئل عن شفاعته: من أحق بها يوم القيامة ؟ قال: " من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه " وقوله : " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " وكذلك حديث عتبان: " فإن الله حرم على النار، من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله " 0

وهذه الأحاديث الصحيحة، إذا رآها هذا الجاهل، أو بعضها، أو سمعها من غيره، طابت نفسه، وقرت عينه، واستفزه المساعد على ذلك، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك، فلو أنه دعا غير الله، أو ذبح له، أو حلف به، أو نذر له، لم يرَ ذلك شركاً، ولا محرماً، ولا مكروهاً، فإذا أنكر عليه

أحد بعض ما ينافي التوحيد لله، والعمل بما أمر الله، اشمأز، ونفر، وعارض بقوله: قال رسول الله، وقال رسول الله 0

وهذا: لم يـدر حقيقة الحـال، فلو كـان الأمر كما قـال، لما قال الصديق رضي الله عنه في أهل الردة: والله لو منعوني عناقاً، أو قال عقالاً، كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم

(ص86) عليه، أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا لا إله إلا الله ؟ 0

وما يصنع هذا الجاهل، بقول رسول الله في الخــوارج: " أينما لقيتموهم فـاقتلوهم، فـإن في قتلهم أجـراً لمن قتلهم، فإنهم شر قتيل تحت أديم السماء " أفيظن هذا الجاهــل: أن الخوارج الذين قال فيهم رسول الله هذا، أنهم لم يقولوا لا إله إلا الله ؟ وقال : " في هذه الأمة " – ولم يقل: منها – " قوم يحقر أحدكم صـلاته مع صـلاتهم، وصـيامه مع صـيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم " 0

وكــــــذلك أهل حلقة الـــــــذكر، لما رآهم أبو موسى في المسجد، في كل حلقة رجل يقول: سبحوا مائـة، هللـوا مائة – الحــديث – فلما أنكر عليهم صـاحب رسـول الله قـالوا: والله ما أردنا إلا الخـير؛ قـال: كم من مريد للخـير لم يصـبه، إن رسول الله حدثنا " أن قوماً يقـرؤون القـرآن، لا يجـاوز حلوقهم، أو قال تراقيهم " وأيم الله: لا أدري أن يكـون فيكم أكثرهم، فما كان إلا قليلاً، حتى رأوا أولئك يطاعنون أصـحاب رسول الله يوم النهروان، مع الخوارج؛ أفيظن هـذا الجاهل المشرك، أنهم يشركون لكونهم يسبحون ويهللـون ويكـبرون ؟ 0

وكذلك المنافقون، على عصر رسـول الله يجاهـدون في سبيل الله، بـأموالهم، وأنفسـهم، ويصـلون مع رسـول الله الصلوات الخمس، ويحجون معه، قال الله

(ص87) تعـالى: (إن المنـافقين في الـدرك الأسـفل من النار) [النساء: 145] أفيظن هذا الجاهــل، أنهم لم يقولـوا لا إله إلا الله ؟ وكـذلك قاتل النفس بغـير الحق يقتـل، أفيظن

هــذا الجاهل أنه لم يقل لا إله إلا اللــه، وأنه لم يقلها خالصــاً من قلبه ؟

فسـبحان من طبع على قلب من شـاء من عبـاده، وأخفى عليه الصواب، وأسلكه مسـلك البهـائم والـدواب، (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) [الفرقان: 44] حتى قـال هــؤلاء الجهلـــــة، ممن ينتسب إلى العلم، والفقه قبلتنا من أمها لا يكفر 0

فلا إله إلا اللــه، نفي وإثبــات الإلهية كلها للــه: فمن قصد شــيئاً من قــبر، أو شــجر، أو نجم، أو ملك مقــرب، أو نــبي مرسـل، لجلب نفـع، وكشف ضـر، فقد اتخـذه إلهـاً من دون الله؛ مكذب بلا إله إلا الله، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل 0

فإن قال: هــذا المشــرك، لم أقصد إلا التــبرك؛ وإني لأعلم أن الله هو الـذي ينفع ويضـر، فقل لــه: إن بـني إسـرائيل ما أرادوا إلا ما أردت، كما أخـــبر الله عنهم، أنهم لما جـــاوزوا البحــر: (فـأتوا على قــوم يعكفـون على أصـنام لهم قـالوا يا موسى اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهــة) فأجـابهم بقولــه: (إنكم قوم تجهلون) الآيتين [الأعراف: 138 – 139] 0

وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رســول الله إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة

(ص88)ـ يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقـال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنـا: يا رسـول اللـه، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنـواط، فقـال رسـول الله " الله أكـبر، إنها السـنن، قلتم والـذي نفسي بيـده، كما قـالت بنو إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) لـتركبن سـنن من كــان قبلكم " وقــال تعــالى: (أفــرأيتم اللات والعــزى) [النجم: 19] وفي الصحيح عن ابن عباس، وغيره: كــان يلت السويق للحاج، فمات، فعكفوا على قبره 0

فيرجع هذا المشرك، يقول: هذا في الشجر، والحجــر، وأنا اعتقد في أنـــاس صـــالحين، أنبيـــاء، وأوليـــاء، أريد منهم الشفاعة، عند الله، كما يشفع ذو الحاجة عند الملـوك، وأريد منهم القربة إلى اللــه؛ فقل لــه: هــذا دين الكفـار بعينـه، كما

أخــبر ســبحانه بقولــه: (والــذين اتخــذوا من دونه أوليــاء ما نعبـــدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمـــر: 3] وقولـــه: (ويعبــدون من دون الله ما لا يضــرهم ولا ينفعهم ويقولــون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يونس: 18] 0

وقد ذكر أناساً يعبدون المسيح، وعزيراً؛ فقال الله: هــؤلاء عبيدي، يرجون رحمتي، كما ترجونها، ويخــافون عــذابي، كما تخافونه؛ وأنــزل الله ســبحانه: (قل ادعــوا الــذين زعمتم من دونه فلا يملكـــون كشف الضر عنكم ولا تحـــويلاً) الآيـــتين [الإسراء: 56 – 57] وقال تعالى: (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا
(ص89) سبحانك) الآيتين [سبأ: 40 – 41] 0

والقـــرآن، بل والكتب الســـماوية، من أولها إلي آخرهـــا: مصــرحة ببطلان هــذا الــدين، وكفر أهلــه، وأنهم أعــداء الله ورســوله، وأنهم أوليــاء الشــيطان، وأنه ســبحانه لا يغفر لهم، ولا يقبل عملاً منهم، كما قـــال تعـــالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء: 48] وقال تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثــوراً) [الفرقــان: 23] وقــال تعــالى: (فلا تجعلــوا لله أنــداداً وأنتم تعلمــون) [البقــرة: 22] قــال ابن مســعود، وابن عبــاس: لا تجعلــوا له أكفــاء من الرجــال، تطيعــونهم في معصــية اللــه، وقال رجل للنبي : ما شاء الله وشئت، قال: " أجعلتــني لله نداً ؟ قل: ما شاء الله وحده " وقال لأصحابه: " أخــوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر " فسئل عنه فقال: " الريــاء " 0

وبالجملــة: فــأكثر أهل الأرض، مفتونــون بعبــادة الأصــنام، والأوثان، ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء، أتبــاع ملة إبــراهيم عليه الســلام، وعبادتها في الأرض، من قبل قــوم نــوح، كما ذكر الله، وهي كلها، ووقوفهــا، وســدانتها، وحجابتهــا، والكتب المصنفة في شرائع عبادتها، طبق الأرض، قال إمام الحنفاء: (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم: 35] كما قص الله

ذلك عنهم في القـــــــرآن، وأنجى الرسل واتبـــــــاعهم من الموحدين 0
(ص90)ـ وكفى في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض: ما صح عن النــبي أن بعث النــار من كل ألــف: تســعمائة وتسـعة وتسـعون، قـال الله تعـالى: (فـأبى أكـثر النـاس إلا كفوراً) [الإسراء: 89] وقـال: (وإن تطع أكـثر من في الأرض يضـلوك عن سـبيل اللـه) [الأنعـام: 116] وقـال: (وما أكـثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف: 103] 0
ولما أراد سبحانه إظهار توحيده، وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي العليــا، وكلمة الــذين كفــروا هي الســفلى، بعث محمداً خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين، وما زال في كل جيل مشهوراً، وفي توراة موسـى، وإنجيل عيسـى، مـذكوراً، إلى أن أخــرج الله تلك الـدرة، بين بـني كنانـة، وبـني زهـرة فأرسله على حين فترة من الرسل، وهداه إلى أقوم السـبل 0
فكان له من الآيات، والدلالات على نبوته، قبل مبعثه، ما يعجز أهل عصره، فمن ذلك قوله : " أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت له: بصرى من أرض الشام " 0
وولد ليلة الاثـــنين، الثـــاني عشر من ربيع الأول، عـــام الفيل، وانشق إيوان كسرى ليلة مولده، حتى سمع انشـقاقه وسقط أربع عشرة شرفة، وهو باقٍ إلى اليـوم آية من آيـات الله، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك، وغاضت
(ص91)ـ بحيرة: ساوة، وكانت بحيرة عظيمـة، في مملكة العراق، عراق العجم، وهمدان، تسير فيها السفن، وهي أكثر من ستة فراسخ، فأصبحت ليلة مولـده، يابسة ناشـفة، كـأن لم يكن بها مـاء، واسـتمرت على ذلـك، حـتى بـني مكـان " ساوة " وباقية إلى اليوم.
وأرسـلت الشـهب على الشـياطين، كما أخـبر الله بقولـه: (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) [الجن: 9] وأنبته الله نباتاً حسـناً، وكـان أفضل قومه مـروة، وأحسـنهم خلقـاً وأعـزهم

جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، حتى سماه قومه الأمين، لما جعل الله فيه من الأحوال الصالحة، والخصال المرضية 0

ووصل بصرى من أرض الشام، مرتين، فرآه بحيرا الراهب فعرفه، وأخبر عمه أنه رسول الله ، وأمر برده، فرده مع بعض غلمانه، وقال لعمه: احتفظ به، فلم نجد قدماً أشبه من القدم الذي بالمقام من قدمه، واستمرت كفالة أبى طالب، كما هو مشهور، وبغضت إليه الأوثان، ودين قومه، فلم يكن شيء أبغض إليه من ذلك 0

والدليل على أنه رسول الله من العقل والنقل، أما النقل: فواضح، وأما العقل: فنبه عليه القرآن؛ من ذلك: ترك الله خلقه بلا أمر، ولا نهى، لا يناسب في حق الله، ونبه عليه، في قوله: (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به

(ص92) موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) [الأنعام: 91]0

ومنها أن قول الرجل: إني رسول الله، إما أن يكون خير الناس، وإما أن يكون شرهم، وأكذبهم، والتمييز بين ذلك سهل، يعرف بأمور كثيرة؛ ونبه على ذلك بقوله: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم) الآيات [الشعراء: 221- 223] ومنها: شهادة الله بقوله: (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) [الرعد: 43] ومنها: شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم، كما في الآية 0

ومنها: - وهي أعظم الآيات العقلية - هذا القرآن الذي تحداهم الله بسورة من مثله، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك، من جهة العربية، فنحن نعلمها من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له، علمائهم، وفصحائهم، وتكريره هذا، واستعجازهم به، ولم يتعرضوا لذلك، على شدة حرصهم على تكذيبه، وإدخال الشبه على الناس؛ ومنها: تمام ما ذكرنا وهو: إخباره

سـبحانه أنه لا يقـدر أحد أن يـأتي بسـورة مثلـه، إلى يـوم القيامة؛ فكان كما ذكـر، مع كـثرة أعدائه في كل عصـر، وما أعطوا من الفصاحة، والكمال، والعلوم 0

ومنها: نصرة من اتبعـه، ولو كـانوا أضـعف النـاس؛ ومنهـا: خذلان من عاداه، وعقوبته في الدنيا، ولو كـانوا أكـثر النـاس وأقواهم؛ ومنها: أنه رجل أمي لا يخط، ولا يقرأ

(ص93) الخــط، ولا أخذ عن العلمــاء، ولا ادعى ذلك أحد من أعدائه، مع كثرة كذبهم، وبهتانهم؛ ومع هـذا: أتى بـالعلم، الذي في الكتب الأولى، كما قال تعـالى: (وما كنت تتلـوا من قبله من كتــاب ولا تخطه بيمينك إذا لا ارتــاب المبطلــون) [العنكبوت: 48].

وقال رحمه الله تعالى:

ولما بلغ أربعين سـنة: بعثه الله (بشـيراً ونـذيراً)، (وداعيـاً إلى الله بإذنه وسراجاً منـيرا) ولما أتى قومه بلا إله إلا اللـه، قالت قريش: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) قال الترمذي: حدثني محمد بن صــالح، عن عاصم بن عمــرو بن قتــادة، وزيد بن مــروان، وغــيرهم، قــالوا: قــام رســول الله ثلاث ســنين مسـتخفياً، ثم أعلن في الرابعـة، فـدعا عشر سـنين، يـوافي الموسم كل عـام، فيقـول: " أيها النـاس قولـوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتـدين لكم بها العجم، فـإذا متم كنتم ملوكـاً في الجنة " وأبو لهب وراءه، يقـول: لا تطيعـوه، فإنه صابئي كذاب، فيردون عليه أقبح الرد 0

ولما أمره الله بالهجرة، هاجر، وأظهر الله دينه على الدين كلــه، وقاتل جميع المشــركين، ولم يمــيز بين من اعتقد في نــبي، ولا ولي، ولا شــجر، ولا حجــر؛ ومــازال يعلم النــاس التوحيد، ويقمع من دعاة الشـرك: كل شـيطان مريـد، حـتى أزال الله الجهل والجهـال، وبـان للنـاس من التوحيد سـاطع الجمال؛ وعن أنس قال: قال: أناس: يا رسول الله، يا خيرنا

(ص94) وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال : " يا أيها الناس أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجلَّ " 0

وعن عبد الله بن الشِّخِّير، قال: انطلقت في وفد بني عامر، إلى النبي فقلت: أنت سيدنا، فقال: " السيد الله تبارك وتعالى " وعن عمر: أن رسول الله قال: لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ".

ومازال معلماً لأصحابه هذا التوحيد، ومحذراً من الشرك، حتى أتاهم وهم يتذاكرون الدجال، فقال: " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " الشرك الخفي، يقوم الرجل، فيصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل "، وحتى قال: " لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض، فليس من الله " وحتى قال: " لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان " وحتى قال " لا تقولوا لولا الله وفلان " وحتى قال: " لا يقل أحدكم عبدي و أمتي " وحتى قال: " من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر ".

وحذرهم من الشرك بالله، في الأقوال والأعمال، حتى قال: " إنما أنا بشر، يوشك أن يأتيني رسول ربي، فأجيب، وأنا تارك كتاب الله، فيه الهدى والنور، ومن تركه كان

(ص95) على الردي " وحتى قال: " خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" وحتى أنه لم يترك النهي عند الموت، والتحذير لنا من هذا الشرك، حتى قال: " اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " وحتى قال: " دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب " الحديث 0

وحتى حذرهم عن الكفر بنعمة الله، قيل هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي، وقال بعضهم: هو كقوله: الريح طيبة، والملاح حاذق، ونحو ذلك؛ ولما ذكر شيخ الإسلام تقي الدين الأحاديث: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله " وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين " أمرت

أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللـه، وأن محمـداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة " قال: إن الصـلاة من حقها، والزكاة من حقها كما قال الصـديق لعمـر، ووافقه عمر، وسائرهم على ذلك، ويكون ذلك أنه إذا قالها قد شـرع في العصمة، وإلا بطلت.

وقد قال النـبي ﷺ كل واحد من الحـديثين، في وقت، ليعلم المسـلمون: أن الكـافر إذا قالها وجب الكف عنـه، ثم صـار القتـال مجـرداً إلى الشـهادتين، ليعلم: أن تمـام العصـمة يحصل بذلك، لئلا يقع شبهة وأما مجـرد الإقـرار فلا يعصـمهم على الدوام، كما وقعت لبعض الصحابة، حتى

(ص96) جلاها الصديق رضى الله عنه، ووافقه عمر.

وقـال صـاحب المنـازل: شـهادة أن لا إله إلا اللـه، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، هذا هو التوحيد الذي نفى الشرك الأعظم، وعليه نصبت القبلـة، وبه حقنت الدماء والأموال؛ وانفصلت دار الإيمان من دار الكفـر، وصـحت به الملة للعامة وان لم يقومـوا بحسن الاسـتدلال، بعد أن يسلموا من الشبهة، والحيرة والريبة، بصدق شـهادة، صـحيحها قبـول القلب، وهـذا توحيد العامـة، الـذي يصح بالشـواهد، وهي الرسـالة والصـنائع، ويجب بالسـمع، ويوجد بتبصير الحق، وينمو على مشاهدة الشواهد، والحمد لله رب العالمين.

وقـال أيضـاً: الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب، قـدس الله روحه.

لما بلغ رسـول الله ﷺ أربعين سـنه: بعثه الله (بشـيراً ونذيراً)، (وداعيـاً إلى الله بإذنه وسـراجاً منـيراً) ونـذكر قبل ذلك شيئاً من أمور الجاهلية، وما كانت عليه قبل بعثته، قـال قتـادة: ذكر لنا أنه كـان بين آدم ونـوح، عشـرة قـرون، كلهم على الهدى، وشـريعة من الحـق؛ ثم اختلفـوا بعد ذلك فبعث الله لهم نوحاً، وكان أول رسول أرسل لأهل الأرض؛ قال ابن عباس، في قوله تعالى: (كـان النـاس أمة واحـدة) [البقـرة: 213] قال على الإسلام.

(ص97)   وكـــان أول ما كـــادهم الشـــيطان به تعظيم الصـــالحين، كما ذكر الله ذلك في كتابه (وقـــالوا لا تـــذرن آلهتكم ولا تـذرن وداً ولا سـواعاً ولا يغـوث ويعـوق ونسـراً) [نـوح: 23] قـال الكلـبي: هـؤلاء قـوم صـالحون، فمـاتوا في شـهر، فجـزع عليهم أقـاربهم، وقـال لهم رجـل: هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام، على صورهم ؟ قـالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنام، ونصبها لهم.

وفي غير حديثـه، قـال أصـحابهم: لو صـورنا صـورهم كـان أشوق لنا إلى العبـادة؛ فكـان الرجل يـأتي أبـاه، وابن عمـه، فيعظمـه، حـتى ذهب القـرن الأول، ثم جـاء القـرن الآخـر، وعظموهم أشد من الأول ثم جاء القـرن الثـالث، فقـالوا: ما عظم أولونا هؤلاء، إلا وهم يرجون شفاعتهم؛ فعبدوهم؛ فلما بعث الله نوحاً، وأغرق من أغرق، وأهبط الماء هذه الأصـنام، من أرض إلى أرض، حتى قـذفها إلى أرض جـدة، فلما نضب المــاء، بقيت على الشــاطىء، فســفت الــريح عليها حــتى وارتهـا، ثم عمر نـوح وذريته الأرض، وبقـوا على الإسـلام ما شاء الله، ثم حدث فيهم الشرك.

وما من أمة إلا ويبعث الله فيها رسولاً، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن الشرك؛ فمنهم: عاد الـتي لم يخلق مثلها في البلاد؛ بعث الله لهم: هوداً عليه السلام، وكانوا في ناحية الجنوب، بين اليمن وعمان، فكذبوه فأرسل الله عليهم الريح فأهلكتهم، ونجى الله هوداً ومن معه؛ ثم بعث

(ص98) الله صالحا إلى ثمود، وكانوا بالشمال، بين الشام والحجــاز (فاســتحبوا العمى على الهــدى) [فصــلت: 17] فأرسل الله عليهم صيحةً فـأهلكتهم؛ ونجى الله صـالحاً ومن معه؛ ثم بعد ذلـك: أخـرج إليهم إبـراهيم عليه السـلام، وأهل الأرض إذ ذاك كلهم كفار، فكذبوه إلا ابنة عمه سارة، زوجته، ولوطاً أيضاً، فأكرمه الله ورفع قـدره، وجعله إمامـاً للنـاس، وجعل في ذريته النبوة والكتاب 0

ومنذ ظهور إبراهيم: لم يعدم التوحيد في الأرض، كما قال تعـــــالى: (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعـــــون)

[الزخــرف: 28] وكــان له ابنــان، أحــدهما: إســحاق عليه السلام، وهو أبو بني إسرائيل، وإسرائيل يعقوب بن إسحاق؛ والثاني: إسماعيل عليه السلام، وهو أبو العرب، وقصته وأمه مشـهورة، لما وضـعها عليه السـلام في مكـة، وكـان هو في الشام، فنشأ إسماعيل عليه السلام، في أرض العرب، فصار له ولأولاده ولاية البيت ومكة.

فلم يزالــوا بعــده على دين إســماعيل، حــتى نشأ فيهم: عمـروبن لحى، بن قمعـة، فملك مكـة، وكـان معظمـاً فيهم، بسـبب الـدين، والـدنيا؛ فسـار إلى الشـام، ورآهم يعبـدون الأوثـان، فاستحسن ذلـك، وزينه لأهل مكـة، ثم اقتـدى بهم أهل الحجـاز، وكـان له رئي من الجن، فأتـاه، فقـال: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسـلامة، ائت جـدة، تجد فيها أوثاناً معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب (ص99)

فـأتى جـدة، فاسـتثارها، ثم حملهـا، فلما حضر الحج: دعا العـرب إلى عبادتهـا، فأجـابوه، ففرقها في كل قبيلة واحـد، فلم تـزل تعبد حـتى بعث رسـول الله فكسـرها، وقـال: " رأيت عمرو بن عـامر يجر قصـبه في النـار " وكـان أول من سـيب السـوائب، وغـير دين إبـراهيم، ونصب الأوثـان، وكـان أهل الجاهلية إذ ذاك، فيهم بقايا من دين إبــــراهيم، مثـــــل: تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمـرة، وإهـداء البـدن؛ وكانت نزار تقـول في إهلالهـا: لبيك لا شـريك لك إلا شـريك هو لك، تملكه وما ملك.

ومن أقدم أصـنامهم: منـاة على سـاحل البحـر، بقديد بين مكة والمدينـــة، ولم يكن أحد أشد تعظيمـــاً له من الأوس، والخـزرج؛ فبعث رسـول الله عليـاً فهـدمها عـام الفتح، ثم اتخــذوا اللات بالطــائف، وكــان أصــله رجلاً صــالحاً، يلت السـويق للحـاج، فمـات، فعكفـوا على قـبره؛ فلما أسـلمت ثقيف بعث رســول الله المغــيرة بن شــعبة فهــدمها، ثم اتخذوا العزى، وكـانت بـوادي نخلـة، وبنـوا عليها بيتـاً وكـانوا يسـمعون منه الصـوت، فلما فتح رسـول الله مكـة، بعث

خالد بن الوليد، فأتاها، فعضدها، وكـانت ثلاث سـمرات، فلما عضد الثالثـة: إذ هو بجنِّيـه، نافشة شـعرها، فقـال خالـد، يا عــزى: كفرانــك، لا ســبحانك، إني رأيت الله قد أهانــك، ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حممة 0

(ص100) وكــان من العــرب: من يتعلق على الملائكــة، يريــدون شــفاعتهم، وهم بنو ملح، وكــان منهم: من يــدعو الجن؛ وكانت النصارى: تدعوا عيسى وأمه؛ وكان الناس، من يدعو أناساً صالحين، غـير ما ذكرنـا؛ وهو أول أنـواع الشـرك وقوعاً في الأرض، كما تقدم، وامتلأت أرض العرب، وغيرها، من الأوثان، والشرك بالله؛ وكان لكل قوم: شيء يقصـدونه، غير ما كان عند الآخرين 0

فلما بعث رسول الله بالتوحيد، قـالوا: (أجعل الآلهة إلهـاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) [ص: 5] ولما فتح رسول الله مكة، وجد حول الـبيت: ثلاثمائة وسـتين صـنماً، وجعل يطعن في وجوههـا، ويقــول: (جــاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) [الإسـراء: 81] وهي تسـاقط على رؤوسـها، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت 0

وقال بعض الصحابة في اللات: -

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصركم من ليس ينتصر

إن التي حرقت بالسد فاشتعلت فلم تقاتل لدى أحجارها هدر

وصلى الله على محمد 0

وقال أيضاً: بوأه الله منازل النبيين، والصديقين:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات، في بيان: شهادة أن لا إله إلا الله، وبيان

(ص101) التوحيـد، الـذي هو حق الله على العبيـد، وهو أفـرض من الصـلاة، والزكـاة، وصـوم رمضـان، فـرحم الله امرءاً نصح نفسه، وعرف أن وراءه جنة ونـاراً، وإن الله عـزَّ وجلَّ جعل لكل منهما أعمالاً، فإن سأل عن ذلـك، وجد رأس أعمــال أهل الجنــة: توحيد الله تعــالى؛ فمن أتى به يـــوم

القيامـــة، فهو من أهل الجنـــة، قطعـــاً، ولو كـــان عليه من الذنوب مثل الجبال 0

ورأس أعمـال أهل النـار: الشـرك باللـه، فمن مـات على ذلك، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار، والصدقة والإحسان، فهو من أهل النار قطعاً؛ كالنصـارى، الـذين يبـنى أحـدهم صـومعة في البريـة، ويزهد في الـدنيا، ويتعبد الليل والنهار، لكنه خلط ذلك بالشرك باللـه، تعـالى الله عن ذلـك، قال الله عزَّ وجلَّ: (وقدمنا إلى ما عملـوا من عمل فجعلنـاه هباءً منثوراً) [الفرقان: 23] وقال تعالى: (مثل الـذين كفـروا بربهم أعمـالهم كرمـاد اشـتدت به الـريح في يـوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء) [إبراهيم: 18] 0

فـرحم الله امـرءاً، تنبه لهـذا الأمر العظيم، قبل أن يعض الظـالم على يديـه، ويقـول: (يا ليتـني اتخـذت مع الرسـول سبيلا) [الفرقان: 27] 0

نسـأل اللـه: أن يهـدينا، وإخواننا المسـلمين إلى الصـراط المستقيم، صـراط الـذين أنعم الله عليهم، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم، وهم العلماء، الذين علموا ولم

(ص102) يعملوا، وطريق الضـالين، وهم العبـاد الجهـال، فما أعظم هذا الدعاء، وما أحوج من دعا بـــه: أن يحضر قلبه في كل ركعة، إذا قـرأ بهـا، بين يـدي الله تعـالى، أن يهديـه، وأن ينجيه؛ فإن الله قد ذكر: أنه يستجيب هـذا الـدعاء الـذي في الفاتحة، إذا دعا به الإنسان، من قلب حاضر 0

فنقـول: لا إله إلا اللـه، هي: العـروة الـوثقى؛ وهي: كلمة التقوى؛ وهي: الحنيفية، ملة إبـراهيم؛ وهي: الـتي جعلها الله عـزَّ وجـلَّ، كلمة باقية في عقبـه؛ وهي: الـتي خلقت لأجلها المخلوقات؛ وبها قامت الأرض والسماوات؛ ولأجلها أرسـلت الرسـل، وأنـزلت الكتب؛ قـال الله تعـالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56] وقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسـولاً أن اعبـدوا الله واجتنبـوا الطـاغوت) [النحـل: 36] والمـراد: معـنى هـذه الكلمـة؛ وأمـا: التلفظ

باللســـان، مع الجهل بمعناهـــا، فلا ينفـــع؛ فـــإن المنـــافقين يقولونها، وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار 0

فاعلم: أن معنى هذه الكلمـة: نفي الإلهية عما سـوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها لله وحده، لا شريك له، ليس فيها حق لغـيره، وإثباتها كلها لله وحـده، لا شـريك لـه، ليس فيها حق لغيره، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، كما قال تعـالى: (إن كل من في الســموات والأرض إلا آت الــرحمن عبــداً، لقد أحصاهم وعدهم عدا، وكلهم آتيه يوم القيامة فـرداً) [مـريم: 93 – 95] وقال تعالى: (يوم يقوم

(ص103) الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) [النبأ: 38] وقال تعالى: (يوم تـأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الآية [النحل: 111] 0

فإذا قيل: لا خـالق إلا اللـه، فهـذا معـروف، لا يخلق الخلق إلا الله، لا يشاركه في ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل؛ وإذا قيـل: لا يـرزق إلا اللـه، فكـذلك؛ فـإذا قيـل: لا إله إلا اللـه، فكذلك؛ فتفكر رحمك الله، في هذا، واسأل عن معنى الإلـه، كما تسأل عن معنى الخالق، والرازق 0

واعلم: أن معنى الإله، هو: المعبـود؛ هـذا هو تفسـير هـذه اللفظة، بإجماع أهل العلم، فمن عبد شـيئاً، فقد اتخـذه إلهـاً من دون اللــه، وجميع ذلك باطــل، إلا إله واحــد، وهــو: الله وحده، تبارك وتعالى، علوا كبيراً 0

والعبادة: أنواع كثيرة؛ لكني أمثلها بأنواع ظـاهرة، لا تنكـر، من ذلـــك: السـجود؛ فلا يجــوز لعبـــد، أن يضع وجهه على الأرض، ساجداً، إلا لله وحده، لا شـريك لـه، لا لملك مقـرب، ولا لنبي مرسل، ولا لولي 0

ومن ذلك: الذبح؛ فلا يجوز لأحد، أن يذبح إلا لله وحده؛ كما قرن الله بينهما في القرآن، في قوله تعالى: (قل إن صـلاتي ونسـكي ومحيـاي ومـماتي لله رب العـالمين، لا شـريك لـه) [الأنعام: 162 – 163] والنسك، هو: الـذبح؛ وقـال: (فصـلِ لربك وانحر) [الكوثر: 2] فتفطن لهذا،

(ص104) و اعلم: أن من ذبح لغير الله، من جنى، أو قبر، فكما لو سـجد لـه؛ وقد لعنه رسـول الله في الحـديث الصحيح، قال: " لعن الله من ذبح لغير الله ".

ومن أنواع العبادة: الدعاء؛ كما كان المؤمنون، يدعون الله وحده، ليلاً، ونهاراً، في الشدة، والرخاء؛ لا يشك أحد، أن هذا من أنـواع العبـادة؛ فتفكر ـ رحمك الله ـ فيما حـدث في الناس اليوم، من دعاء غير الله، في الشـدة، والرخـاء؛ هـذا: يريد سـفراً، فيـأتي عند قـبر، أو غـيره، فيـدخل عليه بما لـه، عمن ينهبـه؛ وهـذا تلحقـه: الشـدة، في الـبر، أو البحـر؛ فيسـتغيث بعبد القـادر، أو شمسـان، أو نـبي من الأنبيـاء، أو ولي من الأولياء، أن ينجيه من هذه الشدة.

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف، أن الإله، هو: المعبود؛ وتعرف: أن الدعاء من العبـادة؛ فكيف تـدعو مخلوقـاً، ميتـاً، عاجزاً ؟ ! وتترك: الحي، القّيوم، الحاضر، الـرؤف، الـرحيم، القـدير ؟ ! فقد يقـول ـ هـذا المشـرك ـ إن الأمر بيد اللـه، ولكن هـذا العبد الصـالح، يشـفع لي عند اللـه، وتنفعـني شفاعته، وجاهه؛ ويظن أن ذلك: يسلمه من الشرك.

فيقـال لهـذا الجاهـل: المشـركون، عبـاد الأصـنام، الـذين قـاتلهم رسـول الله وغنم أمـوالهم، وأبنـاءهم، ونسـاءهم، كلهم يعتقدون: أن الله هو النافع، الضـار، الـذي يـدبر الأمـر، وإنما أرادوا: ما أردت، من الشفاعة عند الله، كما قال

(ص105) تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يونس: 18] وقال تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبـدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: 3] وإلا فهم يعترفون: بـأن اللـه، هو الخالق، الرازق، النـافع الضـار، كما أخـبر الله عنهم، بقولـه: (قل من يـرزقكم من السـماء والأرض أمن يملك السـمع والأبصـار ومن يخـرج الحي من الميت ويخـرج الميت من الحي ومن يـدير الأمر فسـيقولون الله فقل أفلا تتقـون) [يونس: 31].

فليتدبر اللبيب العاقل، الناصح لنفسه، الذي يعرف: أن بعد الموت جنة، وناراً، هذا الموضع؛ ويعرف: الشرك بالله، الذي قال الله فيه: (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء: 48] وقال: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) [المائدة: 72] فما بعد هذا البيان، بيان، إذا كان الله عزَّ وجلَّ، قد حكى عن الكفار، أنهم مقرون: أنه هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، الذي يدبر الأمر؛ وإنما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم: التقرب، والشفاعة عند الله تعالى.

وكم آية في القرآن، ذكر الله فيها هذا، كقوله تعالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله) إلى قوله: (فأنى تسحرون) [المؤمنون: 84 ــ 89] وكقوله؛ (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر

(ص106) الشمس والقمر ليقولن الله) [العنكبوت: 61] (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) الآية [العنكوت: 63] وغير ذلك من الآيات، التي أخبر الله بها عنهم، أنهم أقروا بهذا لله وحده، وأنهم ما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم، إلا الشفاعة، لا غير ذلك.

فإن احتج بعض المشركين: أن أولئك، يعتقدون في الأصنام، وهي حجارة، وخشب؛ ونحن نعتقد: في الصالحين؛ قيل له: والكفار أيضاً، منهم من يعتقد في الصالحين، مثل الملائكة، وعيسى بن مريم، وفي الأولياء، مثل العزير، واللات، والعزى، وناس، من الجن، وغيرهم؛ وذكر الله عزَّ وجلَّ، ذلك في كتابه، فقال في الذين يعتقدون في الملائكة، ليشفعوا لهم: (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) [سبأ: 40 ـ 41] وقال: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) [الأنبياء: 28].

وقال فيمن اعتقد في عيسى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن

مـريم رسـول الله وكلمته ألقاها إلى مـريم وروح منـه) الآية [النساء: 171] وقال: (قل أتعبـدون من دون الله ما لا يملك لكم ضـراً ولا نفعـاً والله هو السـميع العليم) [المائـدة: 76] فإذا كان عيسى بن مريم، وهو من أفضل الرسل، قيل

(ص107) فيه هـذا، فكيف بعبد القـادر، وغـيره، أن يملك ضراً، أو نفعاً ؟ !.

وقال في حق الأوليـاء: (قل ادعـوا الـذين زعمتم من دونه فلا يملكـــون كشف الضر عنكم ولا تحـــويلاً، أولئك الـــذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) [الإسراء: 56 ــ 57] قال طائفة من السلف: كـان أقـوام، يـدعون الملائكـة، وعزيراً، والمسيح، فقال الله: هؤلاء عبيدي، كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي، كما ترجون أنتم رحمـتي، ويخـافون عـذابي، كما تخافون عـذابي؛ فـرحم الله امـرءاً: تفكر في هـذه الآية العظيمة، وفيما نزلت فيه؛ وعرف: أن الـذين اعتقـدوا فيهم، إنما أرادوا التقرب إلى الله، والشفاعة عنده.

وهــذا كلــه، يــدور على كلمــتين: الأولى: أن تعــرف، أن الكفار، يعرفون: أن الله سـبحانه هو الخـالق الـرازق، الـذي يــدبر الأمــر، وحــده؛ وإنما أرادوا: التقــرب بهــؤلاء، إلى الله تعــالى؛ والثانيــة: أن تعــرف أن منهم أناســاً، يعتقــدون في أنــاس، من الأنبيــاء، والصــالحين، مثــل: عيســى، والعزيــر، والأوليـاء؛ فصـاروا هم، والـذين يعتقـدون في الأصـنام، من الحجر، والشجر، واحداً، فلما قاتلهم رسـول الله لم يفـرق بين الذين: يعتقدون في الأوثان، من الخشب، والحجـر، وبين الذين: يعتقدون في الأنبياء، والصـالحين؛ على أن أهل زماننا هذا، يعتقدون، في الحجارة، على

(ص108) القبور، والشجر الذي عليها.

إذا تــبين هــذا، وأنه ليس من دين اللــه؛ وقــال بعد ذلــك، المشـــرك: هـــذا بين، نعرفه من أول... فقل لـــه: إذا كـــان أصـحاب رسـول الله لم يعرفـوا هـذا، إلا بعد التعلم، ومن الشرك أشياء، ما عرفوها إلا بعد سنين؛ وأنت عرفت هذا بلا

تعلم، فأنت أعلم منهم ! بل الأنبياء: لم يعرفوا هذا، إلا بعد أن علمهم الله تعالى، قال الله تعالى، لأعلم الخلق، محمد (فاعلم أنه لاإله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) [محمد: 19] وقال تعالى: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونَنَّ من الخاسرين، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) [الزمر: 65 ـ 66].

فإذا كان هذا نبينا، فما بال الخليل إبراهيم عليه السلام، يوصي بها أولاده، وهم أنبياء ؟ قال تعالى: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [البقرة: 132] و (قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان: 13] فإذا كان هذا أمر، لا يخاف على المسلمين منه، فما بال الخليل، يخاف على نفسه، وعلى بنيه، وهم أنبياء ؟ حيث قال: (رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم: 35].

(ص109) وما بال العليم الحكيم، لما أنزل كتابه، ليخرج الناس، من الظلمات، إلى النور، جعله في هذا الأمر، وكثر الكلام فيه، وبينه، وضرب فيه الأمثال، وحذر منه، وأبدى وأعاد ؟ فإذا كان الناس، يفهمونه بلا تعلم، ولا يخاف عليهم من الوقوع فيه، فما بال رب العالمين، جعل أكثر كتابه فيه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من خلقه، فأصمهم وأعمى أبصارهم.

وأنت يا من منَّ الله عليه بالإسلام، وعرف أن ما من إله إلا الله؛ لا تظن أنك إذا قلت: هذا هو الحق، وأنا تارك ما سواه، لكن لا أتعرض للمشركين، ولا أقول فيهم شيئاً، لا تظن: أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل: لا بدَّ من بغضهم، وبغض من يحبهم، ومسبتهم، ومعاداتهم؛ كما قال أبوك إبراهيم، والذين معه: (إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) [الممتحنة: 4] وقال تعالى:

(فمن يكفر بالطـاغوت ويـؤمن بالله فقد استمسك بـالعروة الوثقى) [البقرة: 256] وقال تعـالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل: 36].

ولو يقـول رجـل: أنا اتبع النـبي وهو على الحـق، لكن: لا أتعرض اللات، والعزى، ولا أتعرض أبا جهل، وأمثاله، ما علي منهم؛ لم يصح إسلامه؛ وأما مجادلة بعض

(ص110) المشـركين، بـأن هـؤلاء الطـواغيت، ما أمـروا الناس بهذا، ولا رضوا به، فهـذا لا يقولـه، إلا مشـرك مكـابر؛ فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل، ولا ترأسـوا عليهم، ولا قربـــوا من قربـــوا، إلا بهـــذا؛ وإذا رأوا رجلاً صـــالحاً: استحقروه، وإذا رأوا مشركاً، كافراً، تابعاً الشيطان، قربــوه، وأحبوه، وزوجوه بناتهم، وعدوا ذلك شرفاً ! !.

وهـــذا القائـــل: يعلم أن قوله ذلك كـــذب، فإنه لو يحضر عنـدهم، ويسـمع بعض المشـركين يقـول: جـاءتنى شـدة، فنخيت الشيخ، أو السيد، فنذرت له، فخلصـني؛ لم يجسر أن يقول هذا القائل: لا يضـر، ولا ينفع إلا اللـه؛ بل لو قـال هـذا، وأشـاعه في النـاس، لأبغضه الطـواغيت؛ بل لو قـدروا على قتله، لقتلوه؛ وبالجملة: لا يقول هذا، إلا مشرك، مكـابر، وإلا فدعواهم هذه، وتخويفهم الناس، وذكرهم السوالف الكفرية، التي بآبائهم، شيء مشهور، لا ينكـره من عـرف حـالهم، كما قال تعالى: (شاهدين على أنفسهم بالكفر) [التوبة: 17] 0

ولنختم الكتاب، بـذكر آية من كتـاب اللـه، فيها عـبرة لمن اعتـبر، قـال تعـالى، في حق الكفـار: (وإذا مسـكم الضر في البحر ضل من تـدعون إلا إيـاه) [الإسـراء: 67] فـذكر عن الكفـار: أنهم إذا جـاءتهم الشـدة، تركـوا غـيره، وأخلصـوا له الدين؛ وأهل زماننا: إذا جاءتهم الشدة، والضر، نخوا غير الله سبحانه وتعالى عن ذلك.

(ص111) فرحم اللـه: من تفكر في هـذه الآيـة، وغيرهـا، من الآيـــات؛ وأما من: منَّ الله عليه بالمعرفـــة، فليحمد الله تعالى؛ وإن أشكل عليه شيء، فليسأل أهل العلم، عما قـال الله ورسوله، ولايبادر بالإنكار، لأنه إن رد، رد على الله، قـال

الله تعالى: (ومن أظلم ممن ذكر بآيـات ربه ثم أعـرض عنها إنا من المجرمين منتقمون) [السجدة: 22].
واعلم رحمك الله: أن أشياء، من أنواع الشرك الأكبر، وقع فيه بعض المصـنفين، على جهالـة، لم يفطن لـه، من ذلـك، قوله في البردة: ـ
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحـادث العمم
وفي الهمزية: جنس هـذا، وغـيره أشـياء كثـيرة؛ وهـذا من الدعاء، الذي هو من العبادة، التي لا تصلح إلا لله وحده؛ وإن جادلك بعض المشركين؛ بجلالة هذا القائل، وعلمه وصـلاحه، وقال بجهله: كيف هذا ؟ فقل لـه: أعلم منه وأجـل، أصـحاب موسى، الذين اختـارهم اللـه، وفضـلهم على العـالمين، حين قـالوا: (يا موسى اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهـة) [الأعـراف: 138] فـإذا خفي هـذا على بـني إسـرائيل، مع جلالتهم، وعلمهم، وفضلهم؛ فما ظنك: بغيرهم ؟
وقل لهذا الجاهل: أصلح من الجميع وأعلم، أصحاب محمد لما مـروا بشـجرة، قـالوا يا رسـول اللـه: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فحلف رسول الله أن
(ص112) هذا: كما قالت بنو إسـرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) ففي هذا: عبرتان عظيمتان.
الأولى: أن النـبي صـرح، أن من اعتقد في شـجرة، أو تـبرك بهـا: أنه قد اتخـذها إلهـاً، وإلا فأصـحاب رسـول الله يعرفـون أنها لا تخلـق، ولا تـرزق، وإنما ظنـوا أن النـبي إذا أمرهم بالتبرك بها، صار فيها بركة.
والعبرة الثانية: أن الشرك، قد يقع فيمن هو أعلم النـاس، وأصلحهم، وهو لا يـدري، كما قيـل: الشـرك أخفى من دبيب النمـل؛ بخلاف قـول الجاهـل: هـذا بين نعرفـه؛ فـإذا أشـكل عليك من هـــذا شـــيء، وأردت بيانه من كلام أهل العلم، وإنكـارهم جنس الشـرك، الـذي حرمه اللـه، فهو موجـود؛ وأعـني كلام العلمـاء في هـذا، إن أردت من الحنابلـة، وإن أردت من غيرهم؛ والله أعلم.

وقال رحمه الله تعالى:

فصل في معنى: لا إله إلا الله، اعلم رحمك الله تعالى، أن " لا إله إلا الله " هي: الكلمة العالية، والشـريفة الغاليـة، من استمسك بها فقد سـلم، ومن اعتصم بها فقد عصـم، قـال رسـول الله ﷺ: " من قـال لا إله إلا اللـه، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عزّ وجلّ.

والحديث يفصح: أن لا إله إلا الله، لها لفظ ومعنى،

(ص113) ولكن النـاس فيها ثلاث فـرق؛ فرقة نطقـوا بها وحققوهـا، وعلمـوا أن لها معـنى وعملـوا بـه، ولها نـواقض فاجتنبوها.

وفرقة: نطقوا بها في الظاهر، فزينـوا ظـواهرهم بـالقول، واسـتبطنوا الكفر والشـك. وفرقة نطقـوا بهـا، ولم يعملـوا بمعناها، وعملـوا بنواقضـها، فهـؤلاء (الـذين ضل سـعيهم في الحياة الـدنيا وهم يحسـبون أنهم يحسـنون صـنعاً) [الكهـف: 104].

فالفرقة الأولى، هي: الناجية، وهم المؤمنون حقاً؛ والثانية، هم: المنـافقون؛ والثالثـة، هم: المشـركون؛ فلا إله إلا اللـه: حصن، ولكن نصبوا عليه منجـنيق التكـذيب، ورمـوه بحجـارة التخريب، فدخل عليهم العدو، فسلبهم المعـنى، وتـركهم مع الصـــورة؛ وفي الحـــديث: { إن الله لا ينظر إلى صـــوركم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } سـلبوا معـنى: لا إله إلا الله، فبقي معهم لقلقة باللسان، وقعقعة بالحروف، وهو ذكر الحصن لا مع الحصن، فكما أن ذكر النـار لا يحـرق، وذكر المـاء لا يغـرق، وذكر الخـبز لا يشـبع، وذكر السـيف لا يقطع، فكذلك ذكر الحصن لا يمنع.

فـإن القـول: قشـر، والمعـنى: لب، والقـول: صـدف، والمعـنى: در؛ مـاذا يصـنع بالقشر مع فقـدان اللب ؟! ومـاذا يصـنع بالصـدف مع فقـدان الجـوهر ؟ !. لا إله إلا اللـه، مع معناهـا، بمنزلة الـروح من الجسـد، لا ينتفع بالجسد دون الروح، فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة دون معناها. فعالم

(ص114) الفضل أخـذوا بهـذه الكلمة بصـورتها ومعناهـا، فزينوا بصورتها ظواهرهم بالقول، وبواطنهم بـالمعنى، وبـرز لهم شـهادة القـدم بالتصـديق (شـهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولـوا العلم قائمـاً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)، [آل عمران: 18].

وعـالم العـدل: أخـذوا هـذه الكلمة بصـورتها دون معناهـا، فزينوا ظواهرهم بالقول، وبواطنهم بالكفر، بالاعتقاد فيمن لا يضر ولا ينفـع، فقلـوبهم مسـودة مظلمـة، لم يجعل الله لهم فرقاناً يفرقـون به بين الحق والباطـل، ويـوم القيامة يبقـون في ظلمة كفرهم (ذهب الله بنورهم وتـركهم في ظلمـات لا يبصرون)، [البقرة: 17].

فمن قـال: لا إله إلا اللـه، وهو عابد لهـواه، ودرهمـه، وديـنـاره، ودنيـاه، مـاذا يكـون جوابه يـوم القيامة لمـولاه ؟ (أفـرأيت من اتخذ إلهه هـواه) [الجاثيـة: 23] " تعس عبد الـدينار، تعس عبد الـدرهم، تعس عبد الخميصـة، تعس عبد الخميلـة، إن أعطى رضـي، وإن لم يعط سـخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش ".

إذا قلت: لا إله إلا الله، فإن كـان مسـكنها منك اللسـان لا ثمرة لها في الثمـرة، فـأنت منـافق؛ وإن كـان مسـكنها منك القلب، فـأنت مـؤمن، وإيـاك أن تكـون مؤمنـاً بلسـانك دون قلبك، فتنادى عليك هـذه الكلمة في عرصـات القيامـة، إلهي صحبته كذا وكذا سنة، فمات اعترف بحقي، ولا رعى لي

(ص115) حرمتي، حق رعايتي؛ فإن هذه الكلمـة: تشـهد لك، أو عليك.

فعالم الفضل: تشهد لهم بـالإحترام، حـتى تـدخلهم الجنـة؛ وعـالم العـدل، تشـهد لهم: بـالإجترام، حـتى تـدخلهم النـار (فريق في الجنة وفريق في السعير)، [الشورى: 7].

لا إله إلا اللـه: شـجرة السـعادة؛ إن غرسـتها في منبت التصديق، وسقيتها من ماء الإخلاص، ورعيتها بالعمل الصالح، رسـخت عروقهـا، وثبت سـاقها، واخضـرت أوراقهـا، وأينعت

ثمارهــا، وتضــاعف أكلها (تــؤتى أكلها كل حين بــإذن ربهــا)، [إبراهيم: 25].

وإن غرست هذه الشجرة، في منبت التكـذيب، والشـقاق، وأسقيتها بماء الرياء، والنفـاق، وتعاهـدتها بالأعمـال السـيئة، والأقـوال القبيحـة، وطفح عليها غـدير العـذر، ولفحها هجـير هجر، تنـاثرت ثمارهـا، وتسـاقطت أوراقهـا، وانقشع سـاقها، وتقطعت عروقهـا، وهبت عليها عواصف القـذر، ومزقتها كل ممزق (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)، [الفرقان: 23].

فإذا تحقق المسلم هذا، فلا بد معه من تمـام: بقية أركـان الإسـلام، كما في الحـديث الصـحيح: " بـنى الإسـلام على خمس، شـهادة أن لا إله إلا اللـه، وأن محمـداً رسـول اللـه، إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان،

(ص116) وحج الـبيت الحـرام، من اسـتطاع إليه سـبيلا، ومن كفر فـإن الله غـني عن العـالمين " وصـلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وسـئل رحمه اللـه، عن: معـنى: " لا إله إلا الله " فأجـاب: اعلم رحمك اللــه، أن هــذه الكلمــة، هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي: كلمة التقـوى، وهي: العـروة الـوثقى، وهي: الــتي جعلها إبــراهيم عليه الســلام: (كلمة باقية في عقبة لعلهم يرجعــون) [الزخــرف: 28] وليس المــراد: قولها باللسـان مع الجهل بمعناهـا، فـإن المنـافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصـلون، ويصــومون، ويتصــدقون؛ ولكن المــراد: معرفتها بــالقلب، ومحبتها ومحبة أهلهـا، وبغض من خالفها ومعاداتـه، كما قـال صلى الله عليه وسلم " من قال لا إله إلا الله مخلصاً " وفي روايـة: " صـادقا من قلبه " وفي لفـظ: " من قـال لا إله إلا اللــه، وكفر بما يعبد من دون الله " إلى غــير ذلك من الأدلة الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

واعلم: أن هــذه الكلمــة، نفي، وإثبــات؛ نفي الألوهية عما سوى الله تبـارك وتعـالى، من المخلوقـات، حـتى عن محمد

صلى الله عليه وسلم وعن الملائكة، حتى جبرائيل، فضلا عن غيرهم، من الأولياء، والصالحين؛ إذا فهمت ذلك: فتأمل هذه الألوهية، التي أثبتها الله لنفسه، ونفاها عن محمد،

(ص117) وجبرائيل عليهما السلام، فضلا عن غيرهما من الأولياء، والصالحين، وأن يكون لهم مثقال حبة خردل.

إذا عرفت هذا، فاعلم: أن هذه الألوهية، هي التي تسميها العامة، في زماننا: السر، والولاية؛ فالإله معناه: الولي الذي فيه السر؛ وهو الذي يسمونه: الفقير، والشيخ؛ وتسمية العامة: السيد، وأشباه هذا؛ وذلك: أنهم يظنون، أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزله، يرضى أن الإنسان يلتجىء إليهم، ويرجوهم، ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه، وبين الله؛ فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا: أنهم وسائطهم؛ هم: الذين يسميهم الأولون، الإله، والواسطة هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله، إبطال للوسائط.

إذا أردت أن تعرف هذا، معرفة تامة، فذلك بأمرين؛ الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقتلهم، وغنم أموالهم، واستحل دماءهم، وسبى نساءهم، كانوا مقرين لله: بتوحيد الربوبية؛ وهو أنه لايخلق إلا الله، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمر إلا الله، كما قال تعالى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) [يونس: 31].

وهذه: مسألة عظيمة، مهمة؛ وهي: أن تعرف أن

(ص118) الكفار شاهدون بهذا كله، ومقرون به، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام، ولم يحرم دماءهم، وأموالهم؛ وكانوا أيضا: يتصدقون، ويحجون، ويعتمرون، ويتعبدون، ويتركون أشياء من المحرمات، خوفا من الله عزَّ وجلَّ.

ولكن الأمر الثاني، هو: الذي كفرهم، وأحل دماءهم، وأموالهم؛ وهو: أنهم لا يشهدون الله بتوحيد الألوهية، وهو أنه: لا يدعى إلا الله، ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا

يستغاث بغيره، ولايذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا لملك مقرب، ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره، فقد كفر، ومن ذبح لغيره، فقد كفر، ومن نذر لغيره، فقد كفر؛ وأشباه هذا.

وتمام هذا: أن تعرف أن المشركين، الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الملائكة، وعيسى، وعزيراً، وغيرهم من الأولياء، فكفرهم الله بهذا، مع إقرارهم بأن الله هو الخالق، الرازق، المدبر؛ فإذا عرفت: معنى لا إله إلا الله؛ وعرفت: أن من نخا نبيا، أو ملكا، أو ندبه، أو استغاث به، فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر، الذي قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر؛ لكن هؤلاء الصالحين: مقربون، ونحن ندعوهم، وننذر لهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم،

(ص119) نريد بذلك الجاه، والشفاعة، وإلا فنحن نفهم: أن الله هو المدبر؛ فقل: كلامك هذا، دين أبي جهل، وأمثاله؛ فهم يدعون: عيسى، وعزيراً، والملائكة، والأولياء، يقولون: (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: 3] وقال: (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يونس: 18].

فإذا تأملت هذا تأملاً جيداً، عرفت: أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو التفرد بالخلق، والرزق، والتدبير، فهم ينخون عيسى، والملائكة، والأولياء يقصدون: أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده؛ وعرفت: أن الكفار، خصوصاً النصارى؛ منهم: من يتعبد الليل، والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلا في صومعة عن الناس، ومع هذا: كافر، عدو لله، مخلد في النار، بسبب اعتقاده في عيسى، أو غيره من الأولياء، يدعوه ويذبح له، وينذر له؛ وتبين لك: أن كثيرا من الناس عنه بمعزل؛ وتبين لك: معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريبا كما بدأ ".

فاللـه، اللـه، إخـواني: تمسـكوا بأصل دينكم أوله وآخـره، اسه ورأسه، وهو: شهادة أن لاإله إلا الله؛ واعرفوا: معناهـا؛ وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيـدين؛ واكفـروا بالطواغيت، وعـادوهم، وابغضـوا من أحبهم، أو جـادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال ماعلي

(ص120) منهم، أو قال ماكلفني الله بهم، فقد كذب هـذا على اللـه، وافـترى؛ بـل: كلفه الله بهم، وفـرض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم؛ ولو كانوا: إخوانه، وأولاده؛ فاللـه، اللـه، تمســكوا بأصل دينكم، لعلكم تلقــون ربكم، لا تشــركون به شيئا؛ اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام: بآية ذكرها الله في كتابه، تبين لك: أن كفر المشــركين، من أهل زمانــا، أعظم من كفر الــذين قـاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعـالى: (وإذا مسـكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) الآية [الإسراء: 67] فقد ذكر الله تعالى، عن الكفار، أنهم إذا مسهم الضر، تركوا الســادات، والمشـائخ، فلا يـدعونهم، ولا يسـتغيثون بهم؛ بل يخلصون لله وحده، لا شريك له، ويستغيثون بـه، ويوحدونـه؛ فإذا جاء الرخاء: أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يـدعي أنه من أهل العلم، وفيه زهـد، واجتهـاد، وعبـادة؛ وإذا مسه الضـر، يسـتغيث بغـير اللـه، مثـل: معـروف؛ وعبد القـادر، الجيلاني؛ وأجل من هـؤلاء، مثـل: زيد بن الخطـاب، والزبـير؛ وأجل من ذلك، مثل: رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله المســتعان؛ وأعظم من ذلــك، وأعظم: أنهم يســتغيثون بـالطواغيت، والكفـرة، المـردة، مثـل: شمسـان؛ وإدريس، ويوسف، وأمثالهم؛ والله أعلم.

(ص121) وقال رحمة الله تعالى:

اعلم رحمك اللـه: أن فـرض معرفـة، شـهادة أن لا إله إلا اللـه، قبل فـرض الصـلاة، والصـوم؛ فيجب على العبـد: أن يبحث عن معنى ذلك، أعظم من وجـوب بحثـه، عن الصـلاة، والصـوم؛ وتحـريم الشـرك، والإيمـان بالطـاغوت: أعظم من

تحريم نكاح الأمهات، والعمات؛ فأعظم مراتب الإيمان بالله: شهادة أن لا إله إلا الله.

ومعنى ذلك، أن يشهد العبد: أن الإلهية كلها لله، ليس منها شيء لنبي، ولا لملك، ولا لولي، بل هي حق الله على عبادة، والألوهية، هي التي تسمى في زماننا: السر؛ والإله في كلام العرب، هو الذي يسمى في زماننا: الشيخ، والسيد، الذي يدعى به، ويستغاث به؛ فإذا عرف الإنسان: أن هذا الذي يعتقده كثيرون، في شمسان، وأمثاله، أو قبر بعض الصحابة، هو: العبادة التي لا تصلح إلا لله، وأن من اعتقد في نبي من الأنبياء، فقد كفر، وجعله مع الله إلها آخر، فهذا لم يكن قد شهد أن لا إله إلا الله.

ومعنى الكفر بالطاغوت: أن تبرأ من كل مايعتقد فيه غير الله، من جنى، أو أنسى، أو شجر، أو حجر، أو غير

(ص122) ذلك؛ وتشهد عليه بالكفر، والضلال، وتبغضه، ولو كان أنه أبوك أو أخوك؛ فأما من قال أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض السادة، والقباب على القبور، وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول لا إله إلا الله، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت.

وهذا: كلام يسير، يحتاج إلى بحث طويل، واجتهاد في معرفة دين الإسلام، ومعرفة ماأرسل الله به رسوله صلى الله صلى الله عليه وسلم والبحث عما قال العلماء، في قوله: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) [البقرة: 256] ويجتهد في تعلم ماعلمه الله رسوله، وما علمه الرسول أمته، من التوحيد؛ ومن أعرض عن هذا، فطبع الله على قلبه، وآثر الدنيا على الدين، لم يعذره الله بالجهالة، والله أعلم.

وله أيضا: قدس الله روحه، ونور ضريحه، مانصه: اعلم رحمك الله: أن معنى لا إله إلا الله، نفي، وإثبات؛ لا إله نفي، إلا الله إثبات؛ تنفي أربعة أنواع؛ وتثبت أربعة أنواع؛ المنفي الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

فالإله ما قصدته بشيء من جلب خير، أو دفع ضـر، فـأنت متخـذه إلهـا، والطـواغيت: من عبـد، وهو راض، أو ترشح للعبادة، مثل: شمسان؛ أو تاج، أو أبو حديدة.

والأنداد: ماجذبك عن دين الإسلام، من أهل، أو

(ص123) مسـكن، أو عشـيرة، أو مـال، فهـو: نـد، لقوله تعـالى: (ومن النـاس من يتخذ من دون الله أنـدادا يحبـونهم كحب الله) [البقرة: 165].

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق، وأطعته مصدقا، لقوله تعـالى: (اتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبـدوا إلها واحـدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) [التوبة: 31].

وتثبت: أربعة أنـواع، القصـد: كونك ماتقصد إلا اللـه؛ والتعظيم، والمحبة؛ لقوله عزَّ وجلَّ: (والـذين آمنـوا أشد حبا لله) [البقـرة: 165] والخـوف، والرجـاء؛ لقوله تعـالى: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يـردك بخـير فلا راد لفضـله يصـيب به من يشـاء من عبـادة وهو الغفـور الرحيم) [يونس: 107].

فمن عرف هذا: قطع العلائق من غير اللـه، ولا يكـبر عليه جهامة الباطـل، كما أخـبر الله عن إبـراهيم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، بتكسيره الأصـنام، وتبريه من قومـه؛ لقوله تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقـومهم إنا بـرءاء منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضـاء أبـدا حـتى تؤمنوا بالله وحده) [الممتحنة: 3].

وقال أيضا: قدس الله روحه، ونور ضـريحه: اعلم أرشـدك الله: أن الله خلقك لعبادته، وأوجب

(ص124) عليك طاعته؛ ومن أفرض عبادته عليك، معرفة: لا إله إلا اللـه، علمـا، وقـولا، وعملا؛ والجـامع لـذلك، قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقـوا) [آل عمـران 103] وقوله: (شرع لكم من الـدين ما وصي به نوحا والـذي

أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [الشورى: 13].

فاعلم: أن وصية الله لعباده , هي: كلمة التوحيد , الفارقة بين الكفر , والإسلام؛ فعند ذلك: افترق الناس , سواء جهلا , أو بغيا , أو عناداً؛ والجامع لذلك: اجتماع الأمة على وفق قول الله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله: (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) [يوسف: 108].

فالواجب: على كل أحد , إذا عرف التوحيد , وأقربه: أن يحبه بقلبه , وينصره بيده , ولسانه؛ وينصر من نصره , ووالاه؛ وإذا عرف الشرك , وأقربه: أن يبغضه بقلبه , ويخذله بلسانه , ويخذل من نصره , ووالاه , باليد , واللسان والقلب؛ هذه: حقيقة الأمرين؛ فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [آل عمران: 103]

فنقول: لا خلاف بين الأمة , أن التوحيد: لابد أن يكون بالقلب , الذي هو العلم؛ واللسان , الذي هو القول والعمل , الذي هو تنفيذ: الأوامر والنواهي؛ فإن أخل بشيء (ص125) من هذا , لم يكن الرجل مسلما , فإن أقر بالتوحيد , ولم يعمل به , فهو: كافر , معاند , كفرعون , وإبليس؛ وإن عمل بالتوحيد ظاهراً , وهو لا يعتقده باطناً , فهو: منافق خالصاً , أشر من الكافر؛ والله أعلم.

قال رحمه الله: وهو نوعان؛ توحيد: الربوبية؛ وتوحيد: الألوهية؛ أما توحيد: الربوبية , فأقر به الكافر ,والمسلم؛ وأما توحيد: الألوهية , فهو: الفارق بين الكفر , والإسلام؛ فينبغي لكل مسلم: أن يميز بين هذا , وهذا.

ويعرف: أن الكفار لا ينكرون , أن الله هو الخالق , الرازق , المدبر؛ قال الله تعالى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)الآية [يونس: 31] وقال: (ولئن سألتهم

من خلق السموات والأرض وسخر الشـمس والقمر ليقـولن الله) [العنكبوت: 61].

فإذا تبين لك: أن الكفار يقرون بذلك , عـرفت: أن قولك , لا يخلق , ولا يـرزق إلا الله , ولا يـدبر إلا اللـه؛ لا يصـيرك مسلماً , حتى تقول: لا إله إلا الله , مع العمل بمعناها؛ فهذه الأسماء , كل واحد منها , له معنى يخصه.

أما قولك: الخـالق , فمعنـاه: الـذي أوجد جميع مخلوقاته , بعد عدمها؛ وأما قولك: الرازق , فمعناه: أنه لما

(ص126) أوجد الخلق , عليهم أرزاقهم؛ وأما المدبر , فهو الذي تنزل الملائكة من السماء إلي الأرض بتدبيره , وتصـعد إلى السـماء بتـدبيره؛ ويسـير السـحاب , بتـدبيره ,وتصـرف الرياح ,بتدبيره, وكذلك جميع خلقه , هو الذي يـدبرهم , على ما يريد؛ فهذه الأسماء , التي يقر بها الكفـار , متعلقة بتوحيد الربوبية.

وأما توحيـد: الألوهيـة، فهو قولـك: لا إله إلا اللـه؛ وتعـرف معناهـا، كما عـرفت معـنى الأسـماء المتعلقة بالربوبيـة، فقولـك: لا إله إلا اللـه، نفي، وإثبـات؛ فتنفي: الألوهية كلهـا، وتثبتها لله وحده؛ فمعنى: الإله، في زماننا: الشـيخ، والسـيد. الـذي يقـال فيهمـا، أو غيرهمـا: سـر؛ ممن يعتقد فيهم أنهم: يجلبون منفعة؛ أو: يدفعون مضرة؛ فمن اعتقد في هـؤلاء، أو غيرهم، نبيا كان أو غيره، فقد اتخذه إلها من دون الله.

فـإن بـني إسـرائيل: لما اعتقـدوا في عيسى ابن مـريم، وأمـه، سـماهما الله إلهين؛ قـال تعـالى: (وإذ قـال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول مـاليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مـافي نفسي ولاأعلم مـافي نفسك إنك أنت علام الغيـوب) [المائـدة: 116] ففي هـذا: دليل على أن من اعتقد في مخلـوق، لجلب منفعـة، أو دفع مضرة، فقد: اتخذه إلها؛ فإذا كان الإعتقاد في الأنبياء، هذا

(ص127) حاله، فما دونهم أولى.

وأيضا: فإن من تبرك بحجر، أو شجر، أو مسح على قبر، أو قبة يتبرك بهم، فقد: اتخذهم آلهة؛ والدليل على ذلك: أن الصحابة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، يريدون بذلك التبرك، قال: " الله أكبر: إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون، قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) [الأعراف: 138 – 140].

فمثل: قول الصحابة في ذات أنواط، بقول بني إسرائيل، وسماه إلها؛ ففي هذا: دليل على أن من فعل شيئا مما ذكرنا، فقد اتخذه إلها.

والإله هو: المعبود، الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله وحده؛ فمن نذر لغير الله، أو ذبح له، فقد: عبده؛ وكذلك: من دعا غير الله قال الله: (ولا تدع من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) [يونس: 106] وفي الحديث: " الدعاء مخ العبادة " وكذلك: من جعل بينه، وبين الله واسطة، وزعم أنها تقربه إلى الله، فقد عبده

وقد ذكر الله ذلك عن الكفار، فقال تعالى: (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا

(ص128) عند الله) [يونس: 18] وقال تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: 3] وكذلك ذكر عن الذين: جعلوا الملائكة وسائط، فقال، (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) [سبأ: 40 – 41].

فذكر سبحانه: أن الملائكة نزهوه عن ذلك، وأنهم تبرؤوا من هؤلاء، وأن عبادتهم كانت للشياطين، الذين يأمرونهم بذلك، وذكر سبحانه عن الذين: جعلوا الصالحين وسائط، فقال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغون

الى ربهم الوسـيلة أيهم أقـرب ويرجـون رحمته ويخـافون عذابه إن عـذاب ربك كـان محـذورا) [الإسـراء: 56 - 57]
وذكر سبحانه: أنهم لا يملكون كشف الضر عن أحـد، ولا عن أنفسهم؛ وأنهم لا يحولونه عن أحـد؛ وأنهم يبتغـون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه؛ فهـذا: يبين لك معنى لا إله إلا الله.

فـإذا عـرفت: حـال المعتقـدين في عيسى بن مـريم؛ والمعتقدين في الملائكة، والمعتقدين في الصالحين؛ وحالهم معهم، أنهم: لا يملكـون لأنفسـهم ضـرا ولا نفعـا، فضلا عن غـيرهم، عـرفت: أن من اعتقد فيمن دونهم أضل سـبيلا؛ فحينئذ: يتبين لك معنى لا إله إلا الله، والله أعلم.

(ص129) مذاكرة الشيخ: أهل حرمة.

قال لهم: لا إله إلا الله، سألنا عنها كل من جاءنا منكم من مطوع، ولا وجدنا عندهم، إلا أنها لفظة مالها معنى ! ومعناها لفظها ! ومن قالها فهو مسـلم ! ووقتـاً يقولـون لها معـنى، لكن معناها لا شريك له في ملكه !

ونحن نقـول: لا إله إلا اللـه، ليست باللسـان فقـط، لابد للمسـلم إذا لفظ بهـا، أنه يعـرف معناها بقلبـه؛ وهي الـتي جاءت لها الرسل، وإلا فالملك ماجاءت الرسل له.

وأنا أبين لكم إن شـاء الله مسـألة التوحيـد، ومسـألة الشرك؛ تعرفون: المشهد فيه قبة، والذي من الرجال صـلى الظهر، قام واسـتقبل القـبر، وولى الكعبة قفـاه، وركع لعلي ركعتين، صلاته لله توحيد، وصلاته لعلي شرك، أأنتم فهمتم ؟ قالوا: فهمنا، وصار هذا مشركا، صلى لله، وصلى لغيره.

ولله سبحانه حق على عبده، في البدن، والمال؛ والصـلاة: زكـاة البـدن؛ والزكـاة في المـال حق للـه؛ فـإذا زكيت للـه، وخـرجت بشـيء تقسـمه عند القبـة، فزكاتك لله توحيـد، وزكاتك للمخلـوق شـرك؛ كـذلك سـفك الـدم: إن ذبحت لله توحيد، وإن ذبحت لغيره صار شركا، كما قال تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العـالمين لا شـريك

له) [الأنعام: 162] والنسك: سفك الدم؛ كـذلك التوكـل، من أنواع العبادة، إن توكلت على الله صار توحيدا؛ وإن
(ص130) تـوكلت على صـاحب القبـة، صـار شـركا، قـال تعالى: (فاعبده وتوكل عليه) [هود: 123].

وأكــبر من ذلك كلــه: الــدعاء؛ تفهمــون: أن الــدعاء مخ العبادة؛ قـالوا: نعم؛ قـال الله تعـالى: (وأن المسـاجد لله فلا تـدعوا مع الله أحـدا) [الجن: 18] أنتم تفهمـون: أن هنا من يدعو الله، ويدعو الزبير، ويدعو الله، ويدعو عبد القادر، الذي يــدعو الله وحــده، مخلص؛ وإن دعا غــيره صــار مشــركا، فهمتهم هذا ؟ قالوا: فهمنا؛ قـال الشـيخ: هـذا إن فهمتمـوه، فهذا الذي بيننا وبين الناس.

فإن قالوا: هؤلاء يعبدون أصناما، ويدعونهم، يريدون منهم؛ ونحن عبيـد، مـذنبون، وهم صـالحون، ونبغي بجـاههم؛ فقل لهم: عيسى نــبي الله عليه الســلام، وأمه صــالحة، والعزير صـالح، والملائكة كـذلك؛ والـذين يـدعونهم: أخـبر الله عنهم، وأنهم ماأرادوا منهم ماأرادوا، إلا بجاههم، قربة، وشفاعة.

واقـرأ عليه الآيـات في الملائكـة، في قوله تعـالى: (ويـوم يحشرهم) الآية [سبأ: 40] وفي الأنبياء، قوله: (ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الآية [النساء: 171] وفي الصالحين: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونـه) الآية [الإسـراء: 56] ولا فـرق بينهم صلى الله عليه وسلم.

وسئل عن قوله صلى الله عليه وسلم " من قـال لا إله إلا الله صادقا "
(ص131) والحــديث الآخــر: " مخلصا دخل " مــامعنى الصـــدق ؟ والإخلاص ؟ والفـــرق بينهما ؟ وأيضا حـــديث: البطاقــة، كونها رجحت بتلك الســجلات، لما تضــمنت من الإخلاص، والصدق؛ مامعنى: الصدق في ذلك ؟

فأجاب رحمه الله:

المسألة كبيرة؛ ولما ذكر الإمـام أحمد الصـدق، والإخلاص، قال: بهما ارتفع القـوم؛ ولكن يقربهما إلى الفهم: التفكر في بعض أفراد العبادة، مثل الصـلاة، فـالإخلاص فيهـا، يرجع إلى

إفرادها عما يخالطها كثـيرا، من الريـاء، والطبـع، والعـادة , وغيرها , والصدق , يرجع إلي: إيقاعها على الوجه المشروع؛ ولو أبغضه النـاس لـذلك , وحـديث البطاقـة: أنه رزق عند الخاتمة قولها , على ذلك الوجه؛ والأعمال بـالخواتيم؛ مع أن على بقية إشكالٍ , والله أعلم.

وقـال ايضـاً: الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب , رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه: أمور , خالف فيها رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ما عليه أهل الجاهليـة: الكتـابيين ,و الأمـيين ,و مما لا غـنى للمسلم عن معرفتها.

فالضد يظهر حسنة الضد وبضدها تتبين الأشياء

(ص132) فـأهم ما فيها , وأشـدها خطـراً: عـدم إيمـان القلب , بما جـاء به الرسـول صـلى الله عليه وسـلم فـإن انضـــاف إلي ذلك استحســـان ما عليه أهل الجاهلية , تمت الخسـارة؛ كما قـال تعـالى: (والـذين آمنـوا بالباطل وكفـروا بالله أولئك هم الخاسرون) [العنكبوت: 52].

المسـألة الاولى: أنهم يتعبـدون بإشـراك الصـالحين , في دعاء الله , وعبادته , يريـدون شـفاعتهم عند الله , كما قـال تعـــالى: (ويعبـــدون من دون الله ما لا يضـــرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يونس: 18] وقال تعـالى: (والـذين اتخـذوا من دونه أوليـاء ما نعبـدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفى) [الزمـر: 3] وهـذه: أعظم مسـألة , خـالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم , فـأتى بـالإخلاص , وأخـبر أنه دين الله , الذي أرسل به جميع الرسل , وأنه لا يقبل من الأعمـال إلا الخـالص؛ وأخـبر؛ أن من فعل ما يستحسـنونه , فقد حـرم الله عليه الجنة , ومـأواه النـار؛ وهـذه المسـألة , هي: التي تفرق الناس لأجلها , بين مسـلم , وكـافر؛ وعنـدها وقعت العـداوة , ولأجلها شـرع الجهـاد , كما قـال تعـالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الأنفال: 39].

المسـألة الثانيـة: أنهم متفرقـون في دينهم , كما قـال تعالى: (كل حزب بما لديهم فرحون)[الروم: 32] وكذلك في دنياهم , ويرون ذلك هو الصواب , فأتى بالاجتماع في الـدين بقوله: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا

(ص133) والـذي أوحينا إليك وما وصـينا به إبـراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)[الشـورى: 13] وقال تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شـيعا لست منهم في شيء) [الأنعام: 159] ونهانا عن مشابهتهم بقولـه: (ولا تكونـوا كالـذين تفرقـوا واختلفـوا من بعد ما جـاءهم البينـات) [آل عمـران: 105] ونهانا عن التفـرق في الـدين , بقوله: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [آل عمـران: 103].

المسـألة الثالثـة: أن مخالفة ولي الأمر عنـدهم , وعـدم الانقيـاد له , فضـيلة , والسـمع والطاعة ,ذل , ومهانـة؛ فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصبر على جـور الـولاة وأمر بالسـمع والطاعة لهم , والنصـيحة , وغلظ في ذلك , وأبدى فيه وأعـاد , وهـذه الثلاث , الـتي جمع بينها فيما ذكر عنه , في الصحيحين أنه قال: " إن الله يرضى لكم ثلاثا , أن تعبـدوا الله ولا تشـركوا به شـيئا , وأن تعتصـموا بحبل الله جميعا , ولا تفرقـوا , وأن تناصـحوا من ولاه الله أمركم " ولم يقع خلل في دين الناس , ودنيـاهم , إلا بسـبب الإخلال بهذه الثلاث , أو بعضها.

الرابعـة: أن دينهم مبـني على أصـول , أعظمهـا: التقليـد؛ فهو: القاعـدة الكـبرى , لجميع الكفـار , أولهم وآخـرهم, كما قال تعالى: (وكـذلك ما أرسـلنا من قبلك في قرية من نـذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على

(ص134) آثارهم مقتدون) [الزخرف: 23] وقـال تعـالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كـان الشـيطان يـدعوهم إلي عـذاب السـعير) [لقمـان: 21] فأتـاهم بقولـه: (قل إنما أعظكم بواحـدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكـروا ما بصـاحبكم من جنـة)

[سبأ: 46] وقوله: (اتبعوا ما أنـزل إليكم من ربكم ولا تتبعـوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) [الأعراف: 3].
الخامســة: أن من أكــبر قواعــدهم , الاغــترار بــالأكثر , ويحتجــون به على صــحة الشــيء , ويســتدلون على بطلان الشــيء , بغربته , وقلة أهله , فأتــاهم بضد ذلك , وأوضــحه في غير موضع من القرآن. السادسة: الاحتجاج بالمتقدمين , كقوله: (فما بال القرون الأولى: [طه: 51] (ما سـمعنا بهـذا في آبائنا الأولين) [المؤمنون: 24].
السـابعة: الاسـتدلال بقـوم , أعطـوا قـوى في الأفهـام والأعمــال , وفي الملك , والمــال , والجــاه؛ فــرد الله ذلك بقوله: (ولقد مكناهم فيما إن مكنـاكم فيـه) الآية [الأحقـاف: 26]وقوله (وكـانوا من قبل يسـتفتحون على الـذين كفـروا فلما جـاءهم ما عرفـوا كفـروا بـه) [البقـرة: 89] وقولـه: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) الآية [البقرة: 146].
الثامنـة: الاسـتدلال على بطلان الشـيء , بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء , كقولـه: (أنـؤمن لك واتبعك الأرذلـون) [الشـعراء: 111] وقوله: (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فرده الله
(ص135) بقوله: (أليس الله بأعلم بالشـاكرين) [الأنعـام: 53].
التاسـعة: الاقتـداء بفسـقة العلمـاء، فـأتى بقولـه: (يا أيها الذين آمنـوا إن كثـيراً من الأحبـار والرهبـان ليـأكلون أمـوال النــاس بالباطل ويصــدون عن ســبيل اللــه) [التوبــة: 34] وبقوله: (لا تغلوا في دينكم غـير الحق ولا تتبعـوا أهـواء قـوم قد ضلوا من قبل وأضـلوا كثـيراً وضـلوا عن سـواء السـبيل) [المائدة: 77].
العاشرة: الاستدلال على بطلان الدين، بقلة أفهـام، أهلـه، وعدم حفظهم، كقوله: (بادي الرأي) [هود: 27].
الحادية عشر: الاستدلال بالقياس الفاسد، كقوله: (إن أنتم إلا بشر مثلنا) [إبراهيم: 10].
الثانية عشـر: إنكـار القيـاس الصـحيح؛ والجـامع لهـذا وما قبله: عدم فهم الجامع، والفارق.

الثالث عشر: الغلو في العلماء، والصالحين، كقوله: (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) [النساء: 171].

الرابعة عشر: أن كل ما تقدم، مبني على قاعدة، وهي: النفي، والإثبات؛ فيتبعون الهوى، والظن، ويعرضون عما آتاهم الله

الخامسة عشر: اعتذارهم عن اتباع الله، بعدم

(ص136) الفهم، كقوله: (قلوبنا غلف) [البقرة: 88] (يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول) [هود: 91] فأكذبهم الله، وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم؛ والطبع: بسبب كفرهم.

السادسة عشر: اعتياضهم عما أتاهم من الله، بكتب السحر، كما ذكر الله ذلك، في قوله: (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) [البقرة: 101 – 102].

السابعة عشر: نسبة باطلهم إلى الأنبياء، كقوله: (وما كفر سليمان) [البقرة: 102] وقوله: (ما كان يهودياً ولا نصرانياً) [آل: عمران 67].

الثامنة عشر: تناقضهم في الانتساب، ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه.

التاسعة عشر: قدحهم في بعض الصالحين، بفعل بعض المنتسبين، كقدح اليهود في عيسى، وقدح اليهود، والنصارى، في محمد صلى الله عليه وسلم.

العشرون: اعتقادهم في مخاريق السحرة، وأمثالهم، أنها من كرامات الصالحين، ونسبته إلى الأنبياء، كما نسبوه لسليمان.

الحادية والعشرون: تعبدهم بالمكاء، والتصدية.

الثانية والعشرون: أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

(ص137) الثالثة والعشـرون: أن الحيـاة الـدنيا غـرتهم؛ فظنوا: أن عطاء الله منها , يدل على رضـاه , كقولـه: (نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) [سبأ: 35].

الرابعة والعشـرون: تـرك الـدخول في الحق , إذا سـبقهم إليه الضعفاء , تكبراً , وأنفة , فأنزل اللـه: (ولا تطـرد الـذين يدعون ربهم) [الأنعام: 52 –55].

الخامسة والعشــرون: الاســتدلال على بطلانه , بســبق الضعفاء , كقوله: (لو كان خيراً ما سـبقونا إليـه) [الأحقـاف: 11].

السادسة والعشـــرون: تحريف كتـــاب الله , من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

السابعة والعشرون: تصنيف الكتب الباطلة , ونسـبتها إلي الله , كقوله: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) [البقرة: 79]

الثامنة والعشرون: أنهم لا يعقلون من الحق , إلا الـذي مع طائفتهم , كقوله: (نؤمن بما أنزل علينا) [البقرة: 91]

التاسـعة والعشــرون: أنهم مع ذلك لا يعلمــون بما تقوله الطائفة , كما نبه الله عليه بقولــه: (فلم تقتلـون أنبيـاء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) [البقرة: 91].

(ص138) الثلاثون: - وهي من عجائب آيات الله –أنهم لما تركـوا وصـية الله بالاجتمـاع , وارتكبـوا ما نهى الله عنه من الافتراق؛ صار: كل حزب بما لديهم فرحون.

الحادية والثلاثون: - وهي من عجائب الله أيضا –معـاداتهم الــدين , الــذي انتســبوا إليه , غاية العــداوة , ومحبتهم دين الكفـار , الـذين عـادوهم , وعـادوا نـبيهم , غاية المحبة , كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما أتاهم بـدين موسى , واتبعوا كتب السحر , وهي من دين آل فرعون.

الثانية والثلاثون: كفرهم بالحق , إذا كـان مع من لا يهوونه , كما قال تعالى: (وقالت اليهود ليست النصارى على شــيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) [البقرة: 113].

الثلاثة والثلاثـون: إنكـارهم ما أقـروا , أنه من دينهم , كما فعلـوا في حج الـبيت , فقـال تعـالى: (ومن يـرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) [البقرة: 130].

الرابعة والثلاثـــــون: أن كل فرقة تـــــدعي أنها الناجية , فأكذبهم الله بقولـه: (قل هـاتوا برهـانكم إن كنتم صـادقين) [البقرة: 111] ثم بين الصواب بقوله: (بلى من أسـلم وجهه لله وهو محسن) [البقرة: 112].

الخامسة والثلاثـون: التعبد بكشف العـورات , كقوله (وإذا فعلوا فاحشة) [الأعراف: 28].

(ص139) السادسة والثلاثون: التعبد بتحريم الحلال , كما تعبدوا بالشرك.

السابعة والثلاثون: التعبد باتخـاذ الأحبـار , والرهبـان ,أربابا من دون الله.

الثامنة والثلاثـون: الإلحـاد في الصـفات , كقوله تعـالى: (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثـيرا ما تعملـون) [فصـلت: 22].

التاسـعة والثلاثـون: الإلحـاد في الأسـماء , كقولـه: (وهم يكفرون بالرحمن) [الرعد: 30].

الأربعون: التعطيل , كقول آل فرعون.

الحادية والأربعون: نسبة النقائص إليه.

الثانية والأربعون: الشرك في الملك: كقول المجوس.

الثالثة والأربعون: جحود القدر.

الرابعة والأربعون: الاحتجاج على الله.

الخامسة والأربعون: معارضة شرع الله بقدره.

السادسة والأربعون: مسبة الدهر , كقولهم: (وما يهلكنا إلا الدهر) [الجاثية: 24].

السابعة والأربعون: إضافة نعم الله إلي غيره , كقوله (ص140) (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) [النحل: 83].

الثامنة والأربعون: الكفر بآيات الله.

التاسعة والأربعون: جحد بعضها.

الخمسون: قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء.

الحادية والخمسون: قولهم في القـرآن: (إن هـذا إلا قـول البشر) [المدثر: 25].
الثانية والخمسون: القدح في حكمة الله تعالى.
الثالثة والخمسون: أعمال الحيل الظاهرة , والباطنة , في دفع ما جاءت به الرسل , كقولـه: (ومكـروا ومكر اللـه) [آل عمران: 54] وقوله تعـالى: (وقـالت طائفة من أهل الكتـاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهـار) [آل عمـران: 72].
الرابعة والخمسون: الإقرار بالحق , ليتوصلوا به إلي دفعه , كما قال في الآية.
الخامسة والخمسون: التعصب للمـذهب , كقوله فيها (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) [آل عمران: 73].
السادسة والخمسون: تسـمية اتبـاع الإسـلام شـركاً , كما ذكـره في قوله تعـالى: (ما كـان لبشر أن يؤتيه الله الكتـاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباد لي من دون الله) [آل عمران: 79 –80].
(ص141) السـابعة والخمسـون: تحريف الكلم عن مواضعه.
الثامنة والخمسون: لي الألسنة بالكتاب.
التاسـعة والخمسـون: تلقيب أهل الهـدى , بالصـباة , والحشوية.
الستون: افتراء الكذب على الله.
الحادية والستون: التكذيب بالحق.
الثانية والسـتون: كـونهم إذا غلبـوا بالحجة فزعـوا إلي الشكوى للملـوك , كما قـال: (أتـذر موسى وقومه ليفسـدوا في الأرض) [الأعراف: 127].
الثالثة والستون: رميهم إياهم بالفساد في الأرض ,كما في الآية.
الرابعة والسـتون: رميهم إيـاهم بانتقـاص دين الملك , كما قـال تعـالى: (ويـذرك وآلهتـك) [الأعـراف: 127] وكما قـال تعالى: (إني أخاف أن يبدل دينكم) [غافر: 26].

الخامسة والستون: رميهم إيـاهم بانتقـاص آلهة الملك كما في الآية.
السادسة والسـتون: رميهم إيـاهم بتبـديل الـدين كما قـال (إني أخـاف أن يبـدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفسـاد) [غافر: 26].
(ص142) السابعة والستون: رميهم إياهم بانتقاص الملك , كقولهم: (ويذرك وآلهتك) [الأعراف: 127].
الثامنة والسـتون: دعـواهم العمل بما عنـدهم من الحق , كقوله: (نؤمن بما أنزل علينا) [البقرة: 91] مع تركهم إياه.
التاسـعة والسـتون: الزيـادة في العبـادة , كفعلهم يـوم عاشوراء.
السبعون: نقصهم منها , كتركهم الوقوف بعرفات.
الحادية والسبعون: تركهم الواجب ورعاً
الثانية والسبعون: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.
الثالثة والسبعون: تعبدهم بترك زينة الله.
الرابعة والسبعون: دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم.
الخامسة والسـبعون: دعـواهم محبة اللـه، مع تـركهم شرعه، فطالبهم الله بقوله: (إن كنتم تحبون الله) الآية [آل: عمران 31]
السادسة والسبعون: دعاؤهم إياهم إلى الكفر، مع العلم.
السابعة والسبعون: المكر الكبار، كفعل قوم نوح.
(ص143) الثامنة والسـبعون: أن أئمتهم إما عـالم فـاجر، وإما عابد جاهـل، كما في قولـه: (وقد كـان فريق منهم يسمعون كلام الله) إلى قوله: (ومنهم أميون) [البقرة: 75 – 78].
التاسعة والسبعون: تمنيهم الأماني الكاذبـة، كقـولهم: (لن تمسـنا النـار إلا أيامـاً معـدودة) [البقـرة: 80] وقـولهم: (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) [البقرة: 111].
الثمانون: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.
الحادية والثمانون: اتخاذ قبور أنبيائهم، وصالحيهم، مساجد

الثانية والثمانون: اتخاذ آثار أنبيائهم، مساجد، كما ذكر عن عمر.
الثالثة والثمانون: اتخاذ السرج على القبور
الرابعة والثمانون: اتخاذها أعياداً.
الخامسة والثمانون: الذبح عند القبور.
السادسة والثمانون: التبرك بآثار المعظمين، كدار الندوة، وافتخار من كانت تحت يده، كما قيل لحكيم بن حزام: بعت مكرمة قريش ؟ فقال: ذهبت المكارم إلا التقوى.
السابعة والثمانون: الاستسقاء بالأنواء.
(ص144) الثامنة والثمانون: الفخر بالأحساب.
التاسعة والثمانون: الطعن في الأنساب.
التسعون: النياحة.
الحادية والتسعون: أن أجل فضائلهم، الفخر بالأنساب، فذكر الله فيه ما ذكر.
الثانية والتسعون: أن أجل فضائلهم الفخر أيضاً، ولو بحق، فنهي عنه.
الثالثة والتسعون: أن الذي لا بد منه عندهم، تعصب الإنسان لطائفته، ونصر من هو منها ظالماً، أو مظلوماً، فأنزل الله في ذلك ما أنزل.
الرابعة والتسعون: أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره، فأنزل الله: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) [الإسراء: 15]
الخامسة والتسعون: تعيير الرجل بما في غيره، فقال: " أعيرته بأمه ؟ إنك امرء فيك جاهلية "
السادسة والتسعون: الافتخار بولاية البيت، فذمهم الله بقوله: (مستكبرين به سامرا تهجرون) [المؤمنون: 67].
السابعة والتسعون: الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء، فأتى الله بقوله: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت) الآية [البقرة: 134].
الثامنة والتسعون: الافتخار بالصنائع، كفعل أهل
(ص145) الرحلتين، على أهل الحرث.

التاسـعة والتسـعون: عظمة الـدنيا في قلـوبهم، كقـولهم: (لــولا نــزل هــذا القــرآن على رجل من القريــتين عظيم) [الزخــرف: 31].المائــة: التحكم على اللــه، كما في الآيــة. الحادية بعد المائة: ازدراء الفقراء، فأتاهم بقولـه: (ولا تطـرد الذين يـدعون ربهم بالغـداة والعشـي)، [الأنعـام: 52] الثانية بعد المائة: رميهم اتباع الرسل بعدم الإخلاص، وطلب الـدنيا، فأجــابهم بقولــه: (ما عليك من حســابهم من شــيء) الآية [الأنعام: 52] وأمثالها.

الثالثة بعد المائــة: الكفر بالملائكــة؛ الرابعة بعد المائــة: الكفر بالرسل. الخامسة بعد المائة: الكفر بالكتب. السادسة بعد المائــة: الإعــراض عن ما جــاء عن اللــه. الســابعة بعد المائة: الكفر باليوم الآخر. الثامنة بعد المائة: التكذيب بلقــاء اللــه. التاســعة بعد المائــة: التكــذيب ببعض ما أخــبرت به الرسل عن اليوم الآخر، كما في قوله: (والـذين كـذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) [الأعراف: 147] ومنها: التكذيب بقوله: (مالك يــوم الــدين) [الفاتحــة: 4] وقولــه: (لا بيع فيه ولا خلة ولا شـفاعة) [البقـرة: 254] وقولـه: (إلا من شـهد بـالحق وهم يعلمون) [الزخرف: 86].

العاشرة بعد المائة: الإيمان بالجبت والطاغوت؛

(ص146) الحادية عشر بعد المائـــــة: تفضـــــيل دين المشــركين، على دين المســلمين؛ الثانية عشر بعد المائــة: لبس الحق بالباطل. الثالثة عشر بعد المائة: كتمان الحق مع العلم بــه. الرابعة عشر بعد المائــة: قاعــدة الضــلال، هي: القول على الله بلا علم. الخامسة عشر بعد المائة: التناقض الواضح، لما كذبوا الحق، كما قال تعـالى: (بل كـذبوا بـالحق لما جـاءهم فهم في أمر مـريج) [ق: 5]. السادسة عشر بعد المائة: الإيمان ببعض المـنزل دون بعض. الســابعة عشر بعد المائـــة: التفريق بين الرســـل. الثامنة عشر بعد المائـــة: مخالفتهم فيما ليس لهم به علم. التاسـعة عشر بعد المائـة؛ دعواهم اتباع السلف، مع التصريح بمخالفتهم. العشرون بعد المائة: صدهم عن سبيل الله من آمن به. الحادية والعشرون

بعد المائة: مودتهم الكفر، والكـافرين.الثانية والعشـرون بعد المائة، والثالثة، والرابعة، والخامسـة، والسادسـة، والسـابعة والعشرون بعد المائة: العيافة، والطرق، والطيرة، والكهانـة، والتحاكم إلى الطاغوت، وكراهية التزويج بين العيـدين؛ والله أعلم.

(ص147) وقال أيضاً: رحمة الله تعالى: ذكر بعض ما في قصة الجاهلية، المـذكورة في السـيرة، من الفوائـد؛ الأولى: ما في قصة، ود، وسواع، ويغوث، ويعـوق، ونسـر؛ من بيـان: الشرك بالله؛ وإزالة الشـبهة الـتي أدلى بها المشـركون، من قـــولهم: نريد الجـــاه، والشـــفاعة؛ وقـــولهم: ليس دعـــوة الصـــالحين، مثل الأصـــنام؛ وقـــولهم؛ نحن نعلم أن الله هو النــافع الضــار؛ وقــولهم: هــؤلاء ولو أشــركوا، فهم من أمة محمد؛ وقول شياطينهم: هذا شرك أصغر؛ فكل هذا: يكشفه قصتهم.

الثانية: مضـرة البـدع، ولو صح قصد مبتـدعها، وأنها سـبب للخروج عن الإسلام. الثالثة: التحذير من الغلو. الرابعة: كون الحق في القلوب ينقص، والباطل يزيـد. الخامسـة: التحـذير من الكــذب على العلمــاء، وقد يكــون الكــاذب لم يتعمــد. السادسة، معرفـة: أن الأصـنام لم تعبد لـذاتها؛ وإنما عبـدت لأجل الصـالحين. السـابعة: أن الـردة، وعبـادة الأصـنام، قد يكون سببها فعل بعض الصالحين. الثامنة: التحذير من الفتنة بقبور الصالحين، لقوله: " عكفوا على قبورهم ".

التاســعة: أن من أســباب الــردة بعــدُ الأمد عن النبــوة. العاشـرة: أن من أسـبابها: نسـيان العلم. الحادية عشـر: ما في قصة عمرو بن لحى، من التحذير من فتنة البلد الحــرام. الثانية عشر: التحذير من فتنة أهل الشام. الثالثة عشر:

(ص148) التفطن لما أعطى عمرو، من الأعمـال. الرابعة عشر: ما أعطى من الكمال. الخامسة عشــر: ما أعطى من الملــك. السادسة عشــر: ما أعطى من طاعة النــاس لــه. السابعة عشر: التفطن للفرق بين: كرامات الأوليـاء، وتـنزل الشياطين.

الثامنة عشــر: أن من علامــات الباطــل، زيادته كل وقت، وعلامات الحق، ثقله و نقصانه، التاسعة عشر: العــبرة برؤية النــبي ﷺ له في النــار. العشــرون: اللطيفــة، كــون صــور الصــالحين يبعث عليها أول الرســل، ولم يكســرها إلا خــاتم الرســل. الحادية والعشــرون؛ معرفة أن الكفــار لم يقصــدوا بالشرك، وعبادة الأصنام، إلا الخير. الثانية والعشــرون: كــون بعض الأوثــان عنــدهم أعظم من بعض. الثالثة والعشـــرون: تفـــرقهم، واختلافهم، في تعظيم أوثـــانهم، وفى عبادتهـــا. الرابعة والعشرون: كونهم في أمر مريج، وفى قول مختلف، يقولون: إن الأمر بيد اللــه، لا يــدبر هــو؛ ويقولــون: (اعــتراك بعض آلهتنا بسوء) [هــود: 54]. الخامسة والعشــرون: فعلهم العبادات

وســئل رحمه اللــه، عن قوله تعــالى: (يظنــون بالله غــير الحق ظن الجاهليــة) [آل: عمــران 154] وقولــه: (الظــانين بالله ظن السوء)

[الفتح: 6] وقولـــه: (وذلكم ظنكم الـــذي ظننتم بـــربكم أرداكم) [فصلت: 23] ما معنى سوء

(ص149) الظن بالله ؟. وقوله: (من يعمل سوءاً يجز به) [النساء: 123] ما معنـاه ؟ وما معـنى: إدخـال البخـارى إيـاه في كتاب الطب ؟

وكذلك: الحديث الذي أورده " ما من مســلم يصــيبه أذى " فإن فسرتم " الأذى " بجميع المكروهـات، كما هو المشـهور من معنى اللفظ الآخر: " ما يصيب المســلم، من نصــب، ولا وصب، ولا هم، ولا حــزن، ولا أذى " فعطــف: " الأذى " على ما تقــدم، والعطف يقتضى المغــايرة، هل المــراد: المســلم الذي لم يصدر منه شرك بالكلية ؟ أم لا ؟.

وما معنى قولهم: من الشــرك التصــنع للمخلــوق، وخوفــه، ورجاؤه ؟.

وهل المراد به: الشرك الأكبر ؟ أو الأصغر ؟

وقوله: " أنا عند ظن عبدى بى، إن ظن بى خيراً فله، وإن ظن بى شراً فله " ما معناه ؟

فأجـاب: أما قوله تعـالى: (يظنـون بالله غـير الحق ظن الجاهليـة) وقوله : (الظـانين بالله ظن السـوء) فقد بسط الكلام عليها في الهدى، على وقعة أحـد، وقد فسـره بأشـياء كثـيرة، نقولهـا، ونعتقـدها، ولا نظن إلا أنها عقـل، وصـواب؛ فتأمل كلامه تأملا جيداً.

وأما قوله: (من يعمل سوءاً يجز به) وإدخـال البخـارى لها في كتاب الطب، فمـراد البخـارى: أن هـذه الأمـراض، الـتى يكرهها العبد، هى: مما يكفر الله بها عن المؤمن

(ص150) سيئاته، ويطهره بها، لأن قوله: (من يعمل سوءا يجز به) عام في جزاء الدنيا والآخـرة؛ وأمـا: إدخاله هـذا في كتاب الطب، فواضح، وأهل العلم: يذكرون في الباب، مــاهو أبعد من هذا، تعلقا واستطرادا.

وأما قولـه: " ما من مسـلم يصـيبه أذى " فهو عـام، وأما عطـــف: " الأذى " على الوصــــب، والنصـــب، والهم؛ فمن: عطف العـام على الخـاص، وهو كثـير جـدا في كلام العـرب، وفي كلامنا.

وأما سـؤالكم: هل هـذا في المسـلم الـذي لم يصـدر منه شرك بالكلية ؟.

فنقول: أما الشرك الذي يصدر من المؤمن، وهو لا يـدري، مع كونه مجتهـدا في اتبـاع أمر الله ورسـوله، فـأرجو أن لا يخرجه هذا من الوعد.

وقد صـدر من الصـحابة أشـياء من هـذا البـاب، كحلفهم بآبائهم، وحلفهم بالكعبة، وقولهم: ماشـاء الله وشـاء محمـد؛ وقـــولهم: اجعل لنا ذات أنـــواط؛ ولكن إذا بـــان لهم الحق اتبعـــوه، ولم يجـــادلوا فيه حمية الجاهلية لمـــذهب الآبـــاء والعادات.

وأما الـذي يـدعى الإسـلام، وهو يفعل من الشـرك الأمـور العظام؛ وأما الإنسان الذي يفعلها بجهالة، ولم يتيسر له من

(ص151) ينصحه، ولم يطلب العلم الـذي أنزله الله على رسـوله، بل أخلد إلى الأرض، واتبع هـواه، فلا أدري ماحالـه. وأما قـــول من قـال: من الشـــرك التصـــنع للمخلـــوق؛ فلعل

مـراده: التصـنع بطاعة الله الـذي يسـمى: الريـاء؛ وهو كثـير جدا، فهذا صحيح في أمور لا يفطن لها صاحبها.
وأما خوف المخلوق ؟ فالمراد به: الخوف الذي يحملك أن تترك مافرض الله عليك، وتفعل ماحرم الله عليك، خوفا من ذلك المخلوق؛ وأما: الرجاء ؟ فلعل المراد: الذي يخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده، وكل هـذه الأمـور كثـيرة جدا.
وأما قولك: هل المراد به الشرك الأصغر، أو الأكبر ؟ فهذا يختلف بـاختلاف الأحـوال، وقد يتصـنع لمخلـوق فيخافـه، أو يرجوه، فيدخل في الشرك الأصغر، وقد يتزايد ذلـك، ويتوغل فيه، حتى يصل إلى الشرك الأكبر.
وسئل رحمه الله:
عن معـنى عقد اللحية ؟ والضـرب في الأرض ؟ هو الـذي نعرف: أن بعضهم يخط خطوطا، ثم يعدها: إن ظهرت شفعا فكذا، وإن ظهرت وترا فكذا أم غير ذلك ؟ وتفسير: " الجبت " برنة الشـيطان؛ مارنة الشـيطان ؟ وحـديث: " من ردته الطيرة فقد أشرك، وكفارة ذلك أن تقول: - اللهم لا طير إلا طيرك " الخ، أم كيف يزول ذلك الشرك بهذا اللفظ ؟ مع أن الطيرة مخامرة باطنة، واللفظ وحده لا يفيد، أو فائدة
(ص152) قليلة ؟ ومامعنى: الفخـر، والطعن ؟ ومـامعنى مكر الله بالعبد ؟ ومافرق بين الروح، والرحمة ؟.
فأجاب رحمه الله:
عقد اللحيـة: لا أعلمـه، لكن ذكر في: الآداب، ما يقتضـي: أنه شيء يفعله بعض الناس في الحرب، على وجه التكبر.
وأما الضرب، فهو مشهور جدا حتى إن بعض الناس يخـط، فمن وافق خطه فذاك، والذي يبدو للـذهن: أنه عـام في كل أنواع الخط، وخط ذلك النبي عُدِمَ، لا يوجد من يعرفه.
ورنة الشـيطان: لا أعـرف مقصـود الحسـن، بل عـادة السـلف، يفسـرون اللفظ العـام، ببعض أفـراده، وقد يكـون السـامع، يعتقـد: أن ذلك ليس من أفـراده، وهـذا كثـير في كلامهم جدا، ينبغي التفطن له.

وقوله في الطيرة: " وكفارة ذلك أن تقول " الخ.

فالطيرة: تعم أنواعا؛ منها: مالا إثم فيه، كما قال عبد الله: ومامنا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل؛ فإذا وقع في القلب شيء، وكرهه، ولم يعمل به، بل خالفه، وقال، لم يضره؛ فإن قال: من الحسنات شيئا فهو أبلغ، وأتم في الكفارة؛ فلو قدرنا: أن تلك الطيرة، من الشرك الخفي، أو الظاهر، ثم تاب منه، وقال: هذا الكلام على طريق التوبة، فكذلك.

(ص153) وأما: الفخر بالأحساب؛ فالأحساب: الذي يذكر عن مناقب الآباء السالفين، التي نسميها: المراجل؛ إذا تقرر هذا، ففخر الإنسان بعمله، منهي عنه؛ فكيف افتخاره بعمل غيره ؟!

وأما: الطعن في الأنساب، ففسر بالموجود في زماننا: ينتسب إنسان إلى قبيلة، ويقول بعض الناس: ليس منهم، من غير بينة؛ بل الظاهر أنه منهم.

وأما: مكر الله، فهو: أنه إذا عصاه، وأغضبه، أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه.

وأما: الفرق بين الروح، والرحمة، فلا أعرفه، ولعله: فرق لطيف، لأن الروح، فسر بالرحمة في مواضع.

وسئل رحمه الله:

عن الوعيد: فيمن حفظ القرآن، ثم نسيه، هل هو صحيح، أم غير ذلك ؟ أيضا: نبهني عبد الوهاب، في خطه للموصلي: أنك مارضيت قوله: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته، حتى إني أفكر فيها، ولا بان لي فيها شيء أيضا، سوى المذكور عند النووي " اللهم إني أسلمت نفسي إليك " الخ، بين لي معناه، جزاك الله خيرا

الجواب: الوعيد فيمن حفظ القرآن، ثم نسيه، ثابت عند أهل الحديث؛ فإن كنت قد حفظت القرآن، أو شيئا منه، ثم نسيته، فودي أن تعود إليه؛ وأما قوله في الخطبة:

(ص154) أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك في مشيئته، وإراداته، فعجب ! كيف يخفى عليك ؟ هذا للألوهية، والمذكور في الخطبة توحيد الربوبية، الذي أقر به الكفار.

وأما قولـه: " اللهم إني أسـلمت نفسي إليك " إلى آخـره، فترجع إلى الإخلاص، والتوكل، ولو كان بينهما فروق لطيفـة. والله أعلم.

وسئل رحمه الله:

عن الفقير الصابر، والغنى الشـاكر أيهما أفضل ؟ وعن حد الصبر وحد الشكر ؟

فأجاب: أما مسألة الغـنى والفقـر، فالصـابر والشـاكر: كل منهما من: أفضل المؤمـنين؛ وأفضـلهما: أتقاهمـا، كما قـال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، [الحجرات: 13].

وأما: حد الصبر، وحد الشكر: فلا عنـدي علم إلا المشـهور بين العلماء؛ أن الصبر: عـدم الجـزع، والشـكر: أن تطيع الله بنعمته التي أعطاك.

قال ابنا الشيخ: محمد، رحمهم الله تعالى، مانصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسين، وعبد الله ابني الشيخ: محمد بن عبد الوهـاب؛ إلى جنـاب: الأخ في اللـه، محمد بن أحمد الحفظى، سـلمه الله تعالى من الآفات، واستعمله بالباقيات

(ص155) الصالحات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد: فإنا نحمد الله إليك، الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير؛ والصلاة، والسـلام، على نبيه وحبيبـه، محمد البشـير النـذير، وعلى آله وأصـحابه، أولى الفضل الشـهير، والعلم المسـتطير، وقد وصل الله إلينا كتابك، وفهمنا ماحواه، من حسن خطابـك؛ وتـذكر: أنك على هذا الـدين، الـذي نحن عليـه، من إخلاص الـدين للـه، وتـرك عبـادة ماسـواه، وأنك لا ترضى بالإشـراك والتخلف عن التوحيد، ولو قدر فواق.

فالحمد لله الـذي من علينا وعليـك، وهـذا: هو أفـرض الفرائض، على جميع الخلق؛ ومن انتفع بهذا الدين، واستقام عليـه، فله البشـرى في الحيـاة الـدنيا، و في الآخـرة؛ وله العزة، والرفعة، والجـاه، والملابس الفـاخرة؛ وفي الحـديث:

عن الصادق المصدوق، صلوات الله وسلامه عليه، قال: " إن الله ليرفع بهذا الدين أقواما، ويضع به آخرين ".

والذي نوصيك به، ونحضك عليه: التفقه في التوحيد، ومطالعة مؤلفات شيخنا رحمه الله، فإنها تبين لك حقيقة التوحيد، الذي بعث الله به رسوله؛ وحقيقة الشرك: الذي حرمه الله ورسوله، وأخبر أنه لا يغفره، وأن الجنة على فاعله حرام، وأن من فعله حبط عمله، والشأن كل الشأن، في معرفة: حقيقة التوحيد، الذي بعث الله به رسوله، وبه يكون الرجل مسلما، مفارقا للشرك وأهله؛ وذلك: لأن كثيرا (ص156) من المصنفين، إذا ذكر التوحيد لم يبينه، وقد يفسره بتوحيد الربوبية، الذي أقر به المشركون؛ ومنهم من يفسره: بتوحيد الذات , والصفات؛ وذلك وإن كان حقا , فليس هو المراد من توحيد العبادة , الذي هو معنى: لا إله إلا الله.

وكثير من المصنفين: يفسر الشرك , بالاشراك في توحيد الربوبية , الذي أقر به كفار العرب , وغيرهم من طوائف المشركين , كما قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) [العنكبوت: 61] وقال: (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون , سيقولون لله) [المؤمنون: 88 -89] إلي غير ذلك من الآيات التي تدل على أن المشركين: يقرون بتوحيد الربوبية , وإنما الخلاف بينهم , وبين الرسول صلى الله عليه وسلم هو في توحيد الإلهية , الذي هو توحيد العبادة؛ ولهذا لم يصيروا موحدين , بمجرد الإقرار بتوحيد الربوبية؛ فإياك أن تغتر بما أحدثه المتأخرون , وابتدعوه , كابن حجر: الهيتمي؛ وأشباهه.

واعتمد في هذا الأصل على كتاب الله ,الذي أنزله تبيانا لكل شيء , وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين؛ وعلى ما كان عليه السلف الصالح , من أصحابه , والتابعين لهم بإحسان , ولا تغتر بما حدث بعدهم , من البدع المضلة , في أصول

الـــدين , وفروعه , كما قـــال تعـــالى: (وأن هـــذا صـــراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

(ص157) [الأنعام: 153] وبهـذا تعـرف: أن أصل الإسـلام شهادة أن لا إله إلا الله , وأن محمـداً رسـول الله , وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله: أن لا تعبد إلا الله , وحـده لا شـريك له.

وتحقيق شـهادة أن محمد رسـول اللـه: هو أن يطـاع فيما أمر , وينتهي عما نهي عنه وزجر , ويكون هو الإمـام المتبع , ومن ســـــواه , فيؤخذ من كلامه , ويـــــترك؛ فعلى أقواله , وأفعالــه: تعــرض الأقــوال , والافعــال؛ فما وافق قوله , فهو المقبــول؛ وما خالفه فهو المــردود؛ وكاتبه حمد بن ناصر بن معمر , وصلى الله على محمد.

وسئل الشـيخ: حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله تعـالى , عن الفرق بين الشفاعة المثبتة , والمنفية.

فأجـــاب: أما الفـــرق بين الشـــفاعة المثبتة , والشـــفاعة المنفية , فهي مســألة عظيمة , ومن لم يعرفها , لم يعــرف حقيقة التوحيد , والشــرك؛ والشــيخ رحمه الله تعـالى , عقد لها باباً , في كتـاب التوحيد , فقـال: بـاب الشـفاعة , وقـول الله تعالى: (وأنـذر به الـذين يخـافون أن يحشـروا إلي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شــفيع) [الأنعــام: 51] ثم ســاق الآيات , وعقبه بكلام الشيخ: تقي الدين.

فــأنت راجع البــاب , وأمعن النظر فيه , يتــبين لك حقيقة الشفاعة , والفرق بين ما أثبته القرآن , وما نفــاه؛ وإذا تأمل الإنسان القـرآن: وجد فيه آيـات كثـيرة , في نفي الشـفاعة؛ وأيات كثيرة ,

(ص158) في إثباتها؛ فالآيـات الـتي فيها نفي الشـفاعة , مثل قولــه: (ليس لهم من دونه ولي ولا شـفيع) ومثل قولـه: (أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يـوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شـــفاعة) [البقـــرة: 254] وقولـــه: (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتـذكرون) [السـجدة: 4] وقولـه: (قل لله الشفاعة جميعا) [الزمر: 44] إلي غير ذلك من الآيات.

وأما الآيات التي فيها إثبات الشـفاعة , فمثل قوله تعـالى: (وكم من ملك في السموات لا تغنى شـفاعتهم شـيئا إلا من بعد أن يـأذن الله لمن يشـاء ويرضـى) [النجم: 26] وقولـه: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) [سبأ: 23] وقوله (: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) [الأنبياء: 28] وقولـه: (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الـرحمن ورضي له قـولا)[طـه: 109] إلي غير ذلك من الآيات.

فالشـــفاعة: الـــتي نفاها القـــرآن؛ هي؛ الـــتي يطلبها المشركون من غير الله , فيـأتون إلي قـبر النـبي صـلي الله عليه وسلم أو إلي قبر من يظنونه: من الأولياء , والصالحين؛ فيستغيث به , ويستشفع به إلي الله , لظنه أنه أذا فعل ذلك , شـــفع له عند الله , وقضي الله حاجته , ســـواء أراد حاجة دنيوية , أو حاجة أخروية , كما حكى الله عن المشـركين في قوله: (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يـونس: 18] لكن: كان الكفار الأولون , يستشـفعون بهم , في قضـاء الحاجـات الدنيوية؛ وأما المعاد , فكانوا: مكذبين به , جاحدين لــه؛ وأما المشـركون اليـوم: فيطلبـون من غـير الله , حـوائج الـدنيا , والأخرة؛

(ص159) ويتقربــون بــذلك إلي الله , ويســتدلون عليه بالأدلة الباطلة (حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) [الشورى: 16].

وأما الشفاعة: التي أثبتها القرآن , فقيـدها سـبحانه , بإذنه للشافع , ورضاه عن المشـفوع لـه؛ فلا يشـفع عنـده أحد إلا بإذنه , لا ملك مقرب , ولا نبي مرسل , ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا إلا لمن رضي قوله , وعمله؛ وهو سـبحانه: لا يرضى إلا التوحيد.

وأخـبر الرسـول صـلى الله عليه وسـلم أن أسـعد النـاس بشـفاعته: أهل التوحيد , والإخلاص؛ فمن طلبها منه اليــوم , حرمها يوم القيامة؛ والله سبحانه قد أخـبر: أن المشـركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين؛ وإنما تنفع من جرد توحيده؛ بحيث أن يكون الله وحـده , هـو: إلهه , ومعبـوده؛ وهو سـبحانه: لا

يقبل من العمل , إلا ما كان خالصاً , كما قال تعالى: (ألا لله الدين الخالص) [الزمر: 3].
فإذا تأملت الآيات , تـبين لـك: أن الشـفاعة المنفية , هي: التي يظنها المشركون , ويطلبونها اليوم من غــير الله , وأما الشـفاعة: المثبتـة؛ فهي: الـتي لأهل التوحيد والإخلاص؛ كما أخـبر الرسـول صـلى الله عليه وسـلم أن شـفاعته نائلة من مات من أمته , لا يشرك بالله شيئاً , والله أعلم.
(ص160) وسئل أيضاً: الشـيخ , حمد بن ناصر بن معمر , عن قوله: " أسألك بحق السائلين عليك ".. ؟ الخ.
فأجاب: أما السـؤال عن قـول الخـارج إلي الصـلاة: اللهم إني أسـألك بحق السـائلين عليك ,فهـذا ليس فيه دليل على جــواز الســؤال بــالمخلوق , كما قد تــوهم بعض النــاس , فاستدل به على جواز التوسل , بذوات الأنبياء , والصـالحين؛ وإنما هو سـؤال الله تعـالى , بما أوجبه على نفسه , فضـلاً وكرماً , لأنه يجيب: سـؤال السـائلين , إذا سـألوه, كما قـال تعـالى: (وإذا سـألك عبـادي عـني فـإني قـريب أجيب دعـوة الداعي إذا دعان) [البقرة: 186].
ونظــيره قوله تعــالى: (وكــان حقا علينا نصر المؤمــنين) [الــروم: 47] وقولــه: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) [هود: 6] وقوله: (وكذلك ننجي المؤمنين) , [الأنبيـاء: 88]. هـذا ما ذكـره العلمـاء في الحـديث الـوارد في ذلك إن صح , وإلا فهو ضـعيف , وعلى تقـدير صـحته فهو من بــاب السؤال بصفات الله , لا من باب السؤال بذوات المخلــوقين , والله أعلم.
سئل الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ:
هل يجوز التوسل بجـاه النـبي صـلى الله عليه وسـلم , أو غيره من الأنبياء والمرسلين والصالحين في الدعاء ؟.
فأجاب: التوسل المشروع , الذي جاء به الكتاب
(ص161) والسنة , هو: التوسل إلي الله سبحانه وتعـالى بالأعمال الصالحات , والأسـماء والصـفات اللائقة بجلال رب البريــات , كقوله تعــالى حاكيا عن عبــاده المؤمــنين أنهم

توسلوا إليه بصالح أعمالهم: (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا) الآية [آل عمران: 193].

وكما ثبت في الصحيحين من قصة الثلاثة الذين أووا إلي الغار , فانطبقت عليهم الصخرة , فتوسلوا إلي الله بصالح أعمالهم , الحديث؛ كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة وابن حبان في صحيحه وغيره؛ (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك , أو أنزلته في كتابك , أو علمته أحداً من خلقك , أو أستأثرت به في علم الغيب عندك).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمزي وغيره: " اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، ياحي ياقيوم " وفي الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه: " أسألك ياالله يا رحمان بجلالك ونور وجهك " الحديث، وأمثال ذلك.

فهذا كله أمر مشروع، لا نزاع فيه، وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) [المائدة: 35] وكذلك التوسل إلى الله بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته في حياته، وبدعاء غيره من الأنبياء والصالحين في حياتهم، فهذا كله مستحب، كما توسل

(ص162) الصحابة بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته في حياته، وتوسلوا بدعاء العباس بن عبد المطلب، عم النبي صلى الله عليه وسلم وبدعاء يزيد بن الأسود الجرشي.

وأما التوسل بجاه المخلوقين، كمن يقول: اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك، فهذا لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأكثر العلماء على النهي عنه، وحكى ابن القيم رحمه الله تعالى: أنه بدعة إجماعا، ولو كان الأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى، فلا يقتضى ذلك جواز التوسل بذواتهم وجاههم.

لأن الذي لهم من الجاه والـدرجات، أمر يعـود نفعه إليهم، ولا ننتفع من ذلك إلا باتباعنا لهم ومحبتنا لهم، والله المجازي لنا على ذلك.

وأما التوسل بـذواتهم مع عـدم التوسل بالإيمـان والطاعة فلا يكون وسيلة، ولأن المتوسل بـالمخلوق إن لم يتوسل بما يحصل من المتوسل به من الـــــــدعاء للمتوسل أو بمحبته واتباعه فبأي شيء يتوسل ؟!

قال شـيخ الإسـلام بن تيمية رحمه الله تعـالى، في كتـاب: الاستغاثة، مازلت أبحث وأكشف ماأمكنني من كلام السلف، والأئمـة، والعلمـاء، هل جـوز أحد منهم: التوسل بالصـالحين في الـــدعاء، أو فعل ذلك أحد منهم، فما وجدتـــه، ثم وقفت على فتيا للفقية أبي محمد بن عبد السلام، أفتى بأنه

(ص163) لايجوز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم وأما بالنبي صـلي الله عليه وسـلم فجـوز التوسل به إن صح الحديث في ذلك.

وذكر القـدوري في شـرح: الكـرخي، عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه لا يجوز أن يسأل الله بالأنبياء , انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعـالى؛ قـال القـدوري: المسـألة بخلقه لا تجـوز , لأنه لا حق للمخلوق على الخالق , فلا تجوز معـنى , وفاقـاً , انتهى.

وقد احتج من أجاز المسألة بـالمخلوقين بـأمور , الأول: ما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري , قـال قـال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: " من خــرج من بيته إلى الصـلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشـــاي هذا " الحديث.

فـالجواب: إن الحـديث في إسـناده عطية العـوفي , وفيه كلام , ضعفه الإمام أحمد , والثـوري , وهشـيم , وأبو زرعة , وأبو حاتم , والجوزجاني , والنسائي , وابن حبـان , وقـال: لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب , وقــال ابن معين: صـــالح؛ وقال ابن سعيد كان ثقة إن شاء الله تعالى. وبتقــدير ثبوته , هــو: من التوسل المستــحب , فــإن حق الســائلين عليه أن

يجيبهم , وحق المطيعين له أن يـــــثيبهم , فالســـــؤال له , والطاعة سبب لحصول الإجابة وإثابته.

والثاني: ما رواه الحاكم في المستدرك وصححه من

(ص164) حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسـلم , عن أبيه عن جده , عن عمر , عن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال: " لما اقترف آدم الخطيئة , قال: رب أسـألك بحق محمد لما غفرت لي " الحديث.

فالجواب: إن هـذا الحـديث سـاقط , لأن عبد الـرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف بالاتفـاق , ضـعفه: مالك , وأحمد ,وابن معين، وابن المديني، وأبو زرعه، وأبو داود، وابن سعد , وأبو حاتم , وابن خزيمة , وابن حبان , قال ابن الجـوزي: أجمعـوا على ضعفه

فهذا كما ترى تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهـو: هـو. وقـال الحافظ الـذهبى في تلخيص المسـتدرك لما ذكر الحاكم هذا الحديث فقـال: هـذا صـحيح، قـال الـذهبي: أظنه موضـوعا , ثم هو مخـالف للقـرآن , لأن الله عــزَّ وجـلَّ ذكر قصة آدم عليه الســلام وتوبته وتوســله , ولم يــذكر الله أنه توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث ما رواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة , وابن شاهين والبيهقي وصـححه الترمـذي عن عثمـان بن حـنيف " أن رجلاً ضرير البصر أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعـافيني , فقـال: إن شـئت دعـوت وإن شـئت صبرت فهو خير لك , قال: فادعه , فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه , ويدعوه بهذا الدعاء: اللهم إني أسـألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نـــبي الرحمة , إني تــــوجهت بك إلي ربي في حاجتي هذه لتقضى , اللهم فشفعه في " هـذا حـديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا

(ص165) من حديث أبي جعفر , وهو غير الخطمي , هذا لفظ الترمذي , وقال بعضـهم: هـذا يـدل على جـواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لا غير.

والجواب: إن هـذا التوسل هو الـذي ذكـره عمر رضي الله عنه لما استســقى بالعبــاس رضي الله عنــه، فــذكر أنهم يتوسـلون بـالنبي صـلى الله عليه وسـلم في الاستسـقاء ثم توسـلوا بعمه العبـاس بعد موته وتوسـلهم به هـو: دعـاؤه , ودعاؤهم معه , فيكـون وسـيلتهم إلى الله تعـالى , وهـذا لم يفعله الصحابة في حق النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته , ولا في مغيبه.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مثل هذا شـافعا لهم داعيا لهم , ولهـذا قـال في حـديث الأعمى: " اللهم فشـفعه في " فعلم أن النبي صلى الله علي وسلم شفع له , فسـأل الله أن يشفعه فيه.

قلت: من تأمل هذا الحديث , علم صحة هذا , فإنه صـريح في أن الأعمى أتاه فقال: ادع الله أن يعافيني , فقـال: " إن شئت دعوت , وإن شئت صبرت فهو خـير لـك؛ قـال: فادعه "فهـذا دليل على أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم دعى له , وأن الأعمى سأل ربه أن يشفعه فيه , بـأن يسـتجيب دعـاءه صلى الله عليه وسلم؛ وهذا كافٍ في حكم هذه المسألة.

واعلم: أن التوسل بذات المخلوق , أو بجاهه: غـير سـؤاله , ودعائه. فالتوسل بذاته , أو بجاهه أن يقول: اللهم اغفر لي , وارحمــني , وأدخلــني الجنة بنبيك محمد صــلى الله عليه وسلم , أو

(ص166) بجـاه نبيك محمد صـلى الله عليه وسـلم, ونحو ذلك , فهذا بدعة ليس بشرك.

وسـؤاله ودعـاؤه , هو أن يقـول: يا رسـول الله اسـألك الشفاعة ,أو أنا في كرب شـديد , فـرج عـني , أو اسـتجرت بك من فلان , فأجرني , ونحو ذلك , فهذا كفر , وشرك أكبر ينقل صــاحبه عن الملة ,لأنه صــرف حق الله لغــيره , لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله , فمن دعـاه , فقد عبـده , ومن عبد غـير الله , فقد أشـرك , والأدلة على هـذا أكـثر من أن تحصر.

وكثير من الناس لا يميز ولا يفـرق بين التوسل بـالمخلوق، أو بجاهه، وبين دعائه، وسؤاله، فـافهم ذلك وفقنا الله وإيـاك لسلوك أحسن المسالك

وبهــذا يظهر جــواب المســألة الثانية , وهي: إذا وجد نحو ذلك في تصــنيف بعض العلمــاء , هل له محمل أم لا , والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وقــال الإمــام : عبد العزيز ,بن محمد ,بن ســعود , رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن سعود , إلي جناب الأخ في اللــه: محمد بن أحمد الحفظي , ســلمه الله من جميع الأشــرار , وجعله من عباده الصالحين الأبرار , الـذين لا تأخـذهم في الله لومة لائم من الفجار.

(ص167) أما بعـد: فـإني أحمد إليك الله , الـذي لا إله إلا هو وهو للحمد والثناء أهـل؛ وأسـأله أن يصـلي على صـفوته وخيرته من خلقه , محمد خـــير أنبيائه , وأمينه على إنبائه , وعلى آله وصحبه , الذين كـانوا سـيوفا قاطعة , على رقـاب أعدائه.

وقد وصل إلينا كتـــابكم؛ وفهمنا ما تضـــمنه، من لطيف خطابكم، فإن سألت عن الأحوال ؟ فلله الحمد والمنـة، نحن في أحسن حـال، وأسر بـال، نسـأل الله أن يزيـدنا، وسـائر إخواننا من النعم، والإفضال.

وما ذكرت من اتباعكم، هذه الدعوة الإيمانيـة، وإخلاصـكم الدعوة، والتوحيد، لمن له الوحدانية، فهنيئـاً لمن كـانت حاله كذلك، وأنقذه الله من الشرك، والمهالك؛ لأن الإسـلام، عـاد في هــذه الأزمــان غريبــاً كما بــدا، كما أخــبر به الصــادق المصدوق، كما ثبت في صحيح مسـلم، وغـيره؛ نسـأل اللـه: أن يجعلنا وإيــاك، من الغربــاء، الــذين ذكر أنهم يحيــون من السنة ما أمات الناس.

وما ذكـــرت: من طلب الوصــية في كتابك ؟ فــأعظم ما نوصيك به: تحقيق هذين الأصـلين: شـهادة أن لا إله إلا اللـه،

وأن محمداً رسول الله؛ وذلك: لأنهما أصل الإسلام؛ ولا ينفع علم، ولا يقبل عمل، بدون تحقيقهما، قولاً وعملاً، واعتقاداً؛ وهما أصل التقوى، التى أوصى الله بها الأولين والآخرين، في كتابه، بقوله تعالى: (ولقد وصينا الذين أوتوا
(ص168) الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) [النساء: 131].

وفسر التقوى، من فسرها من السلف، بتفاسير؛ منها: أنها العمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله؛ واجتناب معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله؛ فأعظم ما نوصيك به: استحضار هذا.

ثم الدعوة إلى الله، قال جل جلاله: (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) [فصلت: 33] وقال: (قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) [يوسف: 108] وقال ﷺ لعلي بن أبى طالب رضى الله عنه: " فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً، خير لك من حمر النعم ".

فإذا حققت هذه التقوى، وكنت من أهلها، فلا تخف، ولا تحزن؛ وقد وردت البشرى من الله: أنه معك حيث كنت، ناصراً ومعيناً، وحافظاً، قال تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) [النحل: 128] وإذا كان الله معك، فمن تخاف ؟ وإذا كان عليك، فمن ترجو ؟ وكما قال بعضهم: من اتقى الله، كان الله معه؛ ومن كان الله معه: فمعه الفئة التى لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادى الذي لا يضل.

نسأل الله: أن يهدينا، وإياكم إلى صراطه المستقيم، ويدخلنا برحمته، جنات النعيم؛ والسلام عليكم، ورحمة الله
(ص169) وبركاته.

وبعد ما فرغ: أمير المؤمنين من جوابه، خطر لأحد خدام علماء المسلمين، أن يذيل بكلمات لطيفة، غايتها: ثناء على الله، وتحدث بنعمة الله، وترغيب في دين الله، مراعياً فيها،

ما قيل في المثل: خـير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيمـل؛ وقد اتفقت على روى المبتدى، وبحره.

فقال غفر الله له:

تــألق بـــرق الحق في	فعم حياة الكـون في
وأورقت الأشـــــــجار	يوانع أنواع من الثمر
وأشـــرقت الأنـــوار من	وأعقبت الأقطـار من
وغردت الأطيار بالـذكر	مِسـامع جهـراً فـوق
وقـام خطيب الكائنـات	على الخصب بعد
فــــذاك الحيا محــــيى	ومطعومها مشـروبها
فها نحن نجـــــــني من	ونرجـــوا جنـاه العفو
فإن كنت مشـتاقاً إلى	فذقه تجد طعمـاً ألذ
هو الـــــوحى دين الله	وحظهم الأوفى
به ينتجى والنـــاس في	به يـــــــــرتجى نيل
(ص170) به الأمن في	ومن قبل عند
به تصـــلح الـــدنيا به	به يحتمى من كل
به زعـــزعت أركـــان	ولم يجد ما حـازا من
ومثلهما في السـالكين	أرانا كما قد قاله
فلله حمد يرتضـــــــيه	على نعم زادت عن
فأعظمها بعث الرسول	أمين إله الخلق
دعانا إلى الإسـلام دين	وتوحيـــده بـــالقول
هـــدانا به بعد الضـلالة	وأنقـــذنا بعد الغواية
حبانا وأعطانا الــــذي	وأمكننا من كل طـاغ
وأيدنا بالنصر واتسـقت	ممالك لا تدعو سوى
فنســأله إتمـــام نعمته	يثبتنا عند المصـــادر
فيا فـــوز عبد قــام للهِ	على قـــدم التجريد
وجـــــــــدد في نصرٍ	بعزم يرى أمضى من
وتابع هـدى المصـطفيِ	لخالقه فيما يسر وما
ويا حســـرة المحـــروم	بإعراضه عن دين
لقد فاته الخـير الكثـير	وقد خـــاب واختـــار
ومن بعد حمد الله	وتســـــليمه الأوفى

على المصطفى خير وأصحابه أهل

قال الإمام: عبد العزيز بن محمد بن سعود، رحمه الله تعالى، وقد سئل عن رجل عبد الله على ظاهر دين الإسلام، يأتى بالواجبات، ويترك المقبحات ولا يقلد في دينه أحداً من (ص171) أرباب هذه المذاهب المشهورة، بل إن كان فيه أهلية النظر في أدلة الكتاب والسنة عمل بها، وإلا سأل من وجده من العلماء، فهل هذا ناج، أم لا ؟

فنقول: بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه، وعلى آله وسلم، قال الله تعالى في كتابة: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)، [النساء: 69].

فأخبر الله سبحانه أن من أطاع الله ورسوله، من الأولين والآخرين، فهو ناج من العذاب، ويحصل جزيل الثواب، وهذا أمر مجمع عليه بين الأمة، ولله الحمد، لا اختلاف فيه، لكن الشأن في تحقيق ذلك، وتصديق القول بالعمل بما في كتاب الله، وسنة رسوله، عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، وذلك: لأن الناس أحدثوا بعد نبيهم ﷺ، والسلف الصالح: محدثات، زعموا أنها من البدع الحسنة، فأقبح ذلك وأشده: دعوة غير الله، والاستغاثة بالصالحين، من الأحياء، والأموات، في جلب الفوائد، وكشف الشدائد، وسؤالهم الحاجات، ليشفعوا لهم عند الله، ويقربوهم عنده.

وكذلك: كنا نفعله، قبل أن يمن الله علينا بدين الإسلام، نحن وغيرنا، حتى اشتهر ذلك في كثير من البلاد، وصار عند غالب الناس، هو غاية تعظيم الصالحين، ومحبتهم، ومن أنكره عليهم كفروه، وخرجوه.

(ص172) فلما ظهر الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، أسكنه الله الجنة يوم المآب: نهانا عن ذلك، وأخبر أن هذا هو الشرك، الذي لا يغفره الله، إلا بالتوبة منه، وأنه هو فعل المشركين، عبدة الأوثان، من العرب، وغيرهم.

وأتانا بالدلائل القطعية، من الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة، كقوله تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) [الجن: 18] وقوله تعالى: (ومن أضل ممنن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) [الأحقاف: 5-6] وقال تعالى: (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)، [غافر: 60].

والآيات في هذا المعنى كثيرة معروفة، فلما عرفنا: أن هذا هو الشرك، الذي بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، تنهى عنه، وتأمر بعبادة الله، وإخلاص الدعوة له، وحده لا شريك له، وأن هذا هو تحقيق شهادة: أن لا إله إلا الله، تبرأنا من الشرك بالله وأهله، ومن دعوة غير الله، والاستغاثة بهم في الشدائد، وجلب الفوائد، وإخلاص الدعوة لله وحده لا شريك له.

فلما فعلنا ذلك، وأزلنا: جميع الأوثان، والقباب، التى في بلداننا، أنكر الناس ذلك، وكفرونا، وخرجونا، وبدعونا، ورمونا بعداوتهم عن قوس واحد، فاعتصمنا بالله،

(ص173) وتوكلنا عليه، وجاهدناهم في الله، وفى دين الله، فنصرنا الله عليهم، وأورثنا أرضهم، وديارهم وأموالهم، والحمد لله على ذلك، فهو الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

إذا عرفتم ذلك، فنقول في جواب المسألة الكبرى: من عبد الله وحده لا شريك له، وأخلص جميع العبادة بأنواعها لله وحده لا شريك له، فلم يستغث إلا بالله، ولم يدع إلا الله وحده، ولم يذبح إلا لله وحده، ولم ينذر إلا لله وحده، ولم يتوكل إلا عليه، ويذب عن دين الله، وعمل بما عرف من ذلك بقدر استطاعته، فهو ناج بلا شك، وإن لم يعرف هذه المذاهب المشهورة.

قال الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله الحصين رحمة الله تعالى: ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفـــرد بالكمـــال والبقـــاء والعز والكبريـــاء الموصوف بالصفات والأسماء المنزه عن الأشباه والنظــراء، الــذي ســبق علمه في بريتــه، بحكم القضــاء من الســعادة، والشقاء؛ وأكمل لنا ديننا، ولم يجعله ملتبساً علينــا، وتفضــل، فرضى لنا الإسلام ديناً، فنحمده على ذلك، ونشكره، ونــؤمن به، ونتوكل عليه، ونتوب إليه، ونستغفره؛ وصلى الله وسـلم، على المبعــوث، بالمحجة البيضــاء، والشــريعة الغــراء؛ محمد أفضل الرسل، والأنبياء؛ وعلى آله وأصحابه الأتقياء،

(ص174) صلاة وسلاماً دائمين، متلازمين إلى يوم البعث والجزاء.

أما بعــد: فــإن العبــادة الــتى هى اسم جــامع، لكل ما يحبه الله ويرضاه، هى الغاية الــتى خلق الله لها جميع العبــاد، من جهة أمر الله تعــالى، ومحبته ورضــاه، كما قــال تعــالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56] وبها أرسل الرســـل، وأنـــزل الكتب؛ وذلـــك: أن الـــدين كله بأنواعه لله وحده، والأمر كله للــه، مختص بجلاله وعظمتــه، ليس للخلق منه شئ البتة، لا ملك، ولا نــبى، ولا ولى، بل حق لله تعــالى، غير جنس حق المخلوق.

فأما حقه تعالى: فتوحيــده، وإفــراده بعبادتــه، الــتى أوجبها تعالى على عباده، وخلقهم ليعملــوا بهــا، وإخلاصــها له تعــالى وتقدس، بعد نفيها عن غيره؛ وحصرها له وعليه؛ والدعاء بما لا يقدر على جلبــه، ودفعه إلا اللــه، مختصــاً بــه؛ لا يجــوز: أن يدعى في ذلك غيره؛ تبــارك وتعــالى؛ ورجــاؤه فيــه، والتوكل عليــه؛ وذبح النســك، والنــذر، لجلب الخــير، أو دفع الشــر، والإنابــة، والخضــوع كله للـــه، مختص بجلالـــه، كالســـجود، والتسبيح، والتكبير والتهليل.

قال سبحانه وتعالى: (لــه دعــوة الحق والــذين يــدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضــلال) [الرعــد: 14] وقال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

[الجن: 18] وقال لنبيه صلى الله عليه وسـلم: (ولا تـدع من دون الله ما لا
(ص175) ينفعك ولا يضرك) [يونس: 106] وقـال تعـالى لأفضل خلقه: (قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشــداً، قل إني لن يجـيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحــداً) [الجن: 21-22]

وقال تعالى: (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شـاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاسـتكثرت من الخـير وما مسـني السوء إن إلا أنا نذير وبشير لقوم يؤمنون) [الأعـراف: 188] وقال تعـالى: (قل إن صـلاتي ونسـكي ومحيـاي ومممـاتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [الأنعام: 162 –163] وقـال تعـالى: (فاعبـده وتوكل عليـه) [هود 123].وحق الأنبياء: الإيمان بهم، وبما جاؤوا بـه، واتبـاع النور الـذي أنـزل معهم، وتعزيـرهم، وتوقـيرهم، ومـوالاتهم، وتقــديم محبتهم على النفس، والمــال، والبــنين، والنــاس أجمعين؛ وعلامة التصديق في ذلـك: اتبـاع هـديهم، والإيمـان بما جاؤوا به من عند ربهم، والإيمان بمعجزاتهم، وأنهم بلغـوا رسالات ربهم، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وأن محمد صـلى الله عليه وسلم خاتمهم، وأفضلهم، وإثبـات شـفاعتهم، الـتي أثبتها الله ســبحانه في كتابــه، وهي من بعد إذن ربهم لهم فيهــا، ممن يرضى عنه من أهل التوحيــد؛ وأن المقـــام المحمود، الذي ذكره الله في كتابـه؛: لنبينا محمد صـلى الله عليه وسـلم. وكـذلك حق أوليائـه: محبتهم، والترضي عنهم، والإيمان
(ص176) بكرامتهم؛ لا عبادتهم ليجلبوا لمن دعاهم خـيراً لا يقـدر على جلبـه، إلا الله تبـارك وتعـالى؛ ويـدفعوا عنهم سـوءا لا يقــدر على دفعــه، أو رفعــه، إلا اللــه، لأنه عبــادة مختصــة، بجلاله ســبحانه، قــال الله تعــالى: (وقــال ربكم ادعــوني أســتجب لكم إن الــذين يســتكبرون عن عبــادتي ســيدخلون جهنم داخــرين) [غــافر: 60] فســماه عبــادة، وأضـافها إلى نفسـه؛ وروى النعمـان بن بشـير، قـال: قـال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الـدعاء هو العبـادة " ثم قــرأ رســول الله صــلى الله عليه وســلم: (وقــال ربكم ادعــوني أســتجب لكم إن الــذين يســتكبرون عن عبـادتي " الآية، رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وكل مافي القرآن، من دعـاء، أو دعـوة، فهـو، إما بمعـنى: اسألوني أعطكم، كما في هذا الحديث، وكقوله تعـالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الـداع إذا دعـان) الآية [البقـرة: 186] وإما بمعـنى امتثـال الأوامـر، واجتنـاب المنـاهي، كما في قولـه: (ويسـتجيب الـذين آمنـوا وعملـوا الصــالحات ويزيــدهم) [الشــورى: 26] أي يــثيبهم على أحد التفسـيرين، لا أن يتخـذوا في ذلك واسـطة، بين اللـه، وبين من دعاهم، ولا سيما في حصول المطلـوب، كالواسـطة بين السلطان ورعيته؛ فإن ذلك دين المشركين، الـذين قـال الله فيهم: (قل ادعـــوا الـــذين زعمتم من دون الله لا يملكـــون مثقـال ذرة في السـموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) الآية [سبأ: 22] وقال

(ص177) تعـالى: (قل ادعـوا الـذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) [الإسراء: 56]

وإنما ذكر الله ذلك عنهم، لأنهم يدعون الملائكة، والأنبيـاء، ويصورون صـورهم، محبة لهم، ويرجـونهم، ويلتجـؤون إليهم؛ ليشفعوا لهم، فيما دعوهم فيه، وذلك بطرق مختلفة؛ ففرقة قالت: ليس لنا أهلية مباشرة دعاء الله، ورجائه، بلا واســطة تقربنا إليه، وتشفع لنا عنده، لعظمته؛ وفرقة قـالت: الأنبيـاء، والملائكــة، ذووا وجاهة عند اللــه، ومنزلة عنــده، فاتخــذوا صــــورهم، من أجل حبهم لهم، ليقربــــوهم إلى الله زلفى؛ وفرقـة: جعلتهم قبلة في دعـاء اللـه، وفرقة قـالت: إن على كل صــورة مصــورة، على صــور الملائكــة، والأنبيــاء، وكيلاً موكلاً بأمر الله، فمن أقبل على دعائه، ورجائـه، وتبتل إليـه، قضى ذلك الوكيل، ما طلب منه، بأمر الله، وإلا أصــابته نكبة بأمره؛ فالمشرك: إنما يدعو غـير اللـه، فيما لا يقـدر عليه إلا

الله تعالى، ويلتجىء إليه فيه ويرجوه منـه، لما يحصل له في زعمه من النفع.

وهو لا يكون إلا فيمن وجـدت فيه خصـلة من أربـع، إما أن يكـون: مالكاً لما يريد منه داعيـه، فـإن لم يكن مالكـاً، كـان شريكاً؛ فإن لم يكن، كان ظهيراً، فـإن لم يكن ظهـيراً، كـان شفيعاً؛ فنفى الله سـبحانه: هـذه المـراتب الأربع عن غـيره، نفيـاً مرتبـاً، متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى؛ فنفى: الملك عن غيره، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التى لأجلها وقعت

(ص178) العداوة، والمخاصمة، بقوله تعالى: (وقل الحمد لله الـذي لم يتخذ ولـداً ولم يكن له شـريك في الملك ولم يكن له ولي من الـذل وكـبره تكبـيراً) [الإسـراء: 111] (قل من بيـده ملكـوت كل شـيء وهو يجـير ولا يجـار عليـه) [المؤمنون: 88] وقوله: (قل اللهم مالك الملك تـؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) [آل عمران: 26]

وقوله: (لمن الملك اليـوم لله الواحد القهـار) [غـافر: 16] وقولـه: (يـوم لا تملك نفس لنفس شـيئاً والأمر يومئذ للـه) [الإنفطـار: 19] وقولـه: (مالك يـوم الـدين) [الفاتحـة: 4] وقولـه: (وخشـعت الأصـوات للـرحمن فلا تسـمع إلا همسـاً) [طه: 108] وقوله: (قل ادعوا الـذين زعمتم من دون الله لا يملكـون مثقـال ذرة في السـموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شـرك وماله منهم من ظهـير، ولا تنفع الشـفاعة عنده إلا لمن أذن له) [سبأ: 22 – 23]

فـأثبت سـبحانه وتعـالى ما لا نصـيب فيها للمشـرك البتـة، وهي: الشـفاعة بإذنه لمن رضي عنه سـبحانه، الـذي يعلم السر وأخفى، ولا يخفى عليه شـــــيء في الأرض ولا في السماء؛ ولهذا لما قالت الصحابة رضي الله عنهم، يا رسـول الله: أربنا قريب فنناجيـه، أم بعيد فنناديه ؟ أنـزل الله تبـارك وتعالى: (وإذا سألك عبـادي عـني فـإني قـريب أجيب دعـوة الداع إذا دعان) الآية [البقرة: 186] وقال تعالى: (أم اتخـذوا من دون الله شـفعاء قل أولو كـانوا لا يملكـون شـيئاً ولا يعقلون، قل

(ص179) لله الشفاعة جميعاً) [الزمـر: 43 –44] وقـال: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشـروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) الآية [الأنعام: 51].

فليس الموحـد: إلا من اجتمع قلبـه، ولسـانه، على اللـه، مخلصاً له تعالى ألوهيته، المقتضية لعبادته، بمحبته، وخوفـه، ورجائه، ودعائه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وحصر الـدعاء بما لا يقدر على جلبه، أو دفعه عنه إلا الله وحـده، والمـوالاة في ذلك، والمعاداة فيه، وأمثال هذا، عالماً بالفرق، بين حق: الخالق، والمخلوق، من الأنبياء، والأولياء، مميزاً بين الحقين، وذلـك: واجب في علم القلب، وشـهادته، وذكـره ومعرفتـه؛ وفى حال القلب، أيضاً، وعبادته، وقصـده، وإرادتـه، ومحبتـه، وموالاته، وطاعته.

فهذا من تحقيق معنى، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن معنى الإله عند الأولين: ما تألهه القلوب، بالمحبة، التى كحب الله، والتعظيم، والإجلال، والخضوع، والرجاء، والالتجاء، والتوكـل، والدعاء بما هو مختص بالله، وذبح النسك له.

قـال تعـالى: (ومن النـاس من يتخذ من دون الله أنـداداً يحبـونهم كحب الله والـذين آمنـوا أشد حبـاً للـه) [البقـرة: 165] وقالوا لمن أحبـوه كحب الله (تالله إن كنا لفى ضـلال مبين، إذ نسويكم بـرب العـالمين) [الشـعراء: 97-98] وهم: ما

(ص180) ساووهم به في الصفات، ولا في الذات، ولا في الأفعـال، كما حكى الله عنهم في الآيـة، في قولـه: (قل من يرزقكم من السماء والأرض) الآية [يونس: 31] وقولـه: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمـون) الآيـات [المؤمنـون: 84-89].

والشـاهد للـه، بأنـه: لا إله إلا الله هـو، وقائلهـا: نافيـاً في قلبه، ولسانه، ألوهية كل ما سواه من الخلق، ومثبتاً الألوهية لمسـتحقها، وهو الله المعبـود بـالحق، فيكـون معرضـاً عن: ألوهية جميع المخلوقـــات، مقبلاً على عبـــادة رب الأرض والســماوات، وذلك يتضــمن: اجتمــاع القلب، في عبادتــه،

ومعاملتــه، على الله تعــالى، ومفارقته في ذلك ما ســواه، فيكون مفرقاً، في علمه وقصده، وشهادته وإرادته، ومعرفته ومحبته، بين الخـالق، والمخلـوق، بحيث يكـون عالمـاً باللـه، ذاكراً له، عارفاً به، وأنه تعـالى مبـاين لخلقـه، منفـرد عنهم، بعبادته، وأفعاله وصفاته.

فيكون محباً له، مستعيناً، به لا بغيره، متوكلا عليه، لا على غـيره، ممتنعـاً عن دعـاء غـيره بما لا يقـدر على إيجـاده، أو دفعـــه، أو رفعـــه، إلا اللـــه؛ فلا يجعل ما هو مختص بجلاله تعالى، لغيره، وهذا المقام، هو المعنى في: (إياك نعبد وإياك نستعين) [الفاتحة: 5] وهذا من خصائص ألوهيته تعالى، التى يشهد له بها عباده المؤمنـون؛ كما أن رحمته تعـالى لعبيـده، وهدايته إياهم، وخلق السماوات

(ص181) والأرض، وما بينهمـا، وما فيهما من الآيـات، من خصـائص ربوبيتــه، الــتى يشــترك في معرفتهــا: المــؤمن والكافر، والبر والفاجر، حتى إبليس عليه اللعنة، معــترف بها في قولــه: (رب فــأنظرنى إلى يــوم يبعثــون) [الحجــر: 36] وقولــه: (رب بما أغويتــنى لأزينن لهم في الأرض ولأغــوينهم أجمعين) [الحجر: 39].

وأمثـال هـذا الخطـاب، الـذي يعـرف فيـه: بـأن الله ربـه، وخالقــه، ومليكــه، وأن ملكــوت كل شــئ، في يــده تعــالى وتقدس، وإنما كفر بعناده، وتكـبره، عن الحــق، وطعنه فيـه، وزعمـه: أنه فيما ادعـاه، وقالـه، محـق، وكـذلك المشـركون الأولون: يعرفون ربوبيته تعالى، وهم له بها يعترفون.

قال الله عزَّ وجلَّ: آمراً نبيه ﷺ أن يسألهم عن ربهم، الــذي خلقهم، ورزقهم، ويحييهم، ويميتهم، ويدبر أمورهم كلها؛ فإذا عرفوه، واعترفوا بـه: اسـتحق أن يخص بألوهيتـه، فلا يـدعوا مع الله إلها آخـــر، بل يـــتركوا تلك الآلهة الـــتى يـــدعونها، ويرجونهـا، وينسـكون لهـا، لتقـربهم إلى الله زلفى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت) الآية [يونس: 31]: وقال تعالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمـــون ســـيقولون للـــه)

[المؤمنـون: 84-85] وقـال تعـالى: (ولئن سـألتهم من خلق السـموات والأرض وسـخر الشـمس والقمر ليقـولن اللـه) [العنكبوت: 61].

(ص182) فهم قد أقروا، واعترفوا بأن الله سبحانه: خالق الأشـياء كلهـا، وموجـدها، ومالكهـا، وأنه النـافع، الضـار، المعطى، المانع، الـذي لا رازق سـواه، ولا قـابض، ولا باسط إلا هو، وحده لا شريك له في ذلك، قال تعـالى: (قل أرأيتكم إن أتـاكم عـذاب الله أو أتتكم السـاعة أغـير الله تـدعون إن كنتم صـادقين، بل إيـاه تـدعون فيكشف ما تـدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) [الأنعام: 40 –41]

وقـال تعـالى: (وإذا غشـيهم مـوج كالظلل دعـوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصـد) الآية [لقمان: 32] وقال تعالى: (فـإذا ركبـوا في الفلك دعـوا الله مخلصـين له الـدين فلما نجـاهم إلى الـبر إذا هم يشـركون) [العنكبـوت: 65] وقـال تعـالى: (قل من بيـده ملكـوت كل شـيء وهو يجـير ولا يجـار عليه إن كنتم تعلمـون، سـيقولون لله) [المؤمنون: 88 – 89] وقال: (واتل عليهم نبأ إبراهيم، إذا قال لأبيه) الآيات [الشعراء: 69 –82]

وروى الإمـام أحمد في مسـنده، والترمـذي، من حـديث حصين بن منذر: أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال: "يا حصين كم تعبد " ؟ قال؛ سـبعة، سـتة في الأرض، وواحد في السماء، قال: " فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك " ؟ قال: الـذي في السـماء، فقـال له رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: " أسـلم حـتى أعلمك كلمـات، ينفعك الله بهن " فأسلم، فقال: قل " اللهم ألهمنى رشدي، وقـني شر نفسي "

(ص183) فبمجرد معرفتهم ربوبيته تعالى، واعترافهم بها، لم تنفعهم، ولم تدخلهم في الإسـلام، مع جعلهم مع الله آلهة أخرى، يـدعونها، ويرجونهـا، لتقـربهم من الله زلفى، وتشـفع لهم عند الله، فبذلك: كانوا مشركين في عبادتـه، ومعاملتـه؛

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك.

وقد وصف الله سبحانه، دين المشركين، الذي قال الله فيه: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) [المائدة: 72] وقال: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء: 48] وقال تعالى: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) [الزمر: 65 - 66] وقوله: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: 3] وسيظهر تعالى المحق على المبطل، بحكمه بين الفريقين غدا، كما قال تعالى: (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) [الزمر: 3] وفي صحيحي: البخاري، ومسلم، عن عبدالله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم ؟ قال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك " قال قلت: ثم أي، قال: " أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك "

(ص184) قال قلت: ثم أي، قال: " أن تزاني حليلة جارك " فأنزل الله تصديقها (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) الآية [الفرقان: 68] فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن أعظم الذنب: الشرك بالله، الذي هو جعل الأنداد، واتخاذهم من خلقه ليقربوهم إليه

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم " فدين الله وسط، بين: الغالي فيه، والجافي عنه. والشرك: شركان، شرك أكبر، وهو: الذي تقدم بيانه آنفاً، فهو محبط للأعمال، موجب للخسران، والخلود في النيران، إلا بالتوبة منه، والرجوع إلى دين الإسلام.

وشرك: أصـغر، كالريـاء، والسـمعة، ففي: صـحيح مسـلم، عن أبي هريـرة رضي الله عنــه، عن النــبي صـلى الله عليه وسلم قال: " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً، أشــرك فيه غــيري، تركته وشــركه" ومنــه: الحلف بغـير اللـه؛ روى الإمـام أحمـد، وأبو داود، من حـديث ابن عمـر، عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال رجـل: ماشاء الله وما شئت، قال: " أجعلتني لله نداً ؟ قل: ما شاء الله وحده " وروى الإمام أحمد في مسنده: أن رجلاً أتى به، قد أذنب ذنباً، وهو أسير، فلما وقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم إني أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمـد، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: " عرف
(ص185) الحق لأهله "

والشرك الأصغر: ذنب تحت المشيئة، كسـائر الـذنوب، بل هو أكبرهــا، لعمــوم قولــه: (إن الله لا يغفر أن يشــرك بــه) [النسـاء: 48] وحـديث: " أي الـذنب أعظم " ولكن: لا يكفر مرتكبها، ولا يخرج عن الملة الإسلامية، إذا لم يسـتحل فعلها فلم يبق إلا التوسل بالأعمــال الصــالحة، كتوسل المؤمــنين بإيمانهم، في قولهم: (ربنا إننا سمعنا منادياً ينـادي للإيمـان) [آل عمــران: 193] وكتوسل أصــحاب الصــخرة، المنطبقة عليهم، وهم: الثلاثة النفــــر، توســــلوا إلى الله بأعمــــالهم الصالحة، التي تقربهم، وتحببهم إلى ربهم، رواه البخاري في صــحيحه؛ لأنه وعد أنــه: يســتجيب الــذين آمنــوا وعملــوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

وكسؤاله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، قال الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) [الأعـراف: 180] وكالأدعية المأثورة في السـنن: " اللهم إني أسـألك بـأن لك الحمــد، لا إله إلا أنت، الحنــان، المنــان، بــديع الســماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام " وأمثال ذلك.

وهـذا معـنى قوله تعـالى: (يا أيها الـذين آمنـوا اتقـوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) [المائدة: 35] فإنها القربة التي تقــرب إلى الله، وتقرب فاعلها منه، وهي: الأعمال الصالحة، كما

(ص186) روى البخـــاري في صـــحيحه، من حـــديث أبي هريرة، عن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال: " قـال الله تعالى: من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب، وما تقـرب إلى عبـدي بشـيء أحب إلى مما افترضت عليـه، وما يـزال عبـدي يتقـرب إلي بالنوافل حـتى أحبـه، فـإذا أحببتـه: كنت سمعه الذي يسـمع بـه، وبصـره الـذي يبصر بـه، ويـده الـتي يبطش بهـا، ورجله الـتي يمشي بهـا، ولئن سـألني لأعطينـه، ولئن استعاذني لأعيذنه " الحديث بتمامه.

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا همه أمـــر، فزع إلى الصلاة، فإنها أعظم التقرب إلى الله عزَّ وجـلَّ، كما قال تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة) [البقرة: 45]

وليست الوسيلة بمخلوق يبتغي، ليجعل واســطة بينه وبين خلقـه، يتقربـون به إليـه، لأن هـذا عين ما نهى الله عنه في الآيـات، وأنـزل بقبحه الكتب، وأرسل الرسـل، وهو ما قـالت بنوا إسرائيل لموسى، صـلاة الله وسـلامه عليـه، يا موسـى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة؛ فإن قصدهم: يتقربون به إليه

وأما الأقسـام على الله بمخلـوق، فهو منهي عنـه، باتفـاق العلمـاء؛ وهل هو منهي عنــه، نهى تنزيــه، أو تحــريم ؟ على قــولين، أصــحهما: أنه كراهة تحــريم؛ قــال بشر بن الوليــد، سمعت أبا يوسف يقول؛ قال أبو حنيفة رحمه الله تعــالى، لا ينبغي لأحد أن يدعوإلا به، وأكره: بمعاقد العز من عرشك،

(ص187) وهو حق خلقك؛ وقال أبو يوســف: معاقد العـز: هو اللــه، فلا أكــره هــذا؛ وأكــره: بحق فلان؛ أو بحق أنبيائك ورسـلك؛ وبحق الـبيت، والمشـعر الحـرام؛ قـال رحمه اللـه: المسألة بحق المخلوق لا تجوز لهذا، فلا يقول: أسألك بفلان، أو بملائكتـك، أو أنبيائـك، ونحو ذلـك، لأنـه: لا حق للمخلـوق على الخالق.

وقال تعـالى: (من ورائهم جهنم ولا يغـني عنهم ما كسـبوا شيئاً) الآية [الجاثية: 10] فإذا والى العبد ربه وحده، أقـام له ولياً من الشفعاء، وعقد الموالاة بينه وبين عبـاده المؤمـنين، فصاروا أوليـاءه في اللـه؛ بخلاف من اتخذ مخلوقـاً من دون

اللــه، فهــذا لــون، وذاك لــون؛ كما أن الشــفاعة الشــركية الباطلــة: نــوع؛ والشــفاعة: الحق الثابتــة، الــتى إنما تنــال بالتوحيد، نوع؛ وهـذا موضع فرقـان، بين أهل التوحيـد، وأهل الشرك بالله؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

ومما اســتدل بــه: الــذين يــدعون مع الله غــيره، في المهمــات، من أهل القبــور، والأمــوات، ويقولــون: المــراد الوسيلة: " اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد، نــبي الرحمة؛ يا محمد: إني، أتوجه بك إلى ربي، في حاجتي هــذه لتقضــى، اللهم شــفعه في " رواه الترمــذي، والحــاكم، وابن ماجه، عن عثمان بن حنيف، قال: جاء رجل ضرير إلى النــبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله لي أن يعافيني، فقال: " إن شئت اخترت لك، وهو خير، وإن شئت دعوت

(ص188) لك قــال: فادعــه، فــأمره أن يتوضــأ، ويصــلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء " قال الحاكم: صحيح.

وهذا الحديث، دليل للشــيخ: محمد بن عبد الوهــاب، رحمه الله تعالى، لا عليه، لوجوه

الأول: أنه في غير محل النزاع، بل اختراع منكر، ووردت الأحاديث بحرمته، وهو عمارة القبور، وإلقــاء الســتور عليهــا، وتســريجها، وهــذه كلها كبــائر كما قــال أهل العلم، حــتى ابن حجر الهيتمي، وغيره؛ إن حدها: كل ما اتبع بلعنة، أو غضــب، أو نار.

روى البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنــه، أن رسول الله صلى الله عليه وســلم قــال: " قاتل الله اليهــود، اتخذوا قبور أنبيائهم مســاجد " ولمســلم: " لعن الله اليهــود، والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "

وفي صــحيحه: عن جنــدب بن عبد الله البجلي، رضي الله عنه، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يمــوت بخمس، وهو يقــول: " إني أبــرأ إلى الله أن يكــون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من

كان قبلكم، كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك "

(ص189) وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال، وهو كذلك: " لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، متفق عليه.

وروى الإمام أحمد، في مسنده، بإسناد جيد، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن من شرار الناس، من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد "، " وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: " لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد، والسرج " رواه الإمام أحمد، وأهل السنن وهذا حال من سجد لله عند قبر، فكيف بمن سجد للقبر نفسه، أو دعاه، وعدل عن أوضاع الشرع، إلى تعظيم أوضاع الجهال، والطغام، وضعوها لأنفسهم بتلبيس إبليس عليهم، فسهلت لهم، وطابت بها قلوبهم، من تعظيم القبور، وإكرامها بما نهى عنه الشرع، من عبادتها، بدعائها، ورجائها، والإلتجاء إليها، والتوكل عليها، والنذر لها، وكتب الرقاع فيها؛ وخطاب الموتى بالحوائج: يا سيدي، يا مولاي: افعل بي كذا وكذا؛ وأخذ ترابها، وجعل الخرق عليها تبركاً، وإيقاد السرج عليها، وتقبيلها، وتحليتها، وشد الرحال إليها، وينضاف إلى ذلك: إلقاء الخرق على الشجر،

(ص190) ودعاؤها والذبح، والنذر لها؛ اقتداء: بمن عبد اللات، والعزى؛ والويل كل الويل عندهم، لمن عاب، أو نكر عليهم. ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور، وما أمر ونهى، وما كان عليه أصحابه، وبين الذي عليه أكثر الناس اليوم: رأى أحدهما مضاداً للآخر، مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً؛ ودعاء المقبور عند المهمات:

شرك بالله عـزَّ وجـلَّ، وقد ذكرنا أدلته فيما تقـدم؛ وإن كـان سـبب قـول الله عـزَّ وجـلَّ: (فلا تجعلـوا لله أنـداداً وأنتم تعلمـون) [البقـرة: 22] مجيء خـبر من اليهـود، إلى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم والمسـلمين، وقولـه: نعم القـوم أنتم، لـولا أنكم تجعلـون لله أنـداداً؛ فتقولـون: ما شـاء الله وشاء فلان، فقـال صـلى الله عليه وسـلم: " أما إنه قد قـال حقاً " وأنزل الله (فلا تجعلـوا لله أنـداداً) الآية [البقـرة: 22] وممن أخـرج الحـديث: جلال الـدين السـيوطي، في الـدر المنثـور، في تفسـير الآيـة؛ وعن قتيلة – امـرأة من جهينة – قالت: أتى يهـودي إلى النـبي صـلى الله عليه وسـلم فقـال: إنكم تنـددون، وتشـركون، تقولـون: ما شـاء الله وشـئت؛ وتقولون: والكعبة؛ فأمرهم النـبي صـلى الله عليه وسـلم أن يقولـوا: ورب الكعبـة؛ وما شـاء اللـه، ثم شـئت؛ رواه النسائي.وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم قول اليهـودي: إن هذا شرك، فكيف حال من نادى عند المهمات غـير الله ؟ إذ هو داخل تحت

(ص191) قوله: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) [البقرة: 165].

وهؤلاء: يحب أحدهم معتقده، أكثر من حب الله، وإن زعم أنه لا يحبه كحب اللـه، فشـواهد الحـال: تشـهد عليه بـذلك؛ فإنه يعظم القـبر أعظم من بيت اللـه، ويحلف بالله تعـالى كاذباً، ولا يحلف بمعتقده؛ ويحلف بالله تعـالى في أي محـل، ولا يحلف بمعتقد يعتقده؛ فلا جامع بين ما اسـتدلوا بـه، وبين ما نهـاهم عنـه: محمد بن عبد الوهـاب، عافـاه الله تعـالى. الثـاني: أن الحـديث دليل للشـيخ رحمه الله تعـالى، أنه لا يدعى غير الله عزَّ وجلَّ، فإن مسألة: اللهم إني أتوجه إليـك؛ المسئول: الله عـزَّ وجـلَّ، وإنما توجه إليه بحبيبه المصـطفى عنده، ونهايته سؤاله سـبحانه؛ ووسـطه: يا حبيبنا محمـداً، إنا نتوسل بك إلى ربك، فاشفع لنا.

فهذا خطـاب، لخـاص معين، في قولـه؛ كقولنا في صـلاتنا: السـلام عليك أيها النـبي، ورحمة الله وبركاتـه؛ وكاستحضـار

الإنسان محبه، ومبغضه في قلبه، فيخاطبه بما يهواه لسانه، وهذا كثير في لسان الخاصة، دون العامة، ومعناه: أتوجه إليك بدعاء نبيك، وشفاعته، المشتملة على الدعاء؛ ولهذا قال في تمام الحديث: اللهم شفعه في؛ وهذا متفق على جوازه.

(ص192) وقد مضت السنة: أن الحي يطلب منه الدعاء، كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه، سواء كان بلفظ الاستغاثة، أم بغيرها؛ ومنه ما قص الله عن الإسرائيلي، المستغيث بموسى على القبطي، في قوله: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى) الآية [القصص: 15] وكاستشفاع الأمة من أهل الموقف، بالأنبياء، والطواف عليهم، يسألونهم: أن يشفعوا إلى الله من أهل الموقف عامة.وأما: المخلوق الغائب، أو الميت، فلا يستغاث به، ولا يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله البتة؛ وهذا موافق لقوله تعالى؛ (قل إن الأمر كله لله) [آل: عمران 154] وإنما غاية طلب الشفاعة عند الله عزَّ وجلَّ، أن يشفع نبيه فيه، هو صلى الله عليه وسلم قد انتقل من هذه الدار، إلى دار القرار، بنص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة. ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس بن عبد المطلب، وسألوه: أن يدعو لهم في الاستسقاء، عام القحط، أخرجه البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في: باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء، إذا قحطوا؛ ولم يأتوا إلى قبره، ولاوقفوا عنده، مع أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة برزخية، أعلى من حياة الشهداء.

وقد اتفق الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، على: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسأل بعد موته، لا استغفاراً، ولا دعاءً، ولا

(ص193) غيرهما؛ فإن الدعاء عبادة، مبناها على التوقيف، والاتباع، لا على الهوى، والابتداع، ولو كان هذا من العبادة، لسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع له.

وقوله تعـــالى: (ولو أنهم إذ ظلمـــوا أنفســـهم جـــاؤك فاسـتغفروا الله واسـتغفر لهم الرسـول لوجـدوا اللـه) الآية [النساء: 64] فإتيانهم له صـلى الله عليه وسـلم للاسـتغفار، مخصـــوص بوجـــوده في الـــدنيا، ولهـــذا لم يفعله أحد من الصحابة، ولا التابعين، مع شدة احتياجهم، وكثرة مـدلهماتهم، وهم أعلم بمعانى كتاب الله، وسنة رسـوله، وأحـرص اتباعـاً لملته من غـيرهم؛ بل كـانوا ينهـون عنـه، وعن الوقـوف عند القبر للدعاء عنده؛ منهم الإمـام مالـك، وأبو حنيفـة، وأحمـد، والشـافعي؛ وهم من خـير القـرون، الـتي قد نص صـلى الله عليه وسـلم عليها في قولـــه: " خـــيركم قـــرني، ثم الـــذين يلونهم، ثم الذين يلونهم " قال عمـران: لا أدري أذكر اثنـتين أو ثلاثاً بعد قرنه، رواه البخاري في صحيحه.

الثالث: أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة إلى الله تعالى، بغـير محمد صـــلى الله عليه وســـلم، فلا دليل فيه أصـــلاً، لأنهم صرحوا بأنه لا يقاس مع فارق، فلا يجـوز لنا أن نقـول: اللهم إنا نسـألك، ونتوجه إليك برسـولك، نـوح، يا رسـول اللـه، يا نوح، إلى آخره؛ ولا أن نقول: اللهم إنا نسألك، ونتوجه إليـك، بخليلك إبراهيم، إلى آخره، ولا أن نقول: بكليمك موسى، ولا بروحك عيسى.

(ص194) ونحن نقـول: إن الجـامع في نـوح عليه الصـلاة والسـلام: الرسـالة؛ وفي إبـراهيم، عليه الصـلاة والسـلام: الخلة مع الرســالة؛ وفي موســى، عليه الصــلاة والســلام: الكلام مع الرسالة؛ وفي عيسى عليه الصلاة والسلام: كونه، روح الله، وكلمته، مع الرسالة؛ فليس لنا هـذا، لأنـه، أولاً: لم يــرد، ولا حاجة لنا إلى فعل شــيء لم يــرد؛ ثانيــاً: إنما أبيح القيــاس، عند من يقــول بــه، للحاجة في حكم لم يوجد فيه نص؛ فإذا وجد النص، فلا يحل القياس، عند من يقول به، ولا حاجة بنا إلى قوله هو مخـــــترع؛ خصوصـــــاً مع ما ورد في الشرك، وأنه في هذه الأمة، أخفى من دبيب النمل.

الرابع: أن الوسيلة، ليست هي: أن ينـادي العبد غـير اللـه، ويطلب حاجتـه، الـتي لا يقـدر على وجودها إلا اللـه، ممن لا

يملك لنفسه، نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) [الحج: 73] بل هذا شرك بالله، وجعلوا دليلهم، مع ما تقدم، بعد ارتكابهم أكبر المناكر، قوله صلى الله عليه وسلم: " يا عباد الله أعينوني " وقوله: " يا عباد الله احبسوا ".

وهذا من جملة الجهل، والضلال، وإخراج المعاني عن مقاصدها، من وجوه. الأول: أن هذه بوسيلة أصلاً، إذ معنى الوسيلة: ما يتقرب به من الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ، وهذا ليس بقربة، لأنه ورد في أذكار السفر: أن العبد، إذا أراد عوناً، بمعنى:

(ص195) أنه إذا أعيى من حمل متاعه، أو انفلتت دابته، فقد جعل الله عباداً، من صالحي الجن، أو من الملائكة، أو ممن لا يعلمه، من جنده سواه (وما يعلم جنود ربك إلا هو) [المدثر: 31] واستعماله في كل المهمات، من أعظم الجور؛ وإن أراد فيما ورد الحديث به خاصة: امتثال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد يكون بهذه الإرادة قربة.

ولا دلالة فيه: أن ينادي عبد القادر الجيلاني، من قطر شاسع، بل ولا من عند قبره، ولا ينادي غيره، لا الأنبياء، ولا الأولياء، إنما غايته: أن العبد يقول، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا عباد الله " وإذا نادى شخصاً باسمه، معيناً، فقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادى من لم يؤمر بندائه، وليس ذلك في كل حركة وسكون، وقيام وقعود؛ وإنما أبيح له ذلك، إن أراد عوناً على حمل متاعه، وعلى الدابة، أو انفلتت.

الثاني: أن الحديثين غير صحيحين؛ أما الأول: فرواه الطبراني في الكبير، بسند منقطع، عن عتبة رضي الله عنه؛ وحديث: انفلات الدابة، عزاه النووي لابن السني، وفي إسناده: معروف بن حسان، قال ابن عدي: منكر الحديث؛ ولا دليل في الحديثين، مع ضعفهما، ولا في الحديث المتقدم قبلهما، على شيء يفعله عباد القبور؛ من دعائها، ورجائها،

والتوكل عليها، والـذبح، والنـذر لهـا، والهتف بـذكر من فيهـا، عند الشدائد

(ص196) الثالث: أن الله قال: (اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)[المائـدة: 3] فبعد أن أكملـه، بفضـله ورحمته، فلا يحل لنا أن نختـرع فيه ما ليس منـه، ونقيس ما لا يقاس عليه.

الرابع: أن الحديث الصحيح، ما رواه: العدل، الضـابط، عن مثلـه، من غـير شـذوذ، ولا علـة؛ فكيـف: يعمل بالحـديث المتكلم فيه، فيما لا يدل عليه دلالة مطابقـة، ولا تضـمن، ولا التزام ؟ فهذا هو البهتان.

الخـامس: أنهم عمـروا مـواقفهم، بـذكر من يعتقدونـه، ونسـبوا الأفعـال إليهم، وكل أحد يـذكر ما وقع لـه، من الاستغاثة بفلان، ومن أنجده، وكشف شدته، فـإذا قـال أحـد: (سبحان الذي بيده ملكوت كل شـيء) [يس: 83] (سـبحانك هذا بهتان عظيم) [النور: 16] قـامت عليه الجماعـة، وقـالوا معلـوم: (إن أوليـاء الله لا خـوف عليهم ولا هم يحزنـون) [يونس: 62]

فإذا قال: نعم، وليس بيد أحد منهم، ملكوت خردلـة، والله يقول: (ذالكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكـون من قطمـير) [فـاطر: 13] والقطمـير: القشـرة اللطيفة، تكون على النواة (إن تـدعوهم لا يسـمعوا دعـاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) [فاطر: 14] 0

فإذا كان فيهم: من يدعى العلم، والإنصاف، وهو

(ص197) واسع الصدر؛ يقول: هذه الآية، نزلت في عبـاد الأصـنام؛ فـإذا قيل لـه: نعم؛ الأصـنام: ود، وسـواع، ونسـر، أسماء رجال صـالحين؛ وهـذه الخـرق، على التـوابيت، وهي: فعل عبـاد الأصـنام، وأسـماء رجـال صـالحين؛ وقد قـرر أهل العلم: أن العـام لا يقصر على السـبب؛ ولا يحل إلا أن نـؤدي الأمانة 0

فإذا قيل: أدوا الأمانة، فإنه تعالى يقـول: (إن الله يـأمركم أن تؤدوا الأمانات) [النسـاء: 58] فلا نقـول: هـذه نـزلت في مفتاح باب الكعبة، فلا نحتج بها؛ كـذلك لا نقـول: هـذه نـزلت في عبـاد الأصـنام، ونفعل فعلهم، ونقـول: لسـنا بمشـركين؛ وفي الأحـاديث القدسـية، عن سـيد البريـة: " قـال الله عـزَّ وجــــلَّ، إني، والجن، والإنس، في نبأ عظيم، أخلــــق، ويعبد غيري، وأرزق، ويشكر سواي " أخرجـه: الترمـذي، والـبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي الدرداء، رضي الله عنه؛ فيجيب: بأن الأمة مطبقة على هذا، والأمة لا تجتمع على ضلالة، يلزم من هذا تضليل الأمة وتسفيه الآثار 0

فيجاب عليه: أمَّا: إن الأمة مطبقة على هـذا، فكـذب على الأمة، وليست بمطبقة على هذا، وهذه كتب الفروع، في كل مذهب، وكتب الحديث والتفسير، ليس فيهـا: أنه يـدعى غـير الله عزَّ وجلَّ، ولا يسن، ولا يستحب، ولا ينبغي، ولا يجوز، ولا يباح؛ بل الآيـات البينـات، والأحـاديث، وأقـوال العلمـاء ترشد إلى أن هذا شرك محقـق؛ والله تعـالى يقـول لرسـوله: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم

(ص198) ألا تشــركوا به شـئيا) [الأنعــام: 151] ويقــول: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) [الإسراء: 23].

السادس: قد اختلف في التوسل إليه بشئ من مخلوقاتـه، فقــال أبو محمد بن عبد الســلام، في فتاويــه: إنه لا يجــوز التوسل إليه بشئ من مخلوقاتـــه، لا الأنبيـــاء، ولا غـــيرهم، وتوقف في حق نبينا ، لاعتقــاده: أنه ورد في ذلك حــديث، وإنه لم يعرف صـحة هـذا الحـديث؛ وتقـدم: قـول أبى حنيفة وأصحابه، رحمهم الله تعالى.

السابع: أنهم يشترون أولادهم ممن يعتقدونه، ويجعلون له النـــذور، وإذا جـــاء المولـــود، جعلـــوا لمن ينتسب إلى ذلك المعتقد طعاماً، وقد أوحى إليهم الشـيطان: أن يجعلـوا زوايا لمن يعتقدونـــه، وفيها جماعة ينســبون أنفســـهم إلى ذلك , كالعلوانية , والقادرية , والرفاعية , وأسماء ما أنــزل الله بها من سـلطان , بل قـال تعـالى: (هو سـماكم المسـلمين من

قبل) [الحج: 78], في الكتب المنزلة , كـالتوراة , والإنجيل , وفي هذا القرآن , فاستبدلوا الذي هو أدني, بالذي هو خير.

وإذا مرض هذا المشـتري من المعتقد , نـذر أهله النـذور , ولم يزل يستغيث به , ليشفي سقمه , ويكشف شـدته , ولم يزل يلـتزموا في فعلهم هـذا: أن يكـون المشـتري منه الولد ميتاً , في تلك البلدة؛ بل يشـتري أهل مكة أولادهم: من عبد القادر الجيلاني , ومن الجبرتي , المدفون في زبيد؛

(ص199) ويجهلـون قوله تعـالى: (هو الـذي يصـوركم في الأرحام كيف يشـاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم) [آل عمـران: 6] فإن الشراء ممن يملك الشيء.

وهــذا الأمر ســار في العلمــاء , والجهــال؛ فهم قد غلبت عليهم العوائد , وســـلبت عقـــولهم , من تفهم المـــراد والمقاصد, ولم يجدوا هـذا في كتـاب فـروع أحد من الأئمة , صانهم الله عن هذه الوصمة , فما استدلوا به مما تقــدم , لا يكـون دليلاً على التوسل بـالأموات , المعلـوم حـالهم , أنهم في أعلى الجنــان , فكيف غــيرهم , ممن لا يعلم حاله , ولا يـدرى أين مآله , أم كيف يكـون دليلاً , على دعـاء غـير الله تعالى , في المهمات ؟ ويقال: المراد الوسيلة , ويسـتدل لها بهـذا؟! (سـبحانك هـذا بهتـان عظيم) [النـور: 16] وتحريف للكلم عن مواضعه.

فبهـذا تـبين: أن الشـيطان اللعين , نصب لأهل الشــرك , قبـوراً يعظمونها , ويعبـدونها أوثانـاً من دون اللـه؛ ثم يـوحى إلي أوليائـــه: أن من نهى عن عبادتها , واتخاذها أعيـــاداً , وجعلها – والحالة هذه –أوثاناً , فقد انتقصها , وغمصـها حقها , وســبها؛ فيســعي الجــاهلون المشــركون , في قتــالهم , وعقوبـــاتهم , وما ذنبهم عند هـــؤلاء المشـــركين , إلا أنهم أمـروهم بـإخلاص توحيـده , ونهـوهم عن الشـرك بأنواعه , وقـالوا بتعطيلـه. فعند ذلـك: غضب المشـركون , واشـمأزت قلوبهم , فهم لا يؤمنون , وقالوا: قد انتقصوا أهل المقامـات , والرتب ,

(ص200) فاستحقوا الويل والعتب، وفي زعمهم: أنهم لا حرمة لهم، ولا قدر، ويسري ذلك في نفوس الجهال، والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، وحب الأولياء، وأتباع المرسلين.

بسبب ذلك: عادونا، وبالعظائم، والكبائر، والجرائم الغزار رمونا، ونسبوا كل قبيح إلينا، ونفروا الناس عنا، وعما ندعوا إليه، ووالوا أهل الشرك، وظاهروهم علينا، وزعموا أنهم أولياء الله، وأنصار دينه، ورسوله وكتابه.

ويأبى الله ذلك: (وماكانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون) [الأنفال: 34] له، الموافقون له، العارفون به، وبما جاء به، والعاملون به، والداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا، اللابسون ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن دينه، وهديه، وسنته (ويبغونها عوجا) [الأعراف: 45].

(وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) [الكهف: 104] باتباعه، واحترامه، والعمل به؛ وتعظيم الأنبياء، والأولياء، واحترامهم: متابعتهم لهم فيما يحبونه، وتجنب مايكرهونه؛ وهم: أعصى الناس لهم، وأبعدهم منهم، ومن هديهم، ومتابعتهم، كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى، والرافضة مع علي.

وأهل التوحيد: أين كانوا أولى بهم، وبمحبتهم، ونصرة طريقتهم، وسنتهم، وهديهم، ومنهاجهم؛ وأولى بالحق، قولا، وعملا، من أهل الباطل؛ فالمؤمنون

(ص201) والمؤمنات: بعضهم أولياء بعض؛ والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات: بعضهم من بعض.

ومن أصغى إلى كلام الله بكلية قلبه، وتدبره، وتفهمه، أغناه عن اتباع الشيطان وشركه، الذي يصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وينبت النفاق في القلب، وكذلك من أصغى إليه، وإلى حديث الرسول بكليته، وحدث نفسه بهما، وعمل باقتباس الهدى، والعلم منه، لا من غيره، أغناه عن البدع، والشرك، والآراء، والتخرصات، والشطحات، والخيالات، التي

هي من وسـاوس الشـيطان، والنفـوس، وتخيلات الهـواء، والبؤساء.
ومن بعد عن ذلـك، فلا بد أن يتعـوض بما لا ينفعـه، بل مضـرة عليـه؛ كما أن من عَمَّر قلبـه، بمحبة اللـه، وذكـره، وخشـيته، والتوكل عليـه، أغنـاه أيضا عن عشق الصـور، وإذا خلا من ذلـك، عبد هـواه، أي شـيء استحسـنه ملكـه، واستعبده، فالمعرض عن التوحيـد، عابد الشـيطان، مشـرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنة، مبتدع، شاء أم أبى.
وفي صحيح: مسلم، عن أبي الهياج الأسدي، واسمه حيان بن حصـين، قـال: قـال لي علي بن أبي طـالب، رضي الله عنه، ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله صـلى الله عليه وسلم أن لا أدع
(ص202) تمثالا إلا طمسـته، ولا قـبرا مشـرفا إلا سـويته؛ وفي صحيحه أيضا؛ عن ثمامة بن شفي الهمـداني، قـال: كنا مع فضالة بن عبيد، بأرض الروم، فتـوفى صـاحب لنـا، فـأمر فضالة بقبرة فسوى، فقـال: سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يـأمر بتسـويتها، وقد أمر بـه، وفعله الصـحابة، والتابعون، والأئمة المجتهدون.
قال الشافعي، في الأم: رأيت الأئمة بمكة، يـأمرون بهـدم مايبنى على القبور ويؤيد الهدم، قوله: " و لا قبرا مشـرفا إلا سويته " وحديث جابر، الذي في صحيح مسلم: " نهى صـلى الله عليه وسلم عن البنـاء على القبـور " ولأنها أسست على معصـية الرسـول، لنهيه عن البنـاء عليهـا، وأمـره بتسـويتها؛ فبناء أسس على معصـيته، ومخالفته صـلى الله عليه وسـلم بناء غير محـترم، وهو أولى بالهـدم من بنـاء الغاصب قطعـا، وأولى من هـدم مسـجد الضـرار، المـأمور بهدمه شـرعا؛ إذ المفسـدة أعظم، حماية للتوحيـد؛ والله المسـتعان، وعليه التكلان، وهو حسـبنا ونعم الوكيـل، وصـلى الله على محمـد، وآله وصحبه وسلم.
قـال الشـيخ: عبد الـرحمن بن حسن رحمه الله تعـالى، شرحا لكلام جده، الشيخ: محمد، رحمهما الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم
قوله رحمه الله تعالى: أصل دين الإسلام، وقاعدته أمران؛ الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شـريك لـه، والتحـريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه
(ص203) قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر، كقوله تعالى: (قل ياأهل الكتاب تعـالوا إلى كلمة سـواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشـــرك به شـــيئا ولا يتخذ بعضـــنا بعضا أربابا من دون اللـــه) الآية [آل: عمـــران 64] أمر الله تعالى نبيه: أن يـدعو أهل الكتـاب، إلى معـنى لا إله إلا اللـه، الذي دعا إليه العرب وغيرهم.
والكلمة هي: لا إله إلا اللـه؛ ففسـرها بقولـه: (ألا نعبد إلا الله) فقوله: ألا نعبد؛ فيه معنى: لا إله، وهو نفي العبادة عما سوى الله؛ وقوله معنى: لا إله، وهو نفي العبـادة عما سـوى اللـه؛ وقولـه: إلا اللـه، هـو: المسـتثنى في كلمة الإخلاص؛ فـأمره تعـالى: أن يـدعوهم إلى قصر العبـادة عليه وحـده، ونفيها عمن سواه؛ ومثل هذه الآية كثير، يـبين أن الإلهية هي العبادة، وأنها لا يصلح منها شيء لغير اللـه، كما قـال تعـالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) [الإسراء: 23] معنى، قضـى: أمر ووصى؛ قولان؛ ومعناهما واحـد؛ وقولـه: (ألا تعبـدوا) فيه معنى: لا إله، وقوله: (إلا إياه) فيه معنى: إلا الله.
وهـذا: هو توحيد العبـادة، وهو دعـوة الرسـل، إذ قـالوا لقومهم: (أن اعبـدوا الله مـالكم من إله غـيره) [المؤمنـون: 32] فلا بد من نفى الشرك في العبادة رأسا، والبراءة منـه، وممن فعلـه، كما قـال تعـالى، عن خليله إبـراهيم، عليه السلام، (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون، إلا الذي فطرني) [الزخرف: 26-27] فلا بد
(ص204) من البراءة من عبادة ماكان يعبد من دون الله.
وقـال عنه عليه السـلام: (وأعـتزلكم وماتـدعون من دون الله) [مـريم: 48] فيجب: اعـتزال الشـرك، وأهلـه، بـالبراءة منهما، كما صـرح به في قوله تعـالى: (قد كـانت لكم أسـوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم

ومما تعبـــدون من دون الله كفرنا بكم وبـــدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) [الممتحنة: 4] والذين معه هم: الرسل، كما ذكره ابن جرير.

وهذه الآية: تتضمن جميع مـاذكره، شـيخنا رحمه اللـه، من التحـــريض على التوحيـــد، ونفي الشــرك، والمـــوالاة لأهل التوحيد، وتكفير من تركـه، بفعل الشـرك المنـافى لـه، فـإن من فعل الشـــرك، فقد تـــرك التوحيـــد، فإنهما ضــــدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك، انتفي التوحيد.

وقد قـال تعـالى، في حـال من أشـرك: (وجعل لله أنـدادا ليضل عن ســبيله قل تمتع بكفــرك قليلا إنك من أصـــحاب النار) [الزمر: 8] فكفره تعالى: باتخاذ الأنداد، وهم الشــركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثـيرة، فلا يكـون موحـدا، إلا بنفي الشرك، والبراءة منه، وتكفير من فعله.

ثم قال رحمه الله تعالى، الثـاني: الإنـذار عن الشـرك في عبادة اللـه، والتغليظ في ذلـك، والمعـاداة فيـه، وتكفـير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا؛ وهو دين الرسل،

(ص205) أنـذروا قـومهم عن الشــرك، كما قـال تعـالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رســـولا أن اعبـــدوا الله واجتنبـــوا الطاغوت) [النحل: 36] وقال تعـالى: (وما أرسـلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبـدون) [الأنبيـاء: 25] وقال تعالى: (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النــذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبــدوا إلا اللـــه) [الأحقاف: 21].

قوله: في عبادة الله؛ العبادة اسم جـامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

قولـــه: والتغليظ في ذلـــك؛ وهـــذا موجـــود في الكتـــاب، والســنة، كقوله تعـالى: (ففـروا الى الله إني لكم منه نـذير مـبين، ولا تجعلـوا مع الله إلها آخر إنى لكم منه نـذير مـبين) [الذاريات: 50-51] ولولا التغليظ، لما جرى على النبي صلى الله عليه وسـلم وأصـحابه من قـريش مـاجرى، من الأذى

العظيم، كما هو مذكور في السير مفصلا، فإنه بـادأهم بسب دينهم، وعيب آلهتهم.
قوله: رحمه الله تعـالى: والمعـاداة فيـه؛ كما قـال تعـالى: (فاقتلوا المشـركين حيث وجـدتموهم وخـذوهم واحصـروهم واقعدوا لهم كل مرصد) [التوبة: 5] والآيـات في هـذا كثـيرة جدا، كقوله: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكـون الـدين كله للــه) [الأنفــال: 39] والفتنــة: الشــرك ووسم تعــالى أهل الشرك، بالكفر فيما لا يحصى من
(ص206) الآيـات؛ فلا بد من تكفـيرهم أيضـا، وهــذا هو مقتضــى: لا إله إلا اللـــه، كلمة الإخلاص، فلا يتم معناهـــا، إلا بتكفـير من جعل لله شــريكا في عبادتــه، كما في الحــديث الصحيح: " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله " فقولــه: وكفر بما يعبد من دون الله: تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك، أو تردد، لم يعصم دمه وماله.
فهذه الأمور: هي تمام التوحيد، لأن: لا إله إلا اللــه، قيـدت في الأحــاديث، بقيــود ثقــال؛ بــالعلم، والإخلاص، والصــدق، واليقين، وعدم الشك، فلا يكـون المـرء موحـدا، إلا باجتمـاع هــذا كلــه، واعتقــاده، وقبولــه، ومحبتــه، والمعــاداة فيــه، والموالاة، فبمجموع ماذكره شيخنا، رحمه الله، يحصل ذلك.
ثم قــال رحمه الله تعــالى: والمخــالف في ذلك أنــواع، فأشــدهم مخالفــة، من خــالف في الجميـع، فقبل الشــرك واعتقـده دينـا، وأنكر التوحيـد، واعتقـده بـاطلا، كما هو حـال الأكــثر، وســببه: الجهل بما دل عليه الكتــاب والســنة، من معرفة التوحيــد، وما ينافيه من الشــرك، والتنديــد، واتبــاع الأهــواء، وماعليه الآبــاء، كحــال من قبلهم من أمثــالهم، من أعــداء الرســل، فرمــوا أهل التوحيــد، بالكــذب، والــزور، والبهتان، والفجور؛ وحجتهم (بل وجـدنا آباءنا كـذلك يفعلـون) [الشعراء: 74].
(ص207) وهذا النوع من الناس، والذي بعده، قد ناقضـوا مادلت عليه كلمة الإخلاص، وما وضعت لـه، وما تضـمنته من

الدين، الذي لا يقبل الله دينا سواه، وهو دين الإسـلام، الـذي بعث الله به جميع أنبيائه، ورسله، واتفقت دعوتهم عليه، كما لا يخفى فيما قص الله عنهم في كتابه.

ثم قـال رحمه اللـه: ومن النـاس من عبد الله وحـده، ولم ينكر الشرك، ولم يعـاد أهلـه.قلت: ومن المعلـوم أن من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد، ولم يأت به؛ وقد عـرفت: أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشـــــرك، والكفر بالطـــــاغوت المذكور في الآية.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم؛ فهذا النوع أيضـا: لم يـأت بما دلت عليـه، لا إله إلا اللـه، من نفي الشـرك، وما تقتضـيه من تكفـير من فعلـه، بعد البيـان إجماعـــــا، وهو مضـــــمون ســـــورة الإخلاص، و(قل يا أيها الكـافرون) وقولـه، في آية الممتحنـة: (كفرنا بكم) ومن لم يكفر من كفر القـرآن، فقد خـالف ماجـاءت به الرسـل، من التوحيد، وما يوجبه.

ثم قـــال رحمه اللـــه: ومنهم من لم يحب التوحيـــد، ولم يبغضه؛ فـالجواب: أن من لم يحب التوحيـد، لم يكن موحـدا، لأنه هو الـدين، الـذي رضـيه الله تعـالى لعبـاده، كما قـال: (ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة: 3] فلو رضي بما رضي به الله، وعمل به لأحبه، ولابد من المحبة، لعدم

(ص208) حصـول الإسـلام بـدونها، فلا إسـلام إلا بمحبة التوحيد؛ قال شيخ الإسلام، رحمه الله، الإخلاص: محبة اللـه، وإرادة وجهه؛ فمن أحب الله أحب دينـه، وما لا فلا، وبالمحبة يترتب عليها ماتقضيه كلمة الإخلاص، من شروط التوحيد. ثم قـال رحمه الله تعـالى: ومنهم من لم يبغض الشـرك، ولم يحبه. قلت: ومن كان كذلك، فلم ينف ما نفته لا إله إلا اللـه، من الشـرك، والكفر بما يعبد من دون اللـه، والـبراءة منـه، فهذا ليس من الإسلام في شـيء أصـلا، ولم يعصم دمـه، ولا ماله، كما دل عليه الحديث، المتقدم.

وقوله رحمه الله: ومنهم من لم يعرف الشرك، ولم ينكره قلت: من لم يعرف الشرك، ولم ينكـره، لم ينفـه؛ ولا يكـون

موحـــدا، إلا من نفى الشـــرك، وتـــبرأ منـــه، وممن فعلـــه، وكفرهم، وبالجهل بالشرك، لا يحصل شـيء مما دلت عليـه، لاإله إلا الله، ومن لم يقم بمعـنى هـذه الكلمـة، ومضـمونها، فليس من الإسـلام في شـيء، لأنه لم يـأت بهـذه الكلمـة، ومضمونها، عن علم ويقين، وصدق وإخلاص، ومحبة وقبـول، وانقياد؛ وهذا النوع، ليس معه من ذلك شيء، وإن قال لا إله إلا الله، فهو لا يعرف مادلت عليه، ولا ماتضمنته.

ثم قـال رحمه الله تعـالى: ومنهم من لم يعـرف التوحيـد، ولم ينكـره. فـأقول: هـذا كالـذي قبلـه، لم يرفعـوا رأسا بما خلقوا له من الدين، الذي بعث الله به رسله، وهذه الحال،

(ص209) حال من قال الله فيهم: (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)، [الفرقان: 44]

وقوله رحمه اللـه: ومنهم – وهو أشد الأنـواع خطـرا – من عمل بالتوحيد، ولم يعـرف قـدره، فلم يبغض من تركـه، ولم يكفرهم؛ فقوله رحمه الله: وهو أشد الأنـواع خطـرا، لأنه لم يعـرف قـدر ماعمل بـه، فلم يجيء بما يصـحح توحيـده، من القيود الثقال، التي لابد منها، لما علمت أن التوحيد، يقتضى: نفي الشـرك، والـبراءة منـه، ومعـاداة أهلـه، وتكفـيرهم، مع قيـام الحجة عليهم، فهـذا قد يغـتر بحالـة، وهو لم يجيء بما عليه من الأمور، التي دلت عليها كلمة الإخلاص، نفيا، وإثباتا.

وكذلك قوله رحمه الله: ومنهم من ترك الشـرك، وكرهـه، ولم يعرف قدره؛ فهذا أقرب من الذي قبلـه، لكن لم يعـرف قدر الشرك، لأنه لو عرف قـدره، لفعل مـادلت عليه الآيـات المحكمات، كقول الخليل: (إنني بـراء مما تعبـدون، إلا الـذي فطرني) [الزخرف: 26 – 27] وقوله: (إنا بـرآء منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننا وبينكم العـداوة والبغضاء أبدا) [الممتحنة: 4].

فلا بد لمن عرف الشرك، وتركه من أن يكـون كـذلك، من الولاء، والبراء، من العابد والمعبـود، وبغض الشـرك، وأهلـه، وعداوتهم؛ وهـذان: النوعـان، هما الغـالب على أحـوال كثـير ممن يدعى الإسلام، فيقع منهم من الجهل

(ص210) بحقيقته , ما يمنع الإتيـان بكلمة الإخلاص , وما اقتضته على الكمال الـواجب , الـذي يكـون به موحـداً , فما أكثر المغرورين , الجاهلين بحقيقة الدين.

فـإذا عـرفت: أن الله كفر أهل الشـرك , ووصـفهم به في الآيات المحكمات , كقولـه: (ما كـان للمشـركين أن يعمـروا مسـاجد الله شـاهدين على أنفسـهم بـالكفر) [التوبـة: 17] وكذلك السنة.

قــال شــيخ الإســلام , رحمه الله تعــالى: فأهل التوحيد والسنة ,يصدقون الرسل فيما أخبروا , يطيعونهم فيما أمروا , ويحفظون ما قالوا , ويفهمونه , ويعملون به , وينفــون عنه تحريف الغــالين , وانتحــال المبطلين , وتأويل الجــاهلين , ويجاهدون من خالفهم , تقربـاً إلى الله , وطلبـاً للجـزاء من الله , لا منهم؛ وأهل الجهل , والغلو: لا يميزون بين ما أمـروا به , ونهوا عنه , ولا بين ما صح عنهم , وما كـذب عليهم , ولا يفهمون حقيقة مرادهم , ولا يتحرون طاعتهم؛ بل هم جهـال لما أتوا به , معظمون لأغراضهم.

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام , يشـبه حـال هـذين النـوعين الأخيرين؛ بقي مسألة حدثت , تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية , وهو: عـدم تكفـير , المعين ابتـداء , لسـبب ذكـره رحمه الله تعــالى , أوجب له التوقف في تكفــيره , قبل إقامة الحجة عليه , قــال رحمه الله تعــالى: ونحن نعلم بالضــرورة , أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشـرع لأحد , أن يـدعو أحـداً من الأموات , لا

(ص211) الأنبيـاء , ولا الصـالحين , ولا غـيرهم؛ ولا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها , كما أنه لم يشرع لأمته: السجود لميت , ولا إلي ميت , ونحو ذلك؛ بل نعلم: أنه نهى عن هذه الأمور كلها , وأن ذلك من الشــرك , الــذي حرمه الله , ورســوله صـلى الله عليه وسـلم ولكن: لغلبة الجهل ,وقلة العلم بآثـار الرسالة , في كثير من المتأخرين , لم يمكن تكفيرهم بــذلك , حتى يـبين ما جـاء به الرسـول , مما يخالفه , انتهى. قلت: فــذكر رحمه الله تعــالى , ما أوجب له عـــدم إطلاق الكفر

عليهم , على التعيين خاصة , إلا بعد البيان والإصرار؛ فإنه قد صار أمة وحده؛ لأن من العلماء , من كفره , بنهيه لهم عن الشرك في العبادة , فلا يمكن أن يعاملهم بمثل ما قال؛ كما جرى لشيخنا: محمد بن عبد الوهاب , رحمه الله تعالى , في ابتداء دعوته , فإنه إذا سمعهم يدعون زيداً بن الخطاب: قال: الله خير من زيد , تمرينا لهم على نفي الشرك , بلين الكلام , نظراً إلي المصلحة , وعدم النفرة , والله سبحانه أعلم؛ وصلى الله على سيدنا محمد , وعلى آله وصحبة وسلم. وله أيضاً: قدس الله روحه , ونور ضريحه , في تقرير الإلهية , ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين , وصلى الله على سيد

(ص212) المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً . اعلم: أن أعظم شهادة، وأفرضها على الخلق، قولاً، وعملاً، واعتقاداً، ما شهد الله به لنفسه، من اختصاصه بالإلهية، دون جميع خلقه، أزلاً، وأبداً، قال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) [آل: عمران 18] فكرر الشهادة به في هذه الآية؛ وأخبر أن ملائكته، وأولى العلم: شهدوا له بذلك، جل وعلا؛ وأخبر عباده بهذه الشهادة، ودعاهم إلى أن يشهدوا له بها، قال تعالى: (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً) [النساء: 87] وقال تعالى: (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) [طه: 8] وقال (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة) [القصص: 70]

وأخبر: أنه بعث بهذه الشهادة، الرسل جميعهم، فقال: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء: 25] فبين في هذه الآية، وأمثالها، كقوله: (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) [المؤمنون: 32] أن الإلهية، هي العبادة؛ فإن: الإله، هو المألوه، الذي تألهه القلوب، محبة، وتعظيماً، وتذللاً، وخضوعاً، وتوكلاً،

ورغبة إليـه، ورهبـة، وخوفـاً، ورجـاءً، وغـير ذلك من أنـواع العبادة
وقال تعالى: (ذالكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل
(ص213) شـيء فاعبـدوه وهو على كل شـيء وكيـل) [الأنعـام: 102]وبين تعـالى: ما تضـمنته هـذه الشـهادة، من النفي والإثبات، بقوله، عن خليله عليه السلام، أنه قال لأبيه، وقومـه: (إنـني بـراء مما تعبـدون، إلا الـذي فطـرني فإنه سـيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعـون) [الزخـرف: 26-28]والكلمة هي: لا إله إلا اللـه؛فعـبر عنها الخليل بمعناها، فنفى ما نفته هـذه الكلمـة، من الشـرك في العبادة، بالبراءة من كل ما يعبد من دون الله، واستثنى الذي فطره، وهو الله سـبحانه، الـذي لا يصـلح من العبـادة شـيء لغـيره، كما قـال تعـالى: (الر كتـاب أحكمت آياته ثم فصـلت من لدن حكيم خبير، ألا تعبدوا إلا اللـه) [هـود: 1-2] فقولـه: (ألا تعبدوا) فيه معنى: لا إله، وقوله: (إلا الله) هو المسـتثنى في هذه الكلمة العظيمة؛ وفي هذه الآيـات: نفي الإلهية عما سـوى اللـه، نفيـاً عامـاً، بلا النافية للجنس، وأثبت الإلهية له وحده، دون كل ما سواه
والآيات في معـنى هـذه الكلمـة: كثـيرة في القـرآن؛ قـال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) [الإسراء: 23] فقوله: (ألا تعبـدوا) نفى اسـتحقاق العبـادة لغـيره، وأثبتها لنفسه بقولـه: (إلا إيـاه) وقـال تعـالى: (أمر أن لاتعبـدوا إلا إيـاه) [يوسف: 40] وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يـدعو أهل الكتـاب، إلى معـنى هـذه الكلمـة، وما تضـمنته: من النفي، والإثبات،
(ص214) فقـال تعـالى: (قل يا أهل الكتـاب تعـالوا إلى كلمة سـواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللـه) [آل عمـران: 64] فتضمنت هذه الآيـة، معـنى " لا إله إلا الله " من نفي الإلهية عما سوى الله؛ وتفرده بالعبـادة، دون كل ما سـواه ومعـنى: (تعـالوا) أي: هلمـوا، وأقبلـوا، إلى أن نكـون نحن، وأنتم في توحيد الله مجتمعين على ذلـك، ثم قـرر تعـالى، بقولـه: (ولا

نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) [آل عمران: 64]وهذه الكلمة: هي التي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا والعرب أن يقولوها، ويعملوا بها، وقال لهم: " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا؛ كلمة تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وتكونون بها ملوكاً في الجنة " فقالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) [ص: 5] (وما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) [ص: 7] وذلك: أنهم نشؤوا في الفترة، بعد عبادة الأصنام، حين استخرجها عمروبن لحي الخزاعي، وفرقها في القبائل؛ وهي: الأصنام التي عبدها قوم نوح، فعبدوها، وكثرت عبادة الأوثان، والأصنام؛ فصار عند الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً على صورة من كانوا يعبدونه وعبدوا اللات، والعزى، ومناة، وذا الخلصة، وغيرها مما لا يحصى كثرة، ولذلك: أنكروا معنى: لا إله إلا الله،

(ص215) لما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله، فأبوا أن ينفوا ما نفته، من عبادة الأوثان، والأصنام، وأن يخلصوا العبادة لله وحده ولمعرفتهم معنى هذه الكلمة: نهوا أبا طالب، عن أن يقولها عند موته، لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله " قال له أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ علموا أنه لو قالها لترك عبادة غير الله، وأنكرها، لمعرفتهم ما دلت عليه من النفي، والإثبات؛ قال الله تعالى: (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) [الصافات: 35 –36]

وأما: هذه الأمة؛ فلما كثر الشرك فيهم، كما كثر في أولئك، وبنيت المساجد على القبور، وعبدت؛ وبنيت المشاهد، على اسم من بنيت باسمه، من الصالحين وعبدت، صاروا يقولون: لا إله إلا الله، والشرك قد قام في قلوبهم، واتخذوه ديناً، فأثبتوا مانفته هذه الكلمة، من عبادة غير الله، وأنكروا مادلت عليه من الإخلاص.

فعكسوا مـدلول هـذه الكلمة العظيمـة، بكـونهم أثبتـوا ما نفته من الشـرك، ونفـوا ما أثبته من الإخلاص الـذي هو حق الله على عبـاده، فيقـول قـائلهم: لا إله إلا اللـه، وقد اعتقد عكس مادلت عليه؛ وهذا غاية الجهل والضلال، يقول كلمة،
(ص216) تتضمن النفي، والإثبات، فلا يعرف مـانفت، ولا مـاأثبتت، هـذا وهم فيما يقرؤونـة، ويقرئونة في مـذاهبهم، وماكانوا يتعاطونه من العلوم، لا يجهلون مثل هذا.

وكثير منهم، له في علم المعقول: اليد الطـولى؛ فسـبحان الله ! كيف جهلـوا من ذلك مـادعت إليه الرسـل؛ من توحيد الله، ونفي الشرك الذي نهوا أممهم عنه، كما هو صـريح في القـــــرآن، لا يخفى على من له أدنى فهم، إن وفق لفهم؛ فوضعوا الشرك؛ موضع التوحيد، بـالقبول والعمـل، ووضـعوا التوحيد، موضع الشرك، بالإنكار على من دعا إليه، وعداوته.

فبهذا: يتـبين لك معـنى، مـاأخبر به النـبي صـلى الله عليه وسلم من قوله: " بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدا " فلا غربة للإســلام أعظم من هـــذه الغربـــة، الـــتي عليها الأكـثرون، في هـذه القـرون المتـأخرة؛ وقد ذكر العلمـاء – رحمهم الله – من أهل السنة والجماعة، في معني: لا إله إلا الله، وبيان مانفته، وما أثبتته، مايفيد: العلم اليقيني بمعناهـا، الـــذي أوجب الله تعـــالى معرفتـــه، وماتضـــمنته من النفي والإثبات.

قال الوزير: أبو المظفر، في الإفصاح، قوله: شـــهادة أن لا إله إلا الله، يقتضـي: أن يكـون الشـاهد، عالمـاً بأنه لا إله إلا الله؛ كما قال تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) [محمـد: 19] قال: واسم الله مرتفع بعد: (إلا) من
(ص217) حيث: أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سـبحانه؛ قـال: وجملة الفائـدة في ذلـك، أن تعلم: أن هـذه الكلمة، مشتملة على الكفر بالطاغوت، والإيمان باللـه، فإنك لما نفيت الإلهيـة، وأثبت الإيجـاب لله تعـالى، كنت ممن كفر بالطاغوت، وآمن بالله.

قال ابن القيم رحمه الله في: البدائع؛ فـدلالتها – أي لا إله إلا الله – على إثبات الإلهية، أعظم من دلالة قولنا: الله إلــه؛ ولايستريب أحد في هذا البتة، انتهى بمعناه.

وقـال رحمه اللـه: والإلـه، هـو: الـذي تألهه القلـوب، محبة وإجلالا، وإنابــة، وإكرامــا؛ وتعظيمــاً، وذلا، وخضــوعاً، وخوفــاً ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤال منه، ودعاء له، لايصـلح ذلك كله إلا لله؛ فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور، الــتي هي من خصـائص الإلهيـة، كـان ذلك قـدحاً في إخلاصـه، في قوله: لا إله إلا الله؛ وكـان فيه من عبودية المخلـوق، بحسب مافيه من ذلك، وقال: أبو عبد الله القرطبي، في تفسيره: لا إله إلا الله، أي: لا معبود إلا هو.

قــال شــيخ الإســلام، ابن تيمية رحمه اللــه: الإلــه، هــو: المعبود، المطاع؛ فإن الإله، هو المألوه؛ والمألوه، هو: الــذي يســتحق أن يعبــد؛ وكونه يســتحق هــو، بما اتصف به من الصفات، التي تستلزم: أن يكـون هو المحبـوب، غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع.

(ص218) وقال رحمه الله تعالى: فإن الإله، هو: المحبوب المعبـود الـذي، تألهه القلـوب بحبهـا، وتخضع لـه، وتـذل لـه، وتخافــه، وترجــوه، وتــنيب إليه في شــدائدها، وتــدعوه في مهماتهــا، وتتوكل عليه في مصــالحها، وتلجأ إليــه، وتطمئن بــذكره، وتســكن إلى حبــه؛ وليس ذلك إلا لله وحــده، وبهــذا كـانت: لا إله إلا اللــه، أصـدق الكلام، وكـان أهلهـا، هم: أهل الله، وحزبه؛ والمنكرون لها، أعـداؤه، وأهل غضـبه، ونقمتـه؛ فــإذا صــحت، صح بها كل مســألة، وحــال، وذوق؛ وإذا لم يصححها العبد، فالفساد لازم له، في علومه، وأعماله.

وقال البقاعي: لاإله إلا اللـه، أي: انتفى انتفـاء عظيمـاً، أن يكون معبودا بحق، غير الملك الأعظم؛ فـإن هـذا العلم، هـو: أعظم الــذكرى، المنجية من أهــوال الســاعة؛ وإنما يكــون علماً، إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعـا، إذا كـان مع الإذعـان، والعمل بما تقتضــيه؛ وإلا فهــو: جهل صــرف؛ وهــذا الــذي

ذكرناه، عن شيخ الإسلام، والبقاعي، هـو: الموجـود في كلام أهل السنة جميعهم.

إذا عرفت ذلك: فمما يـدل على غربة الإسـلام، مـاأخبر به النـبي صـلى الله عليه وسـلم من وقـوع الشـرك في هـذه الأمة، كما في الصحيح من حديث ثوبان: " وحـتى تعبد فئـام من أمتي الأوثان " وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسـعود، عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال: " تـدور رحى الإسلام: لخمس وثلاثين، أ و ست وثلاثين، أو

(ص219) سبع وثلاثين، فإن يهلكوا، فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم، يقم تسـعين عامـاً قـال قلت: أمما بقي، أو مما مضى ؟ قال: " مما مضى ".

ومما يبين: غربة الإسلام، وشدتها، ما جـرى، من الملـوك، والقضاة، والرؤساء، على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، من العداوة، والحبس، وشـدة الإنكـار عليـه، لما دعـاهم إلى ماتضـمنته: لا إله إلا اللـه، ومعناهـا، الـذي تقـدم عنـه، وعن أمثاله من العلماء؛ وقد ردوا عليه، بشبهات واهية، وضلالات، في الضلال متناهيـة؛ رد عليهم رحمه الله تعـالى في: منهـاج السنة، واقتضاء الصـراط المسـتقيم، وكتـاب الاسـتغاثة، في الـرد على ابن البكـري: ورد على أهل البـدع، جميعهم، من الفلاسفة، والمتكلمين، كالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.

وذكر رحمه اللـه: أن هـؤلاء كلهم، وإن كـثرت أبحـاثهم، ومصـنفاتهم، فما منهم من يعـرف مـادلت عليه كلمة الإخلاص: " لا إله إلا الله " فلم يعرفوا التوحيد، الـذي أثبتتـه، ولا الشرك، الذي نفته، هذا: معنى كلامـه؛ ولتلميـذه: العلامة ابن القيم، في بيـان أنـواع التوحيـد، والـرد على أهل البـدع، المصنفات الكثـيرة، المفيـدة، فمن أحسـنها: إغاثة اللهفـان، وكتـاب: الصـواعق المرسـلة، في الـرد على الجهمية والمعطلة.

وللحافظ: ابن عبد الهادي: الصارم المنكي، في الرد

(ص220) على السبكي؛ ولهم أصحاب كثير، أخـذوا عنهم؛ فلما طال الأمد بعدهم، صارت كتبهم، في أيدي أناس جهلـة،

وفي خزائن الكتب الموقوفة، فلم يلتفتوا إليها، فرجعــوا الى ماكـــان عليه من قبلهم، ممن مضى من المبتدعـــة، وكــثر الشرك في القري والأمصار؛ وصاروا: لا يعرفون من التوحيد إلا ما تدعيه الأشاعرة، من تأويل صفات الرب، والإلحاد فيها؛ فصاروا كذلك، حـتى نسي العلم، وعم الشـرك، والبـدع؛ إلى منتصف القرن الثاني عشر، فإنه لا يعرف إذ ذاك، عالم أنكر شركاً، أو بدعة، مما صار في آخر هذه الأمة.

فشرح الله صـدر: شـيخنا، فضلا من اللـه، ونعمة عظيمـة، من بها تعــالى في آخر هــذا الزمــان، فعــرف من الحـــق، ماعرف: شيخ الإسـلام ابن تيميـة، وأصـحابة، بتـدبره الآيـات المحكمـــات؛ وصـــحيحي: البخـــاري، ومســـلم، والســـنن، والمسـانيد، والآثـار؛ ومعرفة ماكـان عليه رسـول الله صـلى الله عليه وسلم، والتابعون، وأتباعهم؛ وما عليه سلف الأمـة، وأئمتهـــا، والأئمة من أهل الحـــديث، والتفســير، والفقهـــاء؛ كالأئمة الأربعة، ومن أخذ عنهم فتبين له التوحيد، وما ينافيـه، والسنة، وما يناقضها.

فدعا النـاس، من أهل قريتـه، وما قـرب منهـا: أن يـتركوا عبادة أرباب القبور، والطواغيت، وعبادة الأشجار، والأحجـار، والذبح للجن، ونحو ذلـك؛ وكل هـذا: قد وقع في قـرى نجـد، وغيرها، كالبوادي؛ فلما أنكر ذلك: كرهوا

(ص221) ذلك منـــه، وطـــرده أهل قريته عنهـــا، وهي: حريملا، وصار في العيينة: يدعو إلى دين الإسلام، وينهى عن الشرك، وعبادة الأوثان، وقبل ذلك: طائفة منهم، ومن أهـل: الدرعيـة؛ ثم بعد ذلك ضـاق نطـاق أمـير العيينـة، لما رآه قد أنكر قولـــه، الخلق الكثـــير، والجم الغفـــير، وقد نصب له العداوة: أهل القرى، والأمصار، والبادي والحاضر؛ فـأمره أن ينتقل من بلده عنه.

وصـــار في: الدرعيـــة، عنـــد: محمد بن ســـعود وأولاده، وإخوانه، وبعض الأعيان من جماعته، فصـار لهم قبـول لهـذه الدعوة، فصبروا على عداوة الناس، قريبهم، وبعيـدهم؛ وكل قصدهم بالحرب، فثبتهم الله على قلتهم، وكثرة من خالفهم،

وقتل من قتل من أعيانهم، فصـبروا، وصـارت الحـرب بينهم سـجالا، والله يحميهم، ويقـوي قلـوبهم؛ ومـاجرى بينهم وبين عدوهم، مذكور في التاريخ.

فـأظهر الله هـذا الـدين في نجـد، والباديـة، حـتى لم يكن فيهم من ينازع ويجـادل، لأن الله أبطل كل شـبهة، بما أبـداه هـذا الشـيخ، ببيانـه، ومصـنفاته، الـتي صـارت في أيـدي المسـلمين؛ وانتشـرت دعوته في الأمصـار، وقبلها القليل منهم، ممن له التفـات إلى ماينفعـه، بخلاف من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى اللـه، وهم الأكـثرون؛ فلله الحمد على هذه النعمة العظيمـة؛ فيا سـعادة من هـدي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه.

(ص222) وقد وجدت: للعلامة ابن القيم رحمه الله، كلاما في الصواعق المرسلة، على الجهمية والمعطلـة، يتعين نقله هنـا، لعظيم فائدتـه، وشـدة الحاجة اليـه، قـال رحمه الله تعالى:

فصل:

عظيم النفـع، جليل القـدر؛ ينتفع بـه: من عـرف نـوعي التوحيـد، القـولي، العلمي، الخـبري؛ والتوحيـد: القصـدي، الإرادي، العملي؛ كما دل على الأول سـورة: (قل هو الله أحد) وعلى الثاني سـورة: (قل ياأيها الكـافرون) وكـذلك دل على الأول، قوله: (قولـوا آمنا بالله وما أنـزل إلينا وما أنـزل إلى إبـراهيم) الآية [البقـرة: 136] وعلى الثـاني: (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سـواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) [آل: عمران 64] ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهـاتين السـورتين، في سـنة الفجـر، وسـنة المغرب؛ ويقرأ بهما في ركعتي: الطواف؛ ويقرأ بالآيتين، في سنة: الفجر، لتضمنهما التوحيد، العلمي، والعملي.

والتوحيد العلمي، أساسـه: إثبـات الكمـال للـرب، ومباينته لخلقـه، وتنزيهه عن العيـوب، والنقـائص، والتمثيـل؛ والتوحيد العملي، أساسه: تجريد القصد، بـالحب، والخـوف، والرجـاء،

والتوكل، والإنابة، والإستعانة، والاستغاثة، والعبودية بـالقلب، واللسان، والجوارح، لله وحده.

ومدار: مابعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، على

(ص223) هذين التوحيدين، وأقرب إلى الله: أقومهم بهما علمـاً، وعملا؛ ولهـذا: كـانت الرسل صـلوات الله وسـلامه عليهم، أقـرب الخلق إلى اللـه، وأقـربهم إليه وسـيلة، أولـوا العزم، وأقربهم: الخليلان؛ وخاتمهم: سيد ولد آدم، وأكـرمهم على الله؛ لكمال عبوديته، وتوحيده.

فهـذان الأصـلان، هما قطب رحى الـدين، وعليهما مـداره، وبيانهما من أهم الأمـور؛ والله سـبحانه: بينهما غاية البيـان، بـالطرق العقليـة، والنقليـة، والفطرية والنظريـة، والأمثـال المضروبة؛ ونوع سبحانه: الطـرق بإثباتهما كل التنـوع، بحيث صـار معرفة القلـوب الصـحيحة، والفطر السـليمة لهمـا، بمنزلـة: رؤية العين المبصـرة، الـتي لا آفة بهـا، للشـمس، والقمر، والنجوم، والأرض والسماء؛ فـذلك للبصـيرة، بمنزلة هذه للبصر.

فـإن تسـلط التأويل على التوحيـد: الخـبري، العلمي، كـان تسـليطه على التوحيـد: العملي، القصـدي، أسـهل، وانمحت رسوم التوحيد، وقامت معالم التعطيل، والشرك؛ ولهذا: كان الشـرك، والتعطيل متلازمين، لا ينفك أحـدهما عن صـاحبه؛ وإمام المعطلين المشتركين: فرعون؛ فهو إمام كل معطـل، ومشرك، إلى يوم القيامة، كما أن إمام الموحدين: إبـراهيم، ومحمد عليهما السلام.

وقال أيضا: لما ذكر سبب عبادة الأصنام، التي صورها قوم نوح، على صور الصالحين؛ وما زال الشيطان، يوحي

(ص224) إلى عبـــاد القبـــور، ويلقي إليهم: أن البنـــاء، والعكـــوف عليهـــا، من محبة أهل القبـــور، من: الأنبيـــاء، والصالحين؛ وأن الدعاء عندها: مستجاب؛ ثم ينقلهم من هذه المرتبة، إلى الدعاء بـالمقبور، والإقسـام به على اللـه؛ فـإن شأن اللـه: أعظم من أن يقسم به عليـه؛ أو يسـأل بأحد من خلقه؛ فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعائه، وعبادته،

وسؤاله الشفاعة، واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج إليه ويذبح عنده.

فإذا تقرر ذلك عندهم: نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدا، ومنسكا؛ ورأوا: أن ذلك أنفع لهم في دنياهم، وأخراهم؛ وكل هذا: قد علم بالاضطرار من دين الإسلام، أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من تجريد التوحيد، وألا يعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى: أن من نهى عن ذلك، فقد تنقص أهل الرتب العالية، وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم، ولا قدر، وغضب المشركون، واشمأزت قلوبهم، كما قال تعالى: (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) [الزمر: 45].

وسرى ذلك في نفوس كثير، من الجهال، والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل

(ص225) الشرك، وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله، وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون) [الأنفال: 34] انتهى كلامه، رحمه الله تعالى.

وقال تعالى: (ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز) [الحج: 73-74].

فتأمل: هذا المثل، الذي أمر الناس كلهم باستماعه – فمن لم يسمعه فقد عصى أمره – كيف تضمن إبطال الشرك، وأسبابه، بأصح برهان، وأوجز عبارة، وأحسنها، وأحلاها، وسجل على جميع آلهة المشركين: أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وساعد بعضهم بعضا، وعاونه، بأبلغ المعاونة، لعجزوا عن خلق ذباب واحد؛ ثم بين ضعفهم،

وعجزهم، عن استنفاذ مايسلبه الذباب إياه؛ فأي إله أضــعف من هــذا الإله المطلــوب، ومن عابــده الطــالب؛ فهل قــدر القوي العزيز حق قدره، من أشرك معه آلهة هذا شأنها ؟

فأقــام ســبحانه حجة التوحيــد، وبين: إفك أهل الشــرك، والإلحاد، بأعذب الألفـاظ، وأحسـنها، لم يعترها غمـوض، ولم يشبها تطويل، ولم يعبها تعقيد، ولم يزربها زيــادة ولا تنقيص، بــل: بلغت في الحسن والفصــاحة، والإيجــاز، مــالا يتــوهم متوهم، ولا يظن ظان، أن يكون أبلغ في معناها منها،

(ص226) وتحتها من المعــنى الجليل العظيم الشــريف، البالغ في النفـع، مـاهو أجل من الألفـاظ؛ انتهى، والله أعلم، وصلى الله على محمد.

وسـئل: أيضـا، قـدس الله روحـه، ونـور ضـريحه: عما في الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حـرم ماله ودمـه، وحسابه على الله عزَّ وجلَّ ".

فأجاب: اعلم أن لا إله إلا الله، هي: كلمة الإسلام، ومفتاح دار الســلام، وهي العــروة الــوثقى، وكلمة التقــوى، وهي: الكلمة الـتي جعلها إبـراهيم الخليـل، عليه السـلام، باقية في عقبة لعلهم يرجعون؛ ومعناها: نفي الشرك في الإلهيــة، عما سوى الله، وإفراد الله تعالى بالإلهية.

والإلهيــــة، هي: تأله القلب، بــأنواع العبـــادة، كالمحبــــة، والخضوع، والذل، والـدعاء، والاسـتعانة، والرجـاء، والخـوف، والرغبة، والرهبة، وغير ذلك من أنواع العبادة، الـتي ذكر الله في كتابه العزيـز، أمـراً، وترغيبـاً للعبـاد، أن يعبـدوا بها ربهم وحده.

وهي: اسم جـامع لكل ما يحبه الله ويرضـاه، من الأقـوال والأعمال، الظاهرة والباطنة؛ وكل فرد من أفـراد العبـادة، لا يسـتحق أن يقصد به إلا الله وحـده؛ فمن صـرفه لغـير اللـه، فقد أشـركه في حق اللـه، الـذي لا يصـلح لغـيره، وجعل له أنداداً.

(ص227) وقد عمت البلوى بهـذا الشـرك الأكـبر، بأربـاب القبور، والأشـجار، والأحجـار، واتخـذوا ذلك دينـاً، زعمـوا: أن الله يحب ذلك ويرضاه، وهـو: الشـرك الـذي لا يغفـره اللـه، كما قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) الآية [النساء: 48] وقال تعـالى: (إنه من يشـرك بالله فقد حـرم الله عليه الجنة ومأواه النار) [المائدة: 72].

وقـال في معـنى هـذا التوحيـد: (وقضى ربك ألا تعبـدوا إلا إياه) [الإسراء: 23] أي: أمر، ووصى؛ وهـذا معـني: لا إله إلا الله؛ فقوله: (ألا تعبدوا) هو معنى: لا إله، في كلمة الإخلاص، وقوله: إلا إياه، هو معنى الاستثناء، في لا إله إلا الله، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير، كما سنذكر بعضه.

وقال تعـالى: (وأن المسـاجد لله فلا تـدعوا مع الله أحـدا) [الجن: 18] وهذا نهي عام، يتنـاول كل مـدعو، من ملـك، أو نبي، أو غيرهمـا، فـإن: (أحـداً) نكـرة في سـياق النهي، وهي تعم؛ وأمثـال هـذه الآية كثـير، كقوله تعـالى: (قل إنما أدعـوا ربي ولا أشرك به أحداً [الجن: 20] وفي حديث معاذ، الــذي في الصــحيحين " فــإن حق الله على العبــاد أن يعبــدوه ولا يشـركوا به شـيئاً " وفيهما أيضـاً: " من مـات وهو يـدعو لله نداً، دخل النار ".

وإخلاص العبادة لله تعالى، هو: التوحيد، الذي

(ص228) جحــده المشــركون، قــديماً وحــديثاً؛ ولما قــال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه، وغـيرهم من أحيـاء العرب: " قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا " قــالوا: (أجعل الألهة إلها واحــداً إن هــذا لشــيء عجــاب، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشـيء يـراد، ما سـمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) [ص: 5 – 7].

فعرفــوا معــنى: لا إله إلا اللــه، وأنه توحيد العبــادة، لكن جحـدوه، كما قـال عن قـوم هـود: (أجئتنا لنعبد الله وحـده) [الأعراف: 70] وقال تعالى عن مشـركي هـذه الأمـة: (إنهم كــانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يســتكبرون، ويقولــون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) [الصافات: 35 – 36] عرفوا:

ان المراد من لا إله إلا اللـه، تـرك الشـرك في العبـادة، وأن يتركوا عبادة ما سواه ـ مما كانوا يعبدونه، من ملك، أو نـبي، أو شجر، أو حجر، أو غير ذلك.

فإخلاص العبـادة للـه، هـو: أصل دين الإسـلام، الـذي بعث الله به رسله، وأنـزل به كتبـه، وهو سر الخلـق، قـال تعـالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قل إنما أمـرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب) [الرعـد: 36] وقـال تعـالى: (ومن يســـــــلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الـوثقى) [لقمـان: 22] فإسـلام الوجـه، هو : إخلاص الأعمال الباطنة، والظاهرة، كلها لله تعالى.

وهذا هو توحيد الإلهية، وتوحيد العبادة، وتوحيد القصد (ص229) والإرادة؛ ومن كـــــان كـــــذلك، فقد استمسك بـالعروة الـوثقى، وهي: لا إله إلا اللــه؛ فـإن مـدلولها نفي الشرك، وإنكاره، والبراءة منـه، وإخلاص العبـادة لله وحـده، وهو معـنى قـول الخليـل، عليه السـلام: (إني وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفـاً وما أنا من المشـركين) [الأنعام: 79].

وهذا هو الإخلاص، الذي هو دين الله، الذي لم يرض لعباده دينـاً سـواه، كما قـال: (فاعبد الله مخلصـاً له الـدين، ألا لله الـدين الخـالص) [الزمـر: 2 – 3] والـدين هو العبـادة، وقد فسره: أبو جعفر ابن جرير، في تفسيره، بالدعاء، وهو بعض أفراد العبادة، كما في السنن، من حـديث أنس " الـدعاء مخ العبادة " وحديث النعمان بن بشير " الدعاء هو العبادة " أي: معظمها: وذلك: أنه يجمع من أنواع العبادة أموراً سـنذكرها، إن شاء الله تعالى.

وقـــال تعـــالى: (قل إنى أمـــرت أن أعبد الله مخلصـــاً له الدين) [الزمر: 11] وقـال: (قل الله أعبد مخلصـاً له ديـني) [الزمر: 14] وقال تعالى: (فـادعوا الله مخلصـين له الـدين) [غافر: 14] والدعاء في هذه الآية، هو: الدعاء بنوعيـه، دعـاء العبادة، ودعاء المسألة .

وقال: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) [البينة: 5] والحنيف: هو الراغب عن الشرك، المنكر له، وقد فسره: ابن القيم، رحمه الله، بتفسير شامل

(ص230) لمدلول: لا إله إلا الله: فقال: الحنيف المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه؛ وهذا التوحيد، هو الذي أنكره أعداء الرسل، من أولهم إلى آخرهم.

وقد بين تعالى ضلالهم بالشرك، كما قال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) [الفرقان: 3] وقال تعالى: (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) [الأحقاف: 4] وهذا المذكور في هذه الآية، هو: توحيد الربوبية؛ ومشركوا العرب، والأمم لم يجحدوه، بل أقروا به لله، فصار حجة عليهم، فيما جحدوه من الإلهية.

ولهذا قال بعد هذه الآية: (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) [الأحقاف: 5] وقال تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير) [الحج: 71] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، بل القرآن من أوله إلى آخره، يدل على هذا التوحيد، مطابقة، وتضمناً، والتزاماً.

وهو الدين الذي بعث به المرسلين، من أولهم إلى

(ص231) آخرهم، كما قال تعالى: (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله) [الأحقاف: 21] فدلت هذه الآية، وما قبلها، على أن الله تعالى: إنما أراد من عباده، أن يخلصوا له العبادة، وهي أعمالهم، ونهاهم أن يجعلوا له شريكاً في عباداتهم، وإراداتهم، التي لا يستحقها غيره، كما تقدم؛ قال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) [النساء: 36] وقال تعالى: فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين)

[الحج: 34].وقال تعالى: (وإذ بوأنا لإبراهيم مكـان الـبيت أن لا تشرك بي شـيئاً وطهر بيـتي للطـائفين والقـائمين والركع السـجود) [الحج: 26] والمـراد: تطهـيره عن الشـرك في العبادة، ولهذا قال تعالى: (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خـــير له عند ربه وأحلت لكم الأنعـــام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الـزور، حنفـاء لله غـير مشـركين به ومن يشـرك بالله فكأنما خر من السـماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكـان سـحيق)، [الحج: 30-31] وقد بين الله تعالى، في مواضع من القـرآن، معـنى كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، ولم يكل عباده في بيان معناها إلى أحد سـواه، وهو صـراطه المسـتقيم، كما قـال تعـالى: (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) [يس: 61] وقال تعـالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون، إلا الذي

(ص232) فطـرني فإنه سـيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) [الزخرف: 26 –28] فعبر عن معـنى: لا إله، بقوله: (إنـني بـراء مما تعبـدون) وعـبر عن معنى: إلا الله، بقولـه: (إلا الـذي فطـرني) فتـبين: أن معـنى، لا إله إلا اللــه، هــو: الـبراءة من عبـادة كل ما سـوى اللــه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، كما تقدم؛ وهــذا واضح بين، لمن جعل الله له بصـيرة، ولم تتغـير فطرتــه، ولا يخفى إلا على من عميت بصيرته، بالعوائد الشركية، والبدع، والضـلال (ومن لم يجعل الله له نـــوراً فماله من نـــور) [النـــور: 40] وقال تعالى، في بيان معناها: (قل يا أهل الكتـاب تعـالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضـنا بعضـاً أربابـاً من دون اللــه) [آل عمـران: 64] والمعنى: أي بعض كان من نبي أو غيره، كالمسيح بن مريم، والعزيـر، ونحوهمـا؛ وفي قولــه: (ألا نعبــد) معــنى: لا إلــه، وقولـــه: إلا اللـــه، هو المســـتثنى في كلمة الإخلاص وهـــذا التوحيد، هو الذي دعا إليه النـبي صـلى الله عليه وسـلم أهل الكتـاب، وغـيرهم، من الإنس والجن، كما قـال تعـالى: (قل

هــذه ســبيلي أدعو إلى الله على بصــيرة أنا ومن اتبعــني وسبحان الله وما أنا من المشركين)، [يوسف: 108]

(ص233) وقد قال تعالى، في معـنى هـذه الكلمـة، عن أصـحاب الكهـف: (وإذ اعـتزلتموهم وما يعبـدون إلا اللـه) [الكهف: 16] ففي قولـه: (وإذ اعـتزلتموهم) معـنى: لا إلـه، وقوله (إلا اللـــه) هو المســـتثنى في كلمة الإخلاص؛ وقـــال تعالى: (وربطنا على قلوبهم إذ قـاموا) إلى قولـه: (لن نـدعو من دونه إلهـاً) [الكهـف: 14]فتقـرر بهـذا: أن الإلهيـة، هي: العبادة؛ وأن من صرف شـيئاً لغـير اللـه، فقد جعله لله نـداً، والقرآن كله في تقرير معنى: لا إله إلا الله، وما تقتضيه، وما تستلزمه، وذكر ثواب أهل التوحيد، وعقاب أهل الشرك ومع هذا البيان، الذي ليس فوقه بيان: كـثر الغلط في المتـأخرين من هــذه الأمــة، في معــنى هــذه الكلمــة، وســببه: تقليد المتكلمين الخائضين، فظن بعضهم أن معنى: لا إله إلا اللــه، إثبات وجود الله تعالى، ولهذا قدروا الخـبر المحـذوف في: لا إله إلا الله، وقالوا؛ لا إله: موجـود، إلا اللـه؛ ووجـوده تعـالى: قد أقر به المشــركون، الجاحــدون لمعــنى هــذه الكلمــة، وطائفة ظنوا أن معناها: قدرته على الإخـتراع وهـذا: معلـوم بالفطرة، وما يشاهد من عظيم مخلوقات الله تعـالى، كخلق السـماوات والأرض، وما فيهما من عجـائب المخلوقـات؛ وبه اسـتدل الكليم: موسى عليه الصـلاة والسـلام على فرعـون، لما قال: (وما رب العالمين، قال رب السـموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقـنين، قـال لمن حوله ألا تسـتمعون، قـال ربكم ورب آبائكم الأولين) [الشعراء: 23 –26]

(ص234) وفي سورة بني إسرائيل: (لقد علمت ما أنـزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) ففرعون يعرف الله، ولكن جحده، مكـابرة، وعنـاداً وأما غـير فرعـون: من أعـداء الرسـل، من قـومهم، ومشـركي العـرب، ونحـوهم، فـأقروا بوجـود اللـه، وربوبيتـه، كما قـال تعـالى: (ولئن سـألتهم من خلق الســـــموات والأرض ليقـــــولن خلقهن العزيز العليم) [الزخرف: 9] وقال تعالى: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن

اللـــه) [الزخــرف: 87] فلم يــدخلهم ذلك في الإســلام، لما جحــدوا ما دلت عليــه: لا إله إلا اللـــه، من إخلاص العبــادة، بجميع أفرادها لله وحـده وفي الحـديث الصـحيح: "من مـات وهو يدعو لله نداً: دخل النار " وتقدم، قول قوم هود: (أجئتنا لنعبد الله وحـــده) [الأعــراف: 70] دليل على أنهم: أقـــروا بوجــوده، وربوبيتــه، وأنهم يعبدونــه، لكنهم أبــوا أن يجــردوا العبــادة لله وحــده، دون آلهتهم الــتي كــانوا يعبــدونها معه فالخصــومة: بين الرسل وأممهم، ليست في وجــود الــرب، وقدرته على الاخــتراع: فــإن الفطــر، والعقــول: دلتهم على وجود الرب، وأنه رب كل شيء ومليكـه، وخـالق كل شـيء، والمتصرف في كل شيء؛ وإنما كانت الخصومة: في ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله، كما قال تعالى: (ولقد

(ص235) أرسلنا نوحـاً إلى قومه إني لكم نـذير مـبين، ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يـوم أليم) [هـود: 25-26] وقال تعالى: (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذالكم خـير لكم إن كنتم تعلمـون، إنما تعبـدون من دون الله أوثانــاً وتخلقــون إفكــاً إن الــذين تعبــدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبـدوه واشـكروا له إليه ترجعــون، وإن تكـذبوا فقد كـذب أمم من قبلكم وما على الرســـول إلا البلاغ المـــبين) [العنكبـــوت: 16-18] فالشرك في العبادة، هو الذي عمت به البلـوى، في النـاس، قــديماً وحــديثاً، كما قــال تعــالى : (قل ســيروا في الأرض فــانظروا كيف كــان عاقبة الــذين من قبل كــان أكــثرهم مشركين) [الروم: 42] وقد أخبر النبي صلى عليه وسـلم أن هذه الأمـة: تأخذ مأخذ القـرون قبلهـا، شـبراً بشـبر، وذراعـاً بذراع؛ ولهذا: أنكر كثير من أعداء الرسل، في هـذه الأزمنـة، وقبلهـــا، على من دعـــاهم إلى إخلاص العبـــادة لله وحـــده، وجحدوا: ما جحدته الأمم المكذبة، من التوحيد؛ واقتـدوا بمن سـلف، من أعــداء الرســل، في مســبتهم من دعــاهم إلى إخلاص العبـادة للـه، ونسـبته إلى الخطأ والضـلال، كما رأينا ذلك في كلام كثير منهم، كـ "ـابن كمال " المشهور بالشـرك

والضلال، وقد كمل في جهله وضلاله، وأتى في كلامه بأمحل المحال.
(ص236) وقد اشتهر عنه بأخبار الثقات، أنه يقول؛ عبد القادر في قبره، يسمع، ومع سمعه ينفع، وما يشعره: أنه في قبره الآن، رفات، كحال الأموات؛ وهذا قول شنيع، وشرك فظيع؛ ألا ترى أن الحي الذي قد كملت قوته، وصحت حاسة، سمعه وبصره، لو ينادي من مسافة فرسخ، أو فرسخين، لم يمكنه سماع نداء من ناداه ؟ فكيف يسمع ميت من مسافة شهر، أو شهرين، أو دون ذلك، أو أكثر؛ وقد ذهبت قوته، وفارقته روحه، وبطلت حواسه ؟ هذا من أعظم ما تحيله العقول، وتنكره الفطر وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ، ما يبطله، قال الله تعالى: (ذالكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) [فاطر: 13-14] فأخبر الخبير جل وعلا: أن سماعهم ممتنع، واستجابتهم لمن دعاهم ممتنعة فهؤلاء المشركون، لما استغرقوا في الشرك، ونشؤوا عليه، أتوا في أقوالهم بالمستحيل، ولم يصدقوا الخبير في إخباره؛ وقال تعالى: (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) [النحل: 20 –21] فذكره تعالى: أنهم أموات، دليل على بطلان دعوتهم، وكذلك عدم شعورهم، يبين تعالى بهذا: جهل المشرك، وضلاله؛ فأحق عزَّ وجلَّ في كتابه
(ص237) الحق، وأبطل الباطل، ولو كره المشركون لكن هؤلاء، لما عظم شركهم: نزلوا الأموات في علم الغيب، منزلة علام الغيوب، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وشبهوهم برب العالمين، سبحانه وتعالى عما يشركون؛ قال الله تعالى: (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) [الأعراف: 191 –192] وليس عند هؤلاء الملاحدة: ما يصدون به العامة، عن أدلة الكتاب، والسنة، التي فيها النهي

عن الشــرك في العبــادة، إلا قــولهم: قــال أحمد بن حجر الهيتمي، قـال فلان، وقـال فلان، يجـوز التوسل بالصـالحين، ونحو ذلك من العبارات الفاسدة فنقول: هذا وأمثاله، ليســوا بحجة تنفع عند الله، وتخلصـكم من عذابـه؛ بل الحجة ما في كتاب الله، وسنة رسول صـلى الله عليه وسـلم الثابتة عنـه، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وما أحسن ما قاله الإمام مالك رحمه الله: وكلما جاءنا رجل أجدل من رجل، نـترك ما نزل به جبرائيل، على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله ؟!

إذا عرف ذلك: فالتوسل يطلق على شيئين؛ فإن كـان ابن حجر، وأمثاله: أرادوا سؤال الله بالرجل الصـالح، فهـذا ليس في الشريعة ما يدل على جوازه، ولو جاز لما ترك

(ص238) الصـحابة السـابقون الأولـون، من المهـاجرين، والأنصـار، رضي الله عنهم: التوسل بـالنبي صـلى الله عليه وسلم بعد وفاتـه، كما كـانوا يتوسـلون بدعائه في حياتـه، إذا قحطـوا وثبت عن أمـير المؤمـنين: عمر بن الخطـاب رضي الله عنه، أنه خرج بالعبـاس بن عبد المطلب، عـام الرمـادة، بمحضر من السابقين الأولين، يستسقون، فقال عمـر: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فأسقنا، ثم قـال: ارفع يـديك يا عبـاس، فرفع يديه يسـأل الله تعـالى؛ ولم يسـأله بجـاه النـبي صـلى الله عليه وسلم ولا بغيره؛ ولو كان هذا التوسل حقاً، كانوا إليه أسـبق، وعليه أحــرص.فــإن كــانوا أرادوا بالتوســل: دعــاء الميت، والاستشـفاع بـه، فهـذا هو شـرك المشـركين بعينـه؛ والأدلة على بطلانه في القـرآن كثـيرة جـداً، فمن ذلك قوله تعـالى: (أم اتخــذوا من دون الله شــفعاء قل أولو كــانوا لا يملكــون شيئاً ولا يعقلون، قل لله الشفاعة جميعاً له ملك الســموات والأرض ثم إليه ترجعون) [الزمـر: 43- 44] فالـذي له ملك السـماوات والأرض، هو الـذي يـأذن في الشـفاعة، كما قـال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) [البقرة: 255].

وقال تعالى: (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) [النجم: 26] وهو لا يرضى إلا الإخلاص، في الأقوال،
(ص239) والأعمال، الباطنة، والظاهرة؛ كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة، وغيره؛ وأنكر تعالى على المشركين اتخاذ الشفعاء، فقال تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) [يونس: 18]. فبين تعالى في هذه الآية: أن هذا شرك المشركين، وأن الشفاعة ممتنعة في حقهم، لما سألوها من غير وجهها، وأن هذا شرك، نزه نفسه عنه، بقوله تعالى: (سبحانه وتعالى عما يشركون) فهل فوق هذا البيان بيان ؟ وقال تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) [الزمر: 3] فكفرهم بطلبهم من غيره: أن يقربوهم إليه. وقد تقدم: بعض الأدلة على النهي عن دعوة غير الله، والتغليظ في ذلك؛ وأنه في غاية الضلال، وأنه شرك بالله، وكفر به، كما قال تعالى: (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) [المؤمنون: 117]. فمن أراد النجاة: فعليه التمسك بالوحيين، الذين هما حبل الله، وليدع عنه: بنيات الطريق، كما قال تعالى: (وأن
(ص240) هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون) [الأنعام: 153] وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم: الصراط المستقيم، وخط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله، وقال: " هذه هي السبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعوا إليه " والحديث في الصحيح، وغيره، عن عبد الله بن مسعود؛ وكل من زاغ عن الهدى، وعارض أدلة الكتاب والسنة، بزخرف أهل الأهواء، فهو شيطان.

فصل: والعاقل، إذا تأمل: ما عارض به أولئك الــدعاة، إلى الشرك بالله في عبادته، كابن كمال، وغيره، من دعا النــاس إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فالعاقل، يعلم: أن معارضتهم، قد اشـتملت على أمـور كثـيرة.الأمر الأول: أنهم أنكروا ما جاءت به الرسل، من توحيد العبادة، وما نزلت فيه الكتب الإلهيــة، من هــذا التوحيــد، فهم في الحقيقــة: إنما عارضوا الرسـل، والكتب المنزلة عليهم، من عند اللـه. الأمر الثاني: تضمنت معارضتهم، قبـول الشـرك الأكـبر، ونصـرته، وهو: الـذي أرسل الله رسـله، وأنـزل كتبه بـالنهي عنـه؛ وقد خالفوا جميع الرسـل، والكتب، فهم في الحقيقـة: قد أنكـروا على من دان بهذا التوحيد، ودعا إليه، من الأولين، والآخرين

(ص241) الأمر الثـالث: وقد تضـمنت معارضـتهم، أيضـاً: مسـبة من دعا إلى التوحيـد، وأنكر الشـرك، أسـوة أعـداء الرسـل، كقـوم نـوح، إذ قـالوا (إنا لـنراك في ضـلال مـبين) [الأعراف: 60] وقال قـوم هـود: (إنا لـنراك في سـفاهة وإنا لنظنك من الكـاذبين [الأعـراف: 66] وقـول، من قـال: من مشركي العـرب، للنـبي صـلى الله عليه وسـلم: (إن هـذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلمـاً وزوراً) [الفرقـان: 4] فـالظلم والـزور، في كلام هـؤلاء، المنكـرين للتوحيـد: أمر ظـاهر، يعرفه كل عاقل منصـف، فقد تنـاولت مسـبتهم: كل من دعا إلى الإسـلام، وعمل بـه، من الأولين والأخـرين، كما أن من كـذب رسـولاً، بما جـاء به من الحـق، فقد كــذب المرســلين، كما ذكــره الله تعــالى، في قصص الأنبياء؛ فمن أنكر ما جاءت به الرسل، فهو: عدو لهم.

الامرالرابــع: وتضــمنت معارضــتهم , أيضــا: الكــذب , والإفـك,والبهتـان , وزخـرف القـول في ذلـك, أسـوة أعـداء الرسل , الذين قال الله فيهم: (وكذلك جعلنا لكل نبي عــدوا شــياطين الإنس والجن يــوحي بعضــهم الى بعض زخــرف القــول غــروراً) [الأنعــام: 112] فهــذه حــال كل داعية إلي الشرك باللـه, في عبادته , من الأولين والآخـرين؛ فـإذا تأمل اللبيب: ما زخرفوه , وأتوا به من الفشر , والأكاذيب , وجدها

كما قال تعالى: (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حــتى إذا جـاءه لم يجـده شـيئًا ووجد الله عنـده فوفـاه حسـابه والله سريع الحساب)
(ص242) [النور: 39].
والأمر الخـــامس: معارضة أولئك , للآيـــات المحكمـــات البينات , التي هي في غاية البيان , والبرهان؛ وبيان ما ينافي التوحيد من الشــرك والتنديد , فعارضــوا بقــول أنــاس من المتـأخرين , لا يجـوز الاعتمـاد عليهم , في أصـول الـدين , فيقولون: قال بن حجر الهيتمي , قال البيضاوي , قـال فلان؛ ولا ريب أن: الزمخشـــري , وأمثاله من المعطلـــة: أعلم من هؤلاء , وأدري في فنون العلم , لكنهم اخطؤوا كخطأ هؤلاء , وفي تفســير الزمخشــري , من دســائس الاعــتزال , ما لا يخفى , وليسوا بأعلم منه.
وعلى كل حــال: فليســوا بحجة , يعــارض بها نصــوص : الكتاب ,والسـنة , وما عليه سـلف الأمة , وأئمتها من الـدين الحنيف , الـذي هو ملة إبـراهيم الخليل عليه السـلام , ودين الرسل , الذي قال الله تعالى فيه: (شــرع لكم من الـدين ما وصى به نوحــاً, والــذي أوحينا إليك وما وصــينا به إبــراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الـدين ولا تتفرقـوا فيه كـبر على المشــركين ما تـــدعوهم إليـــه) [الشـــورى: 13] , فأولئك المعارضــون للحق , ممن ذكرنا وأمثــالهم: فيهم شــبه بمن قــال الله فيهم: (وكــذلك ما أرســلنا من قبلك في قرية من نـــذير إلا قـــال مترفوها إنا وجـــدنا آباءنا على أمة وإنا على آثـارهم مقتـدون , قـال أولو جئتكم بأهـدى مما وجـدتم عليه آبـاءكم قـالوا إنا بما أرسـلتم به كـافرون) [الزخـرف: 23 – 24]وهذا على تقدير: أنهم أصابوا في
(ص243) النقل عنهم , ولعلهم أخطـؤوا , وكـذبوا عليهم , والله أعلم.
والأدلة بالأجماع: ثلاثة؛ الكتـاب , والسـنة , وإجمـاع سـلف الأمة, وأئمتها؛ وأما القياس الصحيح: فعند بعض العلماء حجة , إذا لم يخالف كتاباً , ولا سنة؛ فإن خالف نصاًأو ظاهراً , لم

يكن حجة , وهذا هو الذي أجمع عليه العلماء , سلفاً وخلفاً ,وتفصيل ذلك , في كتب أصول الفقه.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " وكفر بما يعبد من دون الله " فهذا: شرط عظيم , لا يصح قول: لا إله إلا الله إلا بوجوده , وأن لم يوجد , لم يكن من قال لا إله إلا الله, معصوم الدم , والمال؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله؛ فلم ينفعه القول , بدون الإتيان بالمعنى؛ الذي دلت عليه , من ترك الشرك , والبراءة منه وممن فعله ,فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله، وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك: صار مسلما , معصوم الدم , والمال؛ وهذا معنى , قول الله تعالى: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) [البقرة: 256].

وقد قيدت لا إله إلا الله , في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال , لابد من الإتيان بجميعها , قولاً , واعتقاداً, وعملاً , فمن ذلك: حديث عتبان ,الذي في الصحيح " فإن

(ص244) الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغى بذلك وجه الله " وفي حديث آخر: " صدقا من قلبه "، " خالصاً من قلبه " مستيقنا بها قلبه، غير شاك، فلا تنفع هذه الكلمة قائلها إلا بهذه القيود، إذا اجتمعت له، مع العلم بمعناها، ومضمونها كما قال تعالى: (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) [الزخرف: 86] وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاعلم أنه لا إله إلا الله) [محمد: 19] فمعناها يقبل الزيادة، لقوة العلم، وصلاح العمل.

فلابد من العلم بحقيقة معنى هذه الكلمة، علماً ينافي الجهل، بخلاف من يقولها، وهو لا يعرف معناها، ولابد من اليقين، المنافي للشك، فيما دلت عليه من التوحيد؛ ولابد من الإخلاص، المنافي للشرك، فإن كثيرا من الناس يقولها، وهو يشرك في العبادة، وينكر معناها، ويعادي من اعتقده، وعمل به، ولابد من الصدق، المنافي للكذب، بخلاف حال

المنـافق، الـذي يقولها من غـير صـدق، كما قـال تعـالى: (يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم) [الفتح: 11] ولابد من القبول، المنافي للرد؛ بخلاف من يقولهـا، ولايعمل بهـا، ولابد من المحبـة، لما دلت عليـه، من التوحيـد، والإخلاص، وغـير ذلك؛ والفرح بذلك، المنافي لخلاف هذين الأمـرين، ولابد من الانقياد بالعمل بها، ومادلت عليه مطابقة، وتضمنا، والتزامـا؛ وهذا هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله دينا سواه.

(ص245) وأنت أيها الرجل: ترى كثيراً ممن يدعى العلم، والفهم، قد عكس مدلول لا إله إلا الله، كابن كمـال ونحـوه، من الطواغيت، فيثبتون مانفتة لا إله إلا الله، من الشرك في العبادة، ويعتقدون ذلك الشـرك دينـاً، وينكـرون ما دلت عليه من الإخلاص، ويشتمون أهله، وقد قال تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتـاب بـالحق فاعبد الله مخلصـاً له الـدين، ألا لله الـدين الخالص) [الزمر: 2-3].

وهذا النوع من الناس، الذين قد فُتِنُوا، وفَتَنُـوا، يسـتجهلون أهل الإسلام، ويسـتهزؤون بهم، أسـوة من سـلف من أعـداء الرسل، وقد قال الله تعالى، في أمثال هؤلاء: (وإذا ذكر الله وحـده اشـمأزت قلـوب الـذين لا يؤمنـون بـالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون)، [الزمر: 45].

وقال أيضا: شيخ الإسلام، الشيخ: عبد الـرحمن بن حسـن، رحمه الله تعالى:

الكلام في بيـان ما أوردنـاه، على الجهمي، الـذي في بـني ياس.

أما الكلام في معنى لا إله إلا الله، فـأقول وبالله التوفيـق: أما هذه الكلمة العظيمـة، فهى: الـتي شـهد الله بها لنفسـه، وشهد بها له ملائكته، وأولوا العلم من خلقه، كما قال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم

(ص246) قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) [آل: عمران 18] فلا إله إلا الله، هي: كلمة الإسلام، لايصح اسلام أحد إلا بمعرفة ماوضعت له، ودلت عليـه، وقبولـه، والانقيـاد للعمل بــه؛ وهي: كلمة الإخلاص، المنـافي للشـرك، وكلمة

التقوى، التي تقي قائلها من الشرك باللـــه، فلا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة.
الأول: العلم بمعناهــا، نفيــاً وإثباتًــا؛ الثــاني: اليقين، وهــو: كمال العلم بهــا، المنــافي للشك والــريب؛ الثـالث: الإخلاص، المنــافي للشــرك؛ الرابــع: الصــدق، المــانع من النفــاق؛ الخـامس: المحبة لهـذه الكلمـة، ولما دلت عليـه، والســرور بــذلك؛ الســادس: القبــول، المنــافي للــرد، فقد يقولها من يعرفها، لكن لايقبلها ممن دعاه إليها، تعصباً، وتكــبراً، كما قد وقع من كثــير؛ الســابع: الانقيــاد بحقوقهــا، وهي: الأعمــال الواجبة إخلاصاً لله، وطلباً لمرضاته.
إذا عــرفت ذلك فقولــك: لا إله إلا اللــه، فلا نافية للجنس، والإله هو المألوه بالعبادة، وهو الذي تألهه القلوب، وتقصــده رغبة إليه في حصــول نفــع، أو دفع ضــر، كحــال من عبد الأموات، والغائبين، والأصـنام؛ فكل معبـود: مـألوه بالعبـادة؛ وخبر: لا، المرفوع، محذوف، تقديره: حــق، وقولــه: إلا اللــه، استثناء من الخبر المرفوع، فالله سبحانة هو الحــق، وعبادته وحده، هي الحق، وعبادة غـيره منتفية بلا، في هـذه الكلمـة، قال الله تعالى: (ذلك بأن الله هو الحق
(ص247) وأن مايدعون من دونه هو الباطل) [الحج: 62] فإلهية ما سواه باطل؛ فـدلت الآية على: أن صـرف الـدعاء، الذي هو مخ العبادة عنه لغيره، باطل.
فتــبين: أن الإلهية هي العبــادة؛ لأن الــدعاء من أفرادهــا، فمن صرف منها شيئا لغيره تعالى، فهو باطل، والقرآن كله، يدل على: أن الإلهية، هي العبادة، كما قال تعـالى: (وإذ قـال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون، إلا الذي فطرني) [الزخرف: 26-27] فذكر البراءة من كل معبود سـوى اللـه، ولم يستثن إلا عبادة من فطره، ثم قال: (وجعلها كلمة باقية في عقبــه) [الزخــرف: 28] أي: لا إله إلا اللـــه؛ فعــبر عن الإلهية بالعبادة، في النفي، والإثبات.
وقــال تعــالى: (قل إنما أدعــوا ربي ولا أشــرك به أحــدا) [الجن: 20] فقولــه: (قل إنما أدعو ربي) هو معــنى: إلا الله

في كلمة الإخلاص، وقوله: (ولا أشرك به أحـدا) هـو: المنفي في كلمة الإخلاص، بلا إلــه؛ فتــبين: أن لا إله إلا اللــه، دلت على البراءة من الشـرك في العبـادة، في حق كل ما سـوى الله، وقـال الله تعـالى: (قل إنى أمـرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) [الزمر: 11] والدين، هو: العبادة.

وقـال تعـالى: (قل إنما أمـرت أن أعبد الله ولا أشـرك به إليه أدعوا وإليه مـآب) [الرعـد: 36] (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) [الكهف: 110] أي:

(ص248) الــذي لا تصــلح الإلهية إلاله وحــده، فــانتفت الإلهيــة، وبطلت في حق كل ماسـوى اللــه؛ والقـرآن: يـبين بعضه بعضــا، ويفســره، والرســل: إنما يفتتحــون دعــوتهم، بمعـــنى لا إله إلا الله (اعبـــدوا الله مـــالكم من إله غـــيره) [المؤمنـون: 32] (يا قـوم اعبـدوا الله مـالكم من إله غـيره) [الأعراف: 59، 65، 73، 85 وهود 61، 84].

فتبين: أن الإلهية، هي: العبادة؛ ولهـذا قـال قـوم هـود، لما قال: (ياقوم اعبدوا الله مـالكم من إله غـيره)، (قـالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكـان يعبد آباؤنـا) [الأعـراف: 70] ؟ فتبين بالآية: أنهم لم يستنكفوا من عبادة الله، لكنهم أبوا أن يخلصوا العبادة لله وحـده، فلم ينفـوا ما نفيته لا إله إلا اللـه، فاستوجبوا ما وقع بهم من العـذاب، لعـدم قبـولهم مادعـاهم إليه، من إخلاص العبادة، كما قـال تعـالى: (واذكر أخا عـاد إذ أنـــذر قومه بالأحقـــاف وقد خلت النـــذر من بين يديه ومن خلفه) وهم الرسل جميعهم (ألا تعبـدوا إلا اللـه) [الأحقـاف: 21] وهـــذا هو معـــنى: كلمة الإخلاص، الـــذي اجتمعت عليه الرسل.

فقوله: (ألا تعبدوا) هو معنى: (لا إله) وقوله: (إلا الله) هو: المسـتثنى في كلمة الإخلاص؛ فهـذا: هو تحقيق معناها بحمد الله؛ وإنذار الرسل جميعهم أممهم عن الشـرك في العبـادة، وأن يخلصوها لله وحـده لا شـريك لـه؛ فما ذكرنـاه في هـذه الآيات، في معناها، كافٍ، وافٍ، شافٍ؛ ولله

(ص249) الحمد والمنة.

وأما تعريف العبـــادة: فقد قـــال العلامة ابن القيم، رحمه الله في الكافية الشافية:

وعبـــادة الـــرحمن غاية حبه	مع ذل عابـــــده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر	مــادار حــتى قــامت القطبان
ومداره بــالأمر أمر رسوله	لا بـــــالهوى والنفس والشيطان

فـذكر: أصل العبـادة، الـتي يصـلح العمل مع حصـولها، إذا كان على السنة، فذكر قطبيهـا، وهمـا: غاية المحبة للـه، في غاية الذل له؛ والغاية تفوت بـدخول الشـرك، وبه يبطل هـذا الأصل، لأن المشرك، لابد أن يحب معبوده، ولابد أن يذل له، ففسد الأصل بوجود الشــرك فيـه، ولا تحصل الغاية فيهما إلا بانتفاء الشرك، وقصر المحبة والتذلل لله وحده؛ وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة، وهي المـراد بقولـه: وعليهما فلك العبــادة دائــر، والــدائر هي الأعمــال، ولا تصــلح إلا بمتابعة السنة.

وهذا معنى قول الفضـيل بن عيـاض رحمه اللـه، في قوله تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) [الملـك: 2] قـال: أخلصه وأصــوبه؛ قــالوا: يا أبا علي، ماأخلصــه، وأصــوبه ؟ قــال: إن العمل إذا كـان خالصـاً، ولم يكن صـواباً، لم يقبـل، وإذا كـان صواباً، ولم يكن خالصاً، لم يقبل حـتى يكـون خالصـاً صـواباً؛ والخالص: ماكان لله؛ والصواب: ماكان

(ص250) على السنة.

وأما أقســام التوحيــد، فهي: ثلاثــة؛ توحيد الإلهيــة، وهي: العبادة، كما تقدم؛ فهي تعلق بأعمال العبد، وأقواله الباطنة، والظاهرة، كما قـال شـيخ الإسـلام، ابن تيميـة: العبـادة اسم جــامع، لكل مايحبه الله ويرضــاه، من الأقــوال والأعمــال، الباطنة والظــاهرة؛ فمن صــرف منها شــيئا لغــير اللــه، فهو مشرك بالله؛ فهذا هو الذي أرسلت الرسـل، وأنـزلت الكتب

بالإنذار عنه، وتـرتبت عليه عقوبـات الـدنيا والآخـرة، في حق من لم يتب منه.

ويسـمى هـذا التوحيـد، إذا كـان لله وحـده: توحيد القصـد، والطلب، والإرادة؛ وهو: الـذي جحـده المشـركون من الأمم؛ وقد بعث الله نبينا محمدا صـلى الله عليه وسـلم بـالأمر بـه، والنهي عما ينافيه من الشرك؛ فأبى المشــركون إلا التمسك بالشرك الـذي عهـدوه ومن أسـلافهم فيجاهـدهم صـلى الله عليه وســلم على هــذا الشــرك، وعلى إخلاص العبــادة لله وحده، كما قال تعالى: (وعجبوا أن جاءهم منـذر منهم وقـال الكـافرون هـذا سـاحر كـذاب، أجعل الآلهة إلها واحـدا) إلى قوله (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) [ص: 4-6].

النوع الثاني: توحيد الربوبية، وهو العلم، والإقرار: بأن الله تعــالى رب كل شــيء ومليكــه، وهو المــدبر لأمــور خلقه جميعهم، كما قال تعالى: (قل من يرزقكم من السماء

(ص251) والأرض أمن يملك السمع والأبصار) إلى قولـه: (ومن يـدبر الأمر فسـيقولون الله فقل أفلا تتقـون) [يـونس: 31] وقــــال: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمــــون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون) إلى قوله: (فـأنى تسـحرون) [المؤمنون: 84 – 89] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وهذا النوع: قد أقر به المشركون، كما دلت عليه الآيات.

والنوع الثالث: توحيد الأسماء، والصفات؛ وهــو: أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صــلى الله عليه وسلم من صفات الكمال، التي تعـرَّف بها سـبحانه إلى عباده، وينفي مالا يليق بجلاله وعظمته، وهذا النفي: أقسام، ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعــــــالى، في: الكافية الشافية.

فأهل الســنة والجماعــة، ســلفاً وخلفــاً: يثبتــون لله هــذا التوحيـد، على مـايليق بجلال الله وعظمتـه، إثباتا بلا تمثيـل، وتنزيها بلا تعطيل، وهذا النوع، والذي قبله، هــو: توحيد العلم والإعتقاد.

وأما تعريـف التوحيـد، فقـد ذكـره ابن القيم، رحمـه اللـه تعـالى، في؛ الكافية الشافية، بقوله:

فالصـــدق والإخلاص ركنا ذلك … حيد كـالركنين للبنـيان

وحقيقة الإخلاص توحيد … فلا يزاحمه مــراد ثــان

والصـــــدق توحيد الإرادة وهو … الجهد لا كسلا ولا

ثم ذكر توحيد المتابعة فقال:
(ص252)

والســـــنة المثـــــــلى … فتوحيد الطريق

فلواحـدٍ كن واحـداً في … أعــــــني طريق الحق

وقد ذكـر؛ شـيخ الإسـلام، ابن تيمية رحمه اللــه، الإخلاص، بمثل مــاذكره ابن القيم، رحمه اللــه، فقــال: الإخلاص: محبة الله، وإرادة وجهه.

وأما: أقسام العلم النافع، الـذي يجب معرفتـه، واعتقـاده، فهــو: يتضــمن ماســبق ذكــره، وهــو: ثلاثة أقســام، ذكرها العلامة: ابن القيم، رحمه الله، في: الكافية الشافية، قال:

والعلم أقســام ثلاثة … من رابع خلــوا عن

علم بأوصــــاف الإله … وكــذلك الأســماء

والأمر والنهي الــذي … وجزاؤه يوم المعاد

وبهذا: تم الجـواب عما أوردنـاه، وصـلى الله على محمـد، وعلى آله وصحبه، وسلم.

وله أيضا رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله: أن كلمة الإخلاص: لا إله إلا اللــه، لا تنفع قائلهـا، إلا بمعرفة معناهـا، وهو نفي الإلهية عما ســوى اللــه، والبراءة من الشرك في العبـادة، وإفــراد الله تعـالى، بجميع

أنواع العبادة، كما قـال تعـالى (قل ياأهل الكتـاب تعـالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله) [آل: عمران 64]
(ص253) ومعـنى: (سـواء بيننا وبينكم) أي: نسـتوي نحن وأنتم في قصر العبادة على الله، وترك الشرك كله.

وقـال الخليل عليه السـلام: (إنـني بـراء مما تعبـدون، إلا الـذي فطـرني فإنه سـيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبـة) [الزخـرف: 26-28] فهـذا، هو حقيقة معـنى: لا إله إلا اللـه؛ وهو الـبراءة من كل ما يعبد من دون اللـه، وإخلاص العبـادة لله وحـده؛ وهـذا: هو معناهـا، الـذي دلت عليه هـذه الآيـات، ومافي معناها؛ فمن تحقق ذلك، وعلمـه، فقد حصل له العلم بهـا، المنـافي لما عليه أكـثر النـاس، حـتى من ينتسب إلى العلم، من الجهل بمعناها.

فإذا عرف ذلك، فلابد له من القبـول لما دلت عليـه، وذلك ينافي الرد، لأن كثيراً ممن يقولها، ويعرف معناها، لا يقبلهـا، كحال مشـركي قـريش، و العـرب، وأمثـالهم، فـإنهم عرفـوا مـادلت عليـه، لكن لم يقبلـوا، فصـارت دمـاؤهم، وأمـوالهم، حلال لأهل التوحيـد؛ فـإنهم كما قـال تعـالى: (إنهم كـانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، ويقولون أئنا لتـاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) [الصـافات: 35 – 36] عرفـوا: أن لا إله إلا الله، توجب ترك ماكانوا يعبدونه من دون الله.

ولابد أيضا من الإخلاص، المنافي للشرك، كما قال تعـالى: (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين، ، وأمــرت لأن أكـون أول المسـلمين) إلى قولـه: (قل الله أعبد مخلصـاً له ديني فاعبدوا ماشئتم من دونه) [الزمر: 11 – 15] وفي
(ص254) حـديث عتبـان: " من قـال لا إله إلا اللـه، يبتغي بذلك وجه الله "

ولا بد أيضا من المحبة، المنافية لضـدها، فلا يحصل لقائلها معرفــة، وقبــول إلا بمحبة ما دلت عليه من الإخلاص، ونفي الشــرك، فمن أحب الله أحب دينــه، ومن لا، فلا، كما قــال تعـالى: (ومن النـاس من يتخذ من دون الله أنـداداً يحبـونهم

كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) [البقرة: 165] فصارت محبتهم لله ولدينه خاصــة، فـأحبوا لله ولدينــه، ووالــوا لله ولدينه؛ فـأحبوا من أحبه اللـه، وأبغضـوا من أبغضه الله وفي الحـديث: " وهل الـدين إلا الحب والبغض " ولهـذا وجب: أن يكــون الرســول صــلى الله عليه وســلم أحب إلى العبد من نفسه، ووالده، والناس أجمعين؛ فإن شهادة: ألا إله إلا اللــه، تستلزم شهادة أن محمداً رسول الله، وتقتضي متابعته، كما قـال تعـالى: (قل إن كنتم تحبـون الله فـاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) [آل: عمران 31] ولابد أيضاً من الانقياد، لحقــوق: لا إله إلا اللــه، بالعمل بما فرضه اللــه، وتــرك ما حرمه الله ، والـتزام ذلـك، وهو ينـافي الشـرك، فـإن كثـيراً ممن يدعى الـدين، يسـتخف بـالأمر والنهي، ولا يبـالي بـذلك والإسلام حقيقته: أن يسلم العبد بقلبه، وجوارحه، لله تعالى، وينقاد له بالتوحيد والطاعة، كما قال تعالى: (بلى

(ص255) من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجـره عند ربه) [البقرة: 112] وقال تعالى: (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بـالعروة الـوثقى) [لقمـان: 22] وإحســان العمــل، لابد فيه من الإخلاص، ومتابعة ما شــرعه الله ورســوله ولا بد أيضــاً: لقائل هــذه الكلمــة، من: اليقين بمعناها، المنافي للشك، والريب، كما في الحـديث الصـحيح: " مسـتيقناً بها قلبـه، غـير شـاك فيها " ومن لم يكن كـذلك، فإنها لا تنفعه، كما دل عليه حديث: سـؤال الميت في قــبره. ولابد أيضاً: من الصدق، المنافي للكذب، كما قال تعالى، عن المنافقين: (يقولـون بألسـنتهم ما ليس في قلـوبهم) [الفتح: 11] فالصادق: يعرف معنى هذه الكلمة، ويقبلــه، ويعمل بما تقتضـيه، وما يلـزم قائلها من واجبـات الـدين، فيصـدق قلبه لسانه، فلا تصح هذه الكلمة، إلا إذا اجتمعت هـذه الشــروط، وبالله التوفيق. وقال أيضاً: رحمه الله تعالى، في جواب لــه: وسرنا ما ذكرت، من معرفتك جهل أكـثر النـاس، بمعـنى: لا إله إلا الله، وإن تكلموا بها لفظـاً، فقد أنكروها معـنى، فانتبه

لأمور ستة، أو سبعة، لا يسلم العبد من الكفر، والنفاق، إلا باجتماعها: وباجتماعها، والعمل
(ص256) بمقتضاها، يكون العبد مسلماً؛ إذ لابد من مطابقة القلب للسان، علماً، وعملاً، واعتقاداً، وقبولاً، ومحبة، وانقياداً. فلا بّد من العلم بها، المنافي للجهل؛ ولابد من الإخلاص، المنافي للشرك؛ولا بّد من الصدق، المنافي للكذب، بخلاف المشركين، والمنافقين؛ ولا بّد من اليقين، المنافي للشك، والريب؛ فقد يقولها، وهو شاك في مدلولها، ومقتضاها؛ ولا بّد من المحبة، المنافية للكراهة، ولابد من القبول، المنافي للرد، فقد يعرف معناها، ولا يقبله، كحال مشركي العرب. ولابد أيضاً، من الانقياد، المنافي للشرك، لترك مقتضياتها، ولوازمها، وحقوقها، المصححة للإسلام، والإيمان؛ فمن تحقق ما ذكرته، ووقع منه موقعاً، صرف الهمة، إلى تعلم معنى: لا إله إلا الله؛ وصار على بصيرة من دينه، وفرقان، ونور، وهدى، واستقامة؛ وبالله التوفيق وقال أيضاً: الشيخ عبدالرحمن بن حسن، رحمه الله تعالى: زعم من لا علم لديه: أن المستثنى بإلا، في لا إله إلا الله، دخل في عموم المنفي، في اسم لا؛ وهذا خطأ بين، من وجوه؛ الأول: أن النفي يناقض الإثبات، فاجتماع النفي، والإثبات في جملة، جمع بين النقيضين، وهما لا
(ص257) يجتمعان، فيمتنع الجمع بينهما الثاني: أن لا النافية للجنس، لها اسم وخبر، ولابد؛ فلا تتم فائدة اسمها إلا بخبرها، والخبر الجزء المتم للفائدة، فـ"لا" حرف نفي، و" إله " اسمها، مبني معها على الفتح، والخبر المقدر، وهو " حق " على الصحيح، كما في قوله تعالى: (ذلك بأن الله هو الحق) [الحج: 62]والخبر؛ وصف في المعنى، قيد في الإسم؛ وقد خص من الإلهية ما ليس بحق، وفائدته: إخراج الإله الحق من المنفي، لتخصيص المنفي، بانتفاء حقيقته، وهذا ظاهر لمن له أدنى فهم، فالاستثناء من الخبر، المقيد في حقيقة المستثنى، وهو الله تعالى، دون ما يعبد من دونه، وكل ما يعبد من دونه، هو المنفي، بحرف النفي، فيكون

النفي منصباً على كل مألوه ليس بحـق، وأما الحــق، فثـابت لم ينتف، بـدليل الوصف المثبت لـه. الثـالث: أن الآيـة، وهي قوله (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون، إلا الـذي فطـرني فإنه سـيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبـه) [الزخرف: 26-28] فأتى بمعناهـا، نفيـاً وإثباتـاً، فيجـري في مدلولها، ما جـرى في الـدال، وهـو: لا إله إلا اللـه، فلا يجـوز في قلب مسلم: أن يعتقد أن إبراهيم عليه السلام، تــبرأ من معبوده، الذي فطره، بقوله: (إنني بــراء) ثم أثبته بقوله (إلا) هذا لا يقع اعتقاده من مسلم، عرف هذه الكلمة، ومعناها.

(ص258) والحق الذي يجب اعتقـاده، ويـدان الله بـه، أن الخليل عليه السلام، تبرأ من كل ما كانوا يعبدونه، سوى الله سبحانه، المستحق للعبادة وحده، سبحانه، وبحمده؛ فاستثناه تعـالى من معبـوداتهم، لأنهم كـانوا يعبـدون اللــه، ويعبـدون غــيره، والقــرآن يــدل على هــذا، كما هو ظــاهر في آيــات التوحيد، كما قـال تعـالى، عن الخليل عليه السـلام، أنه قـال لقومـــه: (أئفكا آلهة دون الله تريـــدون، فما ظنكم بـــرب العالمين) [الصـافات: 86-87]وقـال: (وأعـتزلكم ومـاتـدعون من دون الله وأدعـوا ربي) [مـريم: 48] وقـال عن أصـحاب الكهف: (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) [الكهــف: 16] لكن الجاهل أعمى، ولهـذا تجد أكـثرهم يتعصب لجهله (ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) [النور: 40] وصلى الله على محمد.

وله أيضاً رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العــالمين، والعاقبة للمتقين، وصــلى الله على سيد المرسـلين، محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين. من عبد الرحمن بن حسـن، إلى: الإمـام المكـرم: فيصـل، كرمه الله بالتوحيد، وحماه من شبه أهل الشرك والإلحاد، والتنديد، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(ص259) وبعــد: فـاعلم أن " لا إله إلا الله " لها معــنى عظيم، يستضيء به قلوب أهل الإسلام، والإيمان، وهو الـذي

بعث الله به جميع الرســل، من أولهم إلى آخــرهم، وخلقهم لأجله، والقرآن من أوله إلى آخره: يبين معنى هـذه الكلمـة. ونــذكر بعض ما دل عليه القــرآن من معناهــا، وما ذكــره العلمـاء، من أئمة الإسـلام؛ فـدونك كلام العمـاد ابن كثـير، رحمه الله، في تفسير سورة: (قل يا أيها الكافرون) ذكر أن هــذه الســورة، ســورة الــبراءة من العمــل، الــذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص، وأن قريشاً دعـوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم سـنة، ويعبـدون إلهه سنة؛ فأنزل الله هذه السورة، وأمـره فيها أن يتـبرأ من دينهم بالكلية، فقال: (لا أعبد ما تعبدون) يعـني من الأصـنام، والأنـداد، (ولا أنتم عابـدون ما أعبـد) وهو الله وحـده؛ ولهـذا كــانت كلمة الإســلام: لا إله إلا اللــه، محمد رســول اللــه؛ والمشـركون يعبـدون غـير اللـه.قلت: فـدلت هـذه السـورة الكريمة. على البراءة من عبادة أصنام المشركين، وأوثانهم؛ فــأمر الله نبيه صــلى الله عليه وســلم أن يتــبرأ من دين المشـركين، وأصـنامهم الـتي كـانت موجـودة في الخـارج: اللات، والعــزى، ومنــاة، وغيرهــا؛ وقد أخــبر الله عن خليله إبراهيم، عليه السـلام، أنه قـال لأبيـه، وقومـه: (مـا) ذا كنتم (تعبــدون) الآيــات [الشــعراء: 70 –77] فصــرح بعــداوة أصنامهم بأعيانها، وهي موجودة في الخارج؛واستثنى

(ص260) من معبــوداتهم: رب العــالمين، لأنهم كــانوا يعبدون الله، لكنهم يعبدون معه الأصـنام. فاسـتثنى المعبـود الحق، الـذي لا تصـلح العبـادة إلا لـه، فـأخبر تعـالى أنه قـال لقومه: (أئفكا آلهة دون الله تريدون) [الصافات: 86] وأخــبر عنه أنه قال لقومه: (إنني براء مما تعبدون.إلا الذي فطــرني فإنه سيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبـه) [الزخـرف: 26-28] وهي: " لا إله إلا الله " بإجمــاع أهل الحــق، فعــبر عنها بـالبراءة من معبـوداتهم، الـتي كـانوا يعبـدونها في الخـارج، فقوله: (إنني براء مما تعبدون) هو معـنى النفي في قولـه: " لا إله " وقوله: (إلا الذي فطـرني) هو معـنى: إلا الله وهكـذا كافٍ في البيـان لمثلـك، الـذي قد عرفه الله معـنى: لاإله إلا

الله.وهذا المعنى في هذه الكلمـة، يعرفه حـتى المشـركون، كما قـــال تعـــالى: (إنهم كـــانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يسـتكبرون) الآية [الصـافات: 35] عرفـوا أن لا إله إلا اللـه، علم على تـرك عبـادة آلهتهم، الـتي كـانوا يعبـدونها، من أوثانهم، وأصنامهم، وكل الفرق يعرفون معناها، حـتى أعـداء الرسل، كما قالت عاد: (أجئتنا لنعبد الله وحده ونـذر ما كـان يعبد آبائنا) [الأعراف: 70] عرفوا على شدة كفرهم، أنه أراد منهم ترك عبادة ما كان يعبده آباؤهم، فتـبين بهـذا: أن لا إله إلا الله، نفت كل ما كان يعبد من دون اللـه، من صـنم، ومن وثن، من حين حدوث الشرك في قوم نوح، إلى أن تقوم

(ص261) الساعة وهذا المعنى: أكثر أهل العلم يسلمونه، يعرفونه، حتى الخوارج، والرافضة، والمعتزلـة، والمتكلمـون، من كل أشـعري، وكـرامي، وما تريـدي؛ وإنما اختلفـوا في العمل، بلا إله إلا الله؛ فبعضـهم يظن أن هـذا في حق أنـاس كـانوا فبـانوا؛ فخفي عليهم حقيقة الشـرك. وأما الفلاسـفة، وأهل الاتحاد، فإنهم لا يقولون بهذا المعنى، ولا يسلمونه، بل يقولـــون: إن المنفي بلا إله إلا اللـــه، كلي، لايوجد منه في الخـارج، إلا فـرد، وهو اللـه، فهو المنفي، وهو المثبت؛ بنـاءً على مذهبهم، الذي صاروا به أشد الناس كفراً، وهو قـولهم: إن الله، هو الوجود المطلـق؛ فلم يخرجـوا من ذلـك، صـنماً، ولا وثناً وشبيه قولهم هذا: قول أهل وحدة الوجـود، القـائلين بأن الله تعالى، هو الوجود بعينه؛ فيقولون: إن المنفي، كلي، والمثبت بقولـه: " إلا الله " هو الوجـود بعينـه؛ ولا فـرق عند الطائفتين، بين الخالق، والمخلوق، ولا بين العابد، والمعبـود؛ كل شـيء عنـدهم، هو اللـه، حـتى الأصـنام، والأوثـان، وهو حقيقة قول هذا الرجل سواء.

فخذ قولي، واقبله، وفقك الله؛ فلقد عرفت بحمد الله، ما أرادوه من قـولهم: إن المنفي كلي، لا يوجد منه في الخـارج إلا فرد؛ ويدعي هذا مثل ما ادعته هذه الطائفة، أن

(ص262) تقدير خـبر " لا " وهـذه الكلمة لم توضع لتقرير الوجـود؛ وإنما وضـعت لنفي الشـرك والـبراءة منه وتجريد

التوحيد كما دلت عليه الآيـات المحكمـات البينـات، ودعـوة الرسل من أولهم إلى آخرهم. وتقـدير خـبر " لا " موجـود؛ لا يجري إلا على مذهب الطائفتين، لعنهم الله، على قولهم: إن الله هو الموجـود، فلا وجـود إلا اللـه، فهـذا معـنى قولـه: إنه كلي، لا يوجد منه في الخارج، إلا فـرد؛ فغـير المعـنى، الـذي دلت عليه لاإله إلا الله، من نفى جميع المعبـودات الـتى تعبد من دون اللـه؛ والمنفي إنما هو حقيقتهـا، كما قـال المسـيح عليه السـلام: (ما يكـون لي أن أقـول ما ليس لي بحـق) [المائدة: 116]

ولا ريب: أن كل معبود سوى الله، فهو باطـل؛ والمنفي بلا إله إلا اللـه، هو المعبـودات الباطلـة، والمسـتثنى بـإلا، هو سبحانه، ويدل على هذا، قوله تعالى، في سـورة الحج: (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحـيي المـوتى) الآية [الحج: 6] وقـال في آخر السورة: (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يـدعون من دونه هو الباطل) [الحج: 62] وقال في سـورة لقمـان: (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطـل) [لقمـان: 30]. فقوله) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يـدعون من دونه الباطل) [لقمان: 30]. فقولـه: (ذلك بـأن الله هو الحـق) هو المسـتثنى: إلا " الله " وهو الحـق، وقولـه: (وأن ما يـدعون من دونه هو

(ص263) الباطــل) هو المنفي بلا إلــه، وما بعد هــذا إلا التلبيس على الجهال، وإدخال الشك عليهم، في معـنى كلمة الإخلاص، فكـابر المعقـول والمنقـول، بدفعه ما جـاء به كل رســول. نســأل الله لنا ولكم: علمــاً نستضــيء به جهل الجاهلين، وضلال المضلين، وزيغ الـزائغين؛ وفي الحـديث: " رب لاتزغ قلـبي بعد إذ هـديتني " وقد كـان أبو بكر الصـديق رضي الله عنه، يقرأ في الركعة الأخيرة من المغرب: (ربنا لا تـزغ قلوبنا بعد إذ هـديتنا وهب لنا من لـدنك رحمة إنك أنت الوهـاب) [آل: عمـران 8] وهـذا بحمد الله كـاف في بيـان الحـق، وبطلان الباطـل؛ وصـلى الله على نبينا محمـد، وآله وصحبه أجمعين. وله أيضاً، مع مشاركة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن، وعلى بن حسين، وإبراهيم بن سيف، إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان، رزقنا الله وإياهم الفقه في الدين، والإيمان، واليقين؛ سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته. وبعد: فإنا نوصيكم بتقوى الله، في الغيب والشهادة، والسر والعلانية، ونذكركم ما أنعم الله به علينا، وعليكم، من دين الإسلام، الذي رضيه لكم ديناً؛ كما قال تعالى)اليوم

(ص264) أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) [المائدة: 3] وهو الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) [آل: عمران 85] وليس الإسلام بمجرد الدعوى، والتلفظ بالقول، وإنما معناه: الانقياد لله بالتوحيد، والخضوع، والإذعان له بالربوبية، والإلهية، دون كل ما سواه، كما قال تعالى: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) الآية [البقرة: 256] وقال: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) إلى قوله: (كل حزب بما لديهم فرحون) [الروم: 30 –32] وقال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) الآية [البينة: 5] وقال: (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) الآية [يوسف: 40] وهو الدين الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، كما قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء: 25] وقال تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين) [فصلت: 6] والإله: الذي تألهه القلوب، محبةً، ورجاءً، وتعظيماً، وتوكلاً، واستعانة، ونحو ذلك من أنواع العبادة، الباطنة، والظاهرة

(ص265) فالتوحيد هو إفراد الله بالإلهية، كما تقدم بيانه، ولا يحصل ذلك إلا بالبراءة من الشرك والمشركين باطناً

وظـاهراً، كما ذكر الله تعـالى ذلك عن إمـام الحنفـاء، عليه السلام، بقوله: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنـني بـراء مما تعبدون) الآية [الزخرف: 26]وقوله: (يا قـوم إني بـريء مما تشـركون، إني وجهت وجهي للـذي فطر السـموات والأرض حنيفـاً وما أنا من المشـركين) [الأنعـام: 78 –79] فتأمـل: كيف ابتدأهم بالبراءة من المشركين، وهذا هو حقيقة معنى: لا إله إلا اللـه، ومـدلولها، لا بمجـرد قولها باللسـان، من غـير معرفة وإذعان، لما تضمنته كلمة الإخلاص، من نفي الشرك، وإثبات التوحيـد؛ والجـاهلون من أشـباه المنـافقين: يقولونها بألسنتهم، من غير معرفة لمعناها، ولا عمل بمقتضاها؛ ولهـذا تجد كثيراً ممن يقولها باللسـان، إذا قيل لـه: لا يعبد إلا اللـه، ولا يدعى إلا اللـه، اشـمأز من هـذا القـول، كما قـال تعـالى: (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الـذين من دونه إذا هم يستبشـرون) [الزمـر: 45] وقـال تعـالى لنبيه محمد صـلى الله عليه وسـلم: (وأن أقم وجهك للـدين حنيفـاً ولا تكـونن من المشـركين، ولا تـدع من دون الله مـــالا ينفعك ولا يضـــرك فـــإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) [يونس: 105- 106] والحنيف، هـو: المقبل على اللـه، المعـرض عن كل ما سـواه؛ وقد قـال تعـالى: (فإيـاي فاعبدون)

(ص266) [العنكبوت: 56] وتقديم المعمول: يفيد الحصر، كما في هذه الآيـة، وأشـباهها. قـال: العمـاد بن كثـير، رحمه الله، في معـنى قولـه: (ومن يـرغب عن ملة إبـراهيم إلا من سـفه نفسـه) [البقـرة: 130] فيهـا: الـرد على المشـركين، المخالفين لملة إمام الحنفاء، فإنه جرد توحيد ربـه، فلم يـدع معه غـيره، ولا أشـرك به طرفة عين، وتـبرأ من كل معبـود سواه، وخالف في ذلك قومـه، حـتى تـبرأ من أبيـه، كما ذكر الله ذلك عنه في قوله: (وأعتزلكم وما تـدعون من دون الله وأدعـــوا ربي عسى أن لا أكـــون بـــدعاء ربي شـــقياً، فلما اعتزلهم وما يعبـدون من دون اللـه) الآية [مـريم: 48 –49] وكيف بـادأهم بـذكر اعـتزالهم أولاً ثم عطف عليه بـاعتزال

معبـوداتهم، كما في سـورة الكهـف: (وإذ اعـتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) [الكهف: 16] وهـذا هو حقيقة التوحيـد. وقد أرشد الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين: أن يـأتموا بخليله في ذلـك، ويتأسـوا بـه، فقـال: (قد كـانت لكم أسـوة حسـنة في إبـراهيم والـذين معه إذ قـالوا لقـومهم إنا بـرآء منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننا وبينكم العـداوة والبغضـاء أبـداً حـتى تؤمنـوا بالله وحـده) [الممتحنة: 4]

ولهـذا الأصل العظيم، الـذي هو ملة إبـراهيم: شـرع الله جهاد المشركين، فقال: (وقاتلوا المشركين كافة كما

(ص267) يقـاتلونكم كافة واعلمـوا أن الله مع المتقين) [التوبـة: 36] وفي الحـديث: " بعثت بالسـيف، بين يـدي الساعة، حـتى يعبد الله وحـده لاشـريك له " ومع هـذا: حـذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من الركـون إليهم، فقال: (ولـولا أن ثبتنـاك لقد كـدت تـركن إليهم شـيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممـات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) [الإسراء: 74-75] وقال تعالى: (ولا تركنوا إلى الـذين ظلمـوا فتمسـكم النـار) الآية [هـود 113]؛ وأظلم الظلم: الشـرك باللـه؛ كما قـال تعـالى: (إن الشـرك لظلم عظيم) [لقمـان: 13] وقـال تعـالى: (ياأيها الـذين آمنـوا لا تتخـذوا عـدوي وعـدوكم أوليـاء)الآية [الممتحنـة: 1]؛ ومن المعلـوم: أن الـذين نـزلت فيهم هـذه الآية في التحـذير عن توليهم، ليسوا من اليهـود، ولا من النصـارى؛ ولا ريب أن الله تعالى أوجب على عباده المؤمنين، الـبراءة من كل مشـرك، وإظهـار العـداوة لهم، والبغضـاء، وحـرم على المؤمـنين موالاتهم، والركون إليهم.

ومعلوم أن مشـركي العـرب، لا يقولـون: إن آلهتهم تخلق وترزق، وتدبر أمر من دعاهـا؛ وشـركهم: إنما هو في التألـه، والعبادة، كما قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبـونهم كحب الله والـذين آمنـوا أشد حبـاً للـه) الآية [البقرة: 165] وقال تعالى: (ومن أضل ممن يدعوا من دون

(ص268) الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) والآية الثانية، [الأحقاف: 5، 6] وقال تعالى: (له دعـوة الحق والـذين يـدعون من دونه لا يسـتجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعـاء الكـافرين إلا في ضـلال) [الرعـد: 14] وقـال تعـالى: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفـرون بشـرككم ولا ينبئك مثل خبـير) [فـاطر: 13، 14] والآيات في بيان الشـرك في العبـادة، وأنه دين المشـركين، وما تضمنه القـرآن من الـرد عليهم، وبيـان ضـلالهم، وضـياع أعمـالهم: أكـثر من أن تحصـر؛ ويكفي اللـبيب الموفق لدينه بعض ما ذكرناه، من الآيـات المحكمـات؛ وأما من لم يعـرف حقيقة الشرك، لإعراضه عن فهم الأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة، فكيف يعرف التوحيد، ومن كان كذلك، لم يكن من الإسلام في شيء، وإن صام، وصـلى، وزعم انه مسـلم.وأما من شـرح الله صـدره للإسـلام، وأصـغى قلبه إلى ذكر اللـه، من الآيـات المحكمـات، في بيـان التوحيـد، المتضـمن لخلع الأنداد، التي تعبد من دون الله، والبراءة منها، ومن عابـديها: عرف دين المرسلين، كما قال تعالى: (ولقد بعثنا

(ص269) في كل أمة رســولاً أن اعبــدوا الله واجتنبــوا الطاغوت) [النحل: 36] والطاغوت: ما تجاوز به العبد حـده، من معبود، أو متبـوع، أو مطـاع. وكلما ازداد العبد تـدبراً، لما ذكره الله تعالى في كتابه، من أنواع العبادة، الـتي يحبها الله من عبده، ، ويرضاها، عـرف أن من صـرف شـيئاً منها لغـير الله فقد أشــرك، كما قــال تعــالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحـد) الآية [الكهـف: 110] ويجمع أنواع العبادة، تعريفها، بأنها: كل ما يحبه اللـه، ورسـوله، من الأقــوال، والأعمــال، الظــاهرة، والباطنــة.إذا فهمتم ذلــك، وعقلتموه، علمتم: أن من المصائب في الدين، ما يقع اليوم، من كثير ممن يدعى الإسـلام، مع هـؤلاء، الـذين يـأتونهم من أهل الشـمال، وهم يعلمـون: أن الأوثـان الـتي تعبـد، وتقصد

بأنواع العبادة، موجودة في بلادهم؛ وأن الشرك: يقع عندهم، من الأقوال، والأعمال؛ ولا يحصل منهم نفرة، ولا كراهة لــه؛ مثل هؤلاء الذين لا يعـرف منهم، أنهم عرفـوا ما بعث الله به رسوله، من توحيده، وأنكروا الشرك الأكـبر، الـذي لا يغفـره اللــه؛ بل الواقع منهم: إكــرامهم، وإعظــامهم؛ بل زوجــوهم نساءهم؛ فـأي مـوالاة أعظم من هـذا ! وأي ركـون أبين من هذا، أين العداوة لهم والبغضـاء ؟ هل كـان ذلك الـذي شـرع الله، وأوجبه على عباده، خاصاً بأناس كانوا فبانوا ؟ والنــاس بعد أولئك القرون

(ص270) قد صلحوا ؟ أم كان الشرك ؟ وله أيضـاً قـدس الله روحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن، إلى الإخوان من أهل القصيم سـلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه؛ وبعـد: اعلمـوا وفقنا الله وإيـاكم، لمعرفة العلم النـافع، والعمل بـه؛ تفهمـون: أن الله سبحانه منَّ على أهل نجد، بتوحيده بالعبادة، وترك عبـادة ما سواه؛ وهذه نعمة عظيمة، خص الله أهل نجد بالقيـام فيهـا، من الخاصة على العامة، لكن ما عرف قــدرها. والغفلة ذمها الله في كتابه، وذكر أنها صفة أهل النار، نعوذ بالله من النار، بقوله (أولئك هم الغــــافلون) [الأعــــراف: 179] وذم أهل الإعـراض، بقولـه: (ومن أعـرض عن ذكـرى فـإن له معيشة ضنكا) [طـه: 124] وهو القـرآن؛ ولا تعرفـون العبـادة، الـتي خلقكم الله لها، إلا من القرآن؛ والقرآن من أوله، إلى آخره، يـــــبين لكم كلمة الإخلاص: " لا إله إلا الله " ولا يصح لأحد إســلام، إلا بمعرفة ما دلت عليه هــــذه الكلمــــة، من نفي الشرك في العبـادة، والـبراءة منـه، وممن فعلـه، ومعاداتـه، وإخلاص العبادة لله وحده، لا شريك له؛ والموالاة في ذلك

(ص271) فمن الآيـات، الـتي بين الله تعـالى فيهـا، هـذه الكلمة، قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني بــراء مما تعبــدون، إلا الــذي فطــرني فإنه سـيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبه) [الزخرف: 26-28] وهي: لا إله إلا الله؛ وقد

افتتح قوله، بالبراءة مما كان يعبده المشـركون عمومـاً، ولم يستثن إلا الذي فطره، وهو: الله تعالى، الذي لا يصلح شـيء من العبادة إلا له. ونوع تعالى البيان، لمعنى هذا الكلمة، في آيات كثيرة، يتعذر حصـرها، كقوله تعـالى: قل ياأهل الكتـاب تعــالوا إلى كلمة ســواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللــه) [آل عمران: 64] والكلمة، هي: لا إله إلا الله؛ بالإجماع، ففسرها بقولـه: (سـواء بيننا وبينكم) أي نكـون فيها سـواء، علمـاً، وعملاً، وقبولاً، وانقياداً، فقال: (ألا نعبد إلا الله ولا نشـرك به شيئاً) فنفي ما نفته: لا إله إلا الله، بقوله: (ألا نعبد) وأثبت ما أثبتته: لا إله إلا الله، بقوله: (إلا اللـه) وقـال: (أمر ألا تعبـدوا إلا إياه) [يوسـف: 40] فهـذا أعظم أمـر، أمر الله به عبـاده، وخلقهم له؛ ففي قوله: (ألا تعبدوا) نفي الشرك، الذي نفته : لا إله إلا الله؛ وقوله: (إلا إياه) هو: الإخلاص، الذي أثبتتـه: لا إله إلا اللـه، وقـال تعـالى: (وقضى ربك ألا تعبـدوا إلا إيـاه) [الإسراء: 23] قضـى: أى أمر (ألا تعبـدوا) فيه من النفي، ما في معنى: لا إله، وقوله (إلا إياه) هذا هو الإثبات،

(ص272) الذي أثبته: لا إله إلا الله؛ وقال الذي أثبتتـه: لا إله إلا الله؛ وقال تعالى: (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك بـه) [الرعـد: 36] فهـذا هو الـذي أمر به صـلى الله عليه وسلم، ودعا الناس إليه، وهو: إخلاص العبادة، وتخليصها من الشـرك، قـولاً، وفعلاً، واعتقـاداً وقد فعل صـلى الله عليه وسلم ذلـك، ودعا النـاس إليـه، وجاهـدهم عليه حق الجهـاد، وهـذا، هـو: حقيقة دين الإسـلام، كما قـال تعـالى: (قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) [الأنبياء: 108] بين تعـالى: أن توحيد الإلهيـة، هو الإسـلام، والأعمـال كلهـا، لا يصـلح منها شـيء، إلا بهـذا التوحيـد؛ وهـو: أسـاس الملة، ودعوة المرسلين؛ والدين كله، من لوازم هذا الأصل، وحقوقه. وقد قال تعالى: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليـدبروا آياته وليتـذكر أولـوا الألبـاب) [صّ: 29] فمن تـدبر القـرآن، وتذكر به، عرف حقيقة دين الإسلام، الـذي أكمله الله لهـذه الأمـة، كما قـال تعـالى: (اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت

عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) [المائدة: 3] هذا: ما ننصحكم به، وندعوكم إليه، وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد، وآله، وصحبه، وسلم.

(ص273) وله أيضاً، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن، إلي الإخوان: الأمير محمد بن أحمد، والشيخ: عبد اللطيف بن مبارك، وأعيان أهل الاحساء، وعامتهم، رزقنا الله وإياهم، الاعتصام بالكتاب، والسنة؛ وجنبنا وإياهم سبل أهل البدع، والأهواء؛ ووفقنا وإياهم لمعرفة ما بعث الله به رسوله، من النور والهدى؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإن الباعث على هذا الكتاب، هو النصيحة لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأوصيكم: بما دلت عليه شهادة ألا إله إلا الله؛ وما تضمنته من نفي الإلهية عما سوى الله؛ وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والبراءة من كل دين يخالف ما بعث الله به رسله من التوحيد، كما قال تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه)[فصلت: 6]

وقال تعالى: (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن (ص274) خلفهم ألا تعبدوا إلا الله) [فصلت: 13، 14] وهذه الآية، وما في معناها: تتضمن النهي عن الشرك في العبادة، والبراءة منه، ومن المشركين، من الرافضة وغيرهم؛ والقرآن من أوله إلى آخره: يقرر هذا الأصل العظيم، فلا غناء لأحد عن معرفته، والعمل به باطناً وظاهراً. قال بعض السلف: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون، ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ وقال تعالى: (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وأمرت لأن أكون أول المسلمين) [الزمر: 11، 12] وهذا هو مضمون شهادة: ألا إله إلا الله؛ كما تقدمت الإشارة إليه. ومضمون شهادة: أن محمداً رسول الله، وجوب اتباعه، والرضى به

نبياً ورسولاً، ونفي البدع، والأهواء المخالفة لما جاء به صلى الله عليه وسلم فلا غناء لأحد عن معرفة ذلك وقبوله، ومحبته والانقياد له، قولاً وعملاً، باطناً وظاهراً.

وله: أيضاً، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن، إلى الإخوان: صالح الشثري، وزيد بن محمد، وإخوانهم، سلمهم الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فموجب الخط إبلاغكم السلام، والسؤال عن

(ص275) الحال، جعلنا الله وإياكم ممن عرف الحق فاتبعه، وقابل النعم بشكرها؛ وأوصيكم: بتدبر أنوار الكتاب، التي هي أظهر من الشمس، في نحر الظهيرة، ليس دونها قتر، ولا سحاب، لا سيما دوال التوحيد، والتفكر في مدلولاته، ولوازمه، وملزوماته، ومكملاته، ومقتضايته، ثم التفطن فيما يناقضه وينافيه من نواقضه ومبطلاته.

فالخطر به شديد، ولا يسلم منه إلا من وفق للصبر والتأييد، والفعل الحميد، والقول السديد، وخالط قلبه: آيات الوعد والوعيد، وعرف الله بأسمائه، وصفاته، التي تجلو الريب والشك، عن قلب كل مريد، واعتصم بها عن كل شيطان مريد، (إن بطش ربك لشديد، إنه هو يبدىء ويعيد، وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد، فعال لما يريد) [البروج: 12 –16]

فقد عمت البلوى، بالجهل المركب؛ والبسيط، (إن الله بما يعلمون محيط) [آل: عمران 120] فالله الله، في التحفظ على القلب، بكثرة الاستغفار من الذنب، جعلنا الله وإياكم ممن نجا من ظلمة الجهالة، وأخلص لله أقواله وأعماله.

وسئل رحمه الله تعالى: عمن يعرف التوحيد، ويعتقده، ويقرأ في التفسير، كتفسير البغوي، ونحوه، هل له أن يحدث بما سمعه، وحفظه، من العلم، ولو لم يقرأ في النحو، أو لا ؟

(ص276) فأجاب: من المعلوم أن كثيراً من العلماء، من المحدثين، والفقهاء، إنما كان دأبهم، طلب ما هو الأهم، والنحو إنما يراد لغيره، فيأخذ الرجل منه ما صلح لسانه؛ فانشر ما علمت من العلم، خصوصاً علم التوحيد، الذي هو في الآيات المحكمات، كالشمس في نحر الظهيرة، لمن رغب فيه، وأحبه وأقبل عليه.

وقد عرفت: أن كتمان العلم، مذموم، بالكتاب، والسنة، كما قال تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) [البقرة: 159] وقد أرشد الله تعالى عباده، إلى تدبر كتابه، وذم من لم يتدبره، وقد قال تعالى: (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) [العنكبوت: 51] 0

وأخبر عن جن نصيبين، أنهم لما سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن، بوادي نخلة، منصرفة من الطائف: (ولَّو إلى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) الآية [الأحقاف: 29 – 31] وأخبر تعالى عنهم، في سورة الجن، أنهم أنكروا الشرك، الذي كان يفعله الإنس مع الجن، من الاستعاذة بهم، إذا نزلوا وادياً.

وأخبر تعالى: عن هدهد سليمان، أنه أنكر الشرك،

(ص277) وهو: طائر من جملة الطير، قال تعالى: (فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون، ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) الآية [النمل: 22 –25]

فحدث الهدهد، سليمان عليه السلام، بما رآهم يفعلونه، من السجود لغير الله؛ والسجود نوع من أنواع العبادة، فليت

أكثر الناس عرفوا من الشـرك، ما عـرف الهدهـد؛ فـأنكروه، وعرفـوا الإخلاص فـالتزموه؛ وبالله التوفيـق، وسـبحان من غرس التوحيد، في قلب من شاء من خلقه، وأضل من شـاء عنه، بعلمه وحكمته وعدله

وقـال أيضـاً الشـيخ: عبد الـرحمن بن حسـن، رحمه الله تعالى:

فائـدة: عظيمة النفـع، لمن تـدبرها، وفهمهـا، في حقيقة التوحيد والمتابعـة؛ قـال العلامة ابن القيم رحمه الله في: كتـاب المفتـاح؛ الوجه الرابع والثلاثـون بعد المائـة: أن الله سـبحانه خلق خلقـه، لعبادتـه، الجامعة لمحبته ومرضـاته، المستلزمة لمعرفته، ونصب للعباد علمـاً، لا كمـال لهم إلا به – وهـو: أن تكـون حركـاتهم كلهـا، واقعة على وفق مرضـاته ومحبته، ولذلك أرسل رسله، وأنـزل كتبـه، وشـرع شـرائعه، فكمال العبد،

(ص278) الـذي لا كمـال له إلا بـه، أن تكـون حركاتـه: موافقة لما يحبه الله ويرضاه؛ ولهـذا جعل اتبـاع رسـله دليلاً على محبته، قال تعـالى: (قل إن كنتم تحبـون الله فـاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنـــوبكم والله غفـــور رحيم) [آل عمران: 31]

قال بعض العلمـاء، المحب الصـادق: إن نطق نطق باللـه، وإن سـكت سـكت للـه، وإن تحـرك فبـأمر اللـه، وإن سـكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فهو لله وبالله، ومع الله؛ ومعلوم: أن صاحب هذا المقـام، أحـوج خلق الله إلى العلم، فإنه لا تتميز له الحركة المحبوبة لله من غيرها، ولا السـكون المحبوب له من غـيره، إلا بـالعلم، فليست حاجته إلى العلم، كحاجة من طلب العلم لذاته، لأنه في نفسه صفة كمـال، بل حاجته إلى العلم، كحاجته إلى الطعام والشراب

ولهـذا اشـتدت وصـاة شـيوخ العـارفين، لمريـديهم بـالعلم وطلبه، وأن من لم يطلب العلم لم يفلح، حتى كـانوا يعـدون من لا علم له، من السـفلة؛ قـال ذو النـون – وقد سـئل عن

السـفلة – فقـال: من لا يعـرف الطريق إلى الله تعـالى، ولا يتعرفه

وقـال أبو يزيـد: لو نظـرتم إلى الرجـل، وقد أعطى من الكرامات، حتى يترفع في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونـــه، عند الأمر والنهي، وحفظ الحـــدود، ومعرفة الشريعة؛ وقال أبو حمزة: من علم طريق الحق، سـهل عليه سلوكه؛ ولا دليل إلى الله، إلا بمتابعة

(ص279) رسول الله صـلى الله عليه وسـلم في أقوالـه، وأفعاله، وأحواله.

وقـال محمد بن فضـل، الصـوفي الزاهـد: ذهـاب الإسـلام على يد أربعة أصناف؛ صنف: لا يعملون بما يعلمون؛ وصنف: يعلمـون بما لا يعلمـون؛ وصـنف: لا يعلمـون، ولا يعملـون؛ وصنف: يمنعون الناس من التعلم.

قلت: الصنف الأول، من له علم بلا عمل، فهو أضر شـيء على العامة؛ فإنه حجة لهم، في كل نقيصة، ومحسنة.

والصنف الثاني: العابد الجاهل، فإن الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه، فيقتدون به على جهله، وهذان الصـنفان، هما اللـذان ذكرهما بعض السـلف، في قولـه: احـذروا فتنـة، العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم، وعبادهم فإذا كان العلمــاء فجـرة، والعبـاد جهلـة: عمت المصـيبة بهمـا، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة.

الصــنف الثــالث: الــذين لا علم لهم، ولا عمــل، وإنما هم كالأنعام السـائمة؛ الصـنف الرابـع: نـواب إبليس في الأرض؛ وهم: الــذين يثبطــون النــاس عن طلب العلم، والتفقة في الدين، فهؤلاء أضر عليهم من شياطين الجن، فإنهم يحولـون بين القلوب، وبين هدى الله وطريقه.

فهؤلاء الأربعة الأصناف، هم الذين ذكرهم هذا

(ص280) العـارف، رحمه الله تعـالى؛ وهـؤلاء كلهم، على شفا جرف هار، وعلى سبيل هلكة، وما يلقى العـالم الـداعي إلى الله ورســوله، ما يلقــاه من الأذى والمحاربــة، إلا على

أيديهم، والله يستعمل من يشاء في سخطه، كما يستعمل من يحب في مرضاته (إنه بعباده خبير بصير) [الشورى: 27] ولا ينكشف سر هذه الطوائف، وطريقتهم، إلا بالعلم؛ فعاد الخير بحذافيره، إلى العلم وموجبه، والشر بحذافيره إلى الجهل وموجبه؛ انتهى.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن، إلى الابن عبد اللطيف، سلمه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد: هذا الوجه من أنفع ما رأيت، في تحقيق التوحيد، والمتابعة، فأنت اقرأه على الإمام، فيا سعادة من عقله، وصار على باله، والله أعلم.

(ص281) قال الإمام: فيصل بن تركي، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي بن سعود، إلى من يصل إليه هذا الكتاب، من أشراف اليمن، وعلمائهم، ووجوه القبائل؛ سلمهم الله من النار، ومن غضب الجبار، ورزقهم إخلاص العبادة للواحد القهار، ووفقهم لاتباع سبيل محمد النبي المختار، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، المقربين منهم، والأبرار، وسلم تسليماً، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإنه قد وصل إلينا من جهتكم الشيخ: صالح ابن سعيد الجوني، فأحببت أن أكتب معه إليكم: نصيحة مختصرة؛ وفي الحديث: " الدين النصيحة " وهو من الأحاديث الصحيحة، فأعظم ما يستنصح به العبد، وينصح به غيره، الإيمان بالله، والعمل له، والتواصي بالحق، والصبر عليه.

فأصل دين الإسلام، وأساسه الذي تنبني عليه الأعمال، وتصح به الأقوال والأفعال، هو: إخلاص العبادة بجميع

(ص282) أنواعها لله تعالى، وهي منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح؛ ولا يكون مخلصاً، إلا بترك الشرك في العبادة، والبراءة منه.

وأفضل الأعمال: الأركان الخمسة، التى أعظمها تجريد التوحيد، والبراءة من الشرك، والتنديد، قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [الشورى: 13] وهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل، ثم قال: (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) الآيات [الشورى: 15 –17].

وقال تعالى، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) [يوسف: 108] فسبيله، وسبيل اتباعه: النهي عن الشرك، والدعوة إلى الإخلاص؛ ولهذا قال: (وما أنا من المشركين).

وقد بين تعالى: ما وصى به عباده من ذلك، وما نهى عنه من الشرك في العبادة، فأخبر عن رسوله نوح، ومن بعده من الرسل، عليهم السلام، أنهم قالوا لقومهم: (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) [الأعراف: 59، 73، 85] (ألا تعبدوا إلا الله) [هود: 2] وقال خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأمته: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً)

(ص283) [الإسراء: 23] قال العلماء رحمهم الله تعالى؛ (قضى) وصى، وقيل؛ أمر، وهما بمعنى واحد.

وقال تعالى: (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وأمرت لأن أكون أول المسلمين) [الزمر: 11، 12] والإسلام، وهو: الإخلاص، لأنه شرط لكل عمل، وكل عمل مفتقر إليه، وقد فسره علماء السلف، بالإخلاص، كما في قوله تعالى: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) [البقرة: 112] وقوله: (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن) [لقمان: 22] قالوا: إسلام الوجه، الإخلاص، والإحسان، والمتابعة؛ والقرآن من أوله إلى آخره، وكذلك السنة، في تقرير هذين الأصلين.

ومن تدبر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل هجرته، وبعدها، وما كان عليه الصحابة، والتابعون، وأتباعهم، والأئمة،

عـرف: حقيقة دين الإسـلام، الـذي لا يقبل الله من أحد دينـاً سواه؛ وتـبين لـه: كـثرة المنحـرفين عنـه، في هـذه الأزمنـة، وقبلهـا؛ فـإن الأمة بعد القـرون الثلاثـة: افـترقت على ثلاث وسـبعين فرقـة، وذلك بعد ظهـور دول الأعـاجم، والقرامطة في المشـــرق؛ وبـــني عبيد القـــداح، في مصر والمغـــرب؛ وظهرت الفلسفة، وغيرها، من أصول البدع، وظهر الشرك.

وكل قرن ينحل عقد الإسلام، حتى اشتدت الغربـة، وعظم الافتراق، وعاد المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ونشأ

(ص284) عليه الصغير، وهـرم عليه الكبـير، وجهل النـاس التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وبعث به إمامهم، وسـيدهم: محمد صلى الله عليه وسلم، ووقعوا في الشرك، الـذي نهى الله عنـه، ورسـوله، حـتى ظنـوه من أفضل القربـات (إن يتبعـون إلا الظن وما تهـوى الأنفس ولقد جـاءهم من ربهم الهدى) [النجم: 23]

فيجب على من نصح نفسه، وطلب لها الخلاص من عذاب اللـه، أن يسـعى في خلاصـها، بـالإخلاص لله وحـده، بجميع أنـواع العبـادة، الـتي موردها القلب، واللسـان، والجـوارح؛ ويطلب العلم، الـذي ينجو به من النـار، ويـدخل به جنـات تجري من تحتها الأنهار، ويصح به إيمانه، وتنفعه معه أعماله.

ومن عرف ما جـرى من الأمم مع الرسـل، وما ذكـره الله عن الأكـثر، وما جـرى من اليهـود مع نبينا محمد صـلى الله عليه وسلم، لم يغتر بكثرة المخالفين لهذا الدين، ولا يصدفه عن الحق المـبين، زخـرف الملحـدين المزخـرفين، كما قـال تعـالى: (وما وجـدنا لأكـثرهم من عهد وإن وجـدنا أكـثرهم لفاسقين) [الأعراف: 102] وقـال تعـالى: (وما أكـثر النـاس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف: 103] وقال في حال اليهود: (فلما جاءهم ما عرفـوا كفـروا به فلعنة الله على الكـافرين) [البقـرة: 89] وفي الحـديث الصـحيح، عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال: " لتتبعن سـنن من كـان قبلكم، حـذو القذة بالقذة، حتى لو دخلـوا جحر ضب لـدخلتموه " قـالوا يا رسول الله: اليهود

(ص285) والنصـــارى ؟ قـــال " فمن ؟" يعـــني أنهم هم المراد؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة، رحمه الله: من فسد من علمائنـا، ففيه شـبه من اليهـود، ومن فسد من عبادنـا، ففيه شبه من النصارى؛ هـذا وهو في القـرن الثـاني، من القـرون الثلاثة المفضـلة، فما الظن بمن بعـدهم من القـرون ؟ الـتي فيها هؤلاء الخلوف، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلـون ما لا يـؤمرون، بنص الحـديث، وفي حـديث أنس مرفوعـاً: " لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعـده شر منـه، حـتى تلقـوا ربكم عزَّ وجلَّ " سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم.

ولهذا لما اشتدت غربة الإسلام، في هذه الأزمـان، وقبلهـا، عاد الأمر إلى: أن من دعا بدعوى المرسـلين، وقـال: لا يعبد إلا الله، ولا يدعى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه؛ قيل له: تنقصت الأنبياء، والصـالحين؛ فأشـبهوا من قـال الله فيهم: (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بـالآخرة وإذا ذكر الـذين من دونه إذا هم يستبشـرون) [الزمـر: 45]. وقد أمر الله تعالى، بإخلاص العبادة له، في مواضع كثيرة، من كتابـه، ونهى نبيه صلى الله عليه وسلم وأمتـه، أن يـدعوا أحـداً من دونـه، فقـال: (ولا تـدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضـرك فـــإن فعلت فإنك إذا من الظـــالمين) الآية [يـــونس: 106] وقـال: (فلا تــدع مع الله إلهــاً آخر فتكــون من المعــذبين) [الشعراء: 213] وقال: (ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله

(ص286) إلا هو) [القصص: 88] وقــال (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) [غافر: 66] وقال: (قل إني نهيت أن أعبد الذين تــدعون من دون الله قل لا أتبع أهـــواءكم) الآية [الأنعـــام: 56] وهــــذه الآيات: تحقق أن الدعاء عبادة، وأن صـرفه لغـير الله شـرك بالله، وقد قال تعـالى: (وأن المسـاجد لله فلا تـدعوا مع الله أحــداً) إلى قولــه: (قل إنما أدعــوا ربي ولا أشــرك به أحــداً) [الجن 18-20]

وقــال: (ومن يــدع مع الله إلهــاً آخر لا برهــان له به فإنما حســابه عند ربه إنه لا يفلح الكــافرون) [المؤمنــون: 117]

فبين في هذه الآيـة: أن دعـوة غـيره كفـر، كما قـال تعـالى: (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يسـتجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) [الأحقـاف: 5، 6] وقـال تعالى: (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يسـتجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) [الرعد: 14].

فتـدبروا: ما في هـذه الآيـات، من النهي الأكيـد، والوعيد الشديد، والبيان الذي لا يخفى، حتى على البليد. وهذا النهي: عـام، يتنـاول كل مـدعو من الأنبيـاء فمن دونهم، كما قـال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا

(ص287) يملكـــون كشف الضر عنكم ولا تحـــويلاً، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقـرب ويرجـون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً [الإسراء: 56، 57]. نزلت هذه الآيات، فيمن يدعو: المسيح بن مريم، وأمـــه، وعزيـــراً، والملائكـــة، على الصـــحيح، من أقـــوال المفسرين؛ وعليه أكثرهم؛ يقول الله، هؤلاء عبيدي، كما أنتم عبيـدي، يرجـون رحمـتي، كما ترجـون رحمـتي، ويخـافون عذابي، كما تخافون عذابي.

ولا ريب أن: المسـيح بن مـريم، والملائكـة، أحيـاء، لكنهم غـافلون عمن دعـاهم، ولا يسـتجيبون لهم بشـيء؛ وأمـا: العزير، ومريم، فقد ماتـا، فلا يـدعى ميت، ولا غـائب، فبطل بهذه الآية: كل ما ادعاه المشركون، في معبوديهم، كقولهم: نـدعوهم، لأن لهم صـلاحاً، وتـرجى شـفاعتهم؛ ونظـائر هـذه الآيـة، في القـرآن كثـير، في الـرد على من دعا الأنبيـاء، والصالحين، والملائكة ونحوهم.

ومع هذا البيان، فلا بد من وجود من يجادل في آيات اللـه، كما قال تعالى: (ما يجادل في آيات الله إلا الـذين كفـروا فلا يغـررك تقلبهم في البلاد، كـذبت قبلهم قـوم نـوح والأحـزاب من بعـــدهم وهمت كل أمة برســـولهم ليأخـــذوه وجـــادلوا

بالباطل ليدحضوا به الحق) الآية [غافر: 4، 5] وقال تعـالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن
(ص288) أطعتمــوهم إنكم لمشــركون) [الأنعــام: 121].
يخبر تعالى: أنه لابد للحق من أعداء، يجادلون في آيــات الله وحججــه، وبيناتــه، تحــذيراً عنهم، وعن الإصــغاء إليهم وإلى شــبهاتهم، وعن طــاعتهم، فأقــام تعــالى الحجة على عبــاده، وحذر، وأنذر، وبين، وأظهر (قل فلله الحجة البالغة فلو شــاء لهداكم أجمعين) [الأنعام: 149].
وكل شــبهة، يلقيها أهل الباطـــل، على أهل الحـــق، ففي الكتاب والسنة، وما يبطلها، كما قال تعالى: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً)[الفرقان: 33].
(ص289) ســئل الشــيخ: عبد اللــه، بن عبد الــرحمن، أبا بطين، رحمه الله تعالى. ما قــولكم دام فضــلكم، في تعريف العبــادة، وتعريف توحيد العبــادة، وأنواعه ؟ وتعريف الإخلاص ؟ وما بين الثلاثة، من العموم، والخصوص ؟ وهل هو مطلق، أو وجهي ؟ وما معنى الإله ؟ وما معنى الطاغوت الذي أمرنا باجتنابــه، والكفر به ؟ فأجــاب: الحمد لله رب العــالمين؛ أما العبــادة في اللغــة، فهي: من الــذل؛ يقــال؛ بعــير معبــد، أي: مــذلل، وطريق معبــد، إذ كــان مــذللاً، وقد وطأته الأقــدام، وكذلك الدين أيضاً، من الذل، يقــال دنتــه، فــدان، أي: ذللتــه، فــذل؛ وأما تعريفها في الشــرع، فقد اختلفت عبــاراتهم، في تعريفها، والمعنى واحــد. فعرفها طائفة بقــولهم، هي: ما أمر به شرعاً، من غير اطراد عــرفي، ولا اقتضــاء عقلي؛ وعرفها طائفة بأنهــا: كمــال الحب مع كمــال الخضــوع؛ وقــال ابو العباس، رحمه الله تعالي: هي اسم جــامع، لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة، والظاهرة
(ص290) فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفــاء بالعهــد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكــر، وجهــاد الكفــار، والمنــافقين، والإحســان إلى الجــار، واليــتيم، والمســكين، والمملــوك، من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثــال ذلــك،

من العبادة. وكـذلك حب الله ورسـوله، وخشـية الله والإنابة إليه، وإخلاص الـدين لـه، والصـبر لحكمـه، والشـكر لنعمتـه، والرضا بقضـائه، والتوكل عليـه، والرجـاء لرحمتـه، والخـوف من عذابه، وأمثال ذلك؛ فالدين كله داخل في العبادة انتهى.

ومن عرفهـا بـالحب من الخضـوع، فلأن الحب التـام، مـع الذل التام، يتضمن طاعة المحبوب، والانقياد له؛ فالعبد، هـو الذي ذلـه الحب، والخضـوع لمحبوبـه، فبحسـب محبـة العبـد لربـه، تكـون طاعتـه، فمحبـة العبـد لربـه، وذلـه لـه يتضـمن عبادتـه وحـده لا شـريك لـه؛ والعبـادة المـأمور بهـا، تتضـمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله، بغايـة المحبة له؛ كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

ليس العبـــادة غـــير   مع خضـــــــوع القلب

والحب نفس وفاقة   وبغض ما لا يرتضى

ووفاقه نفس اتباعك   والقصد وجه الله ذي

(ص291) فعــرف العبــادة: بتوحيد المحبــة، مع خضــوع القلب، والجوارح؛ فمن أحب شيئاً، وخضع لـه، فقد تعبد قلبه لــه، فلا تكــون المحبة المنفــردة، عن الخضــوع عبــادة، ولا الخضوع بلا محبة عبادة؛ فالمحبة والخضوع: ركنـان للعبـادة، فلا يكون أحدهما عبادة بـدون الآخـر، فمن خضع لإنسـان مع بغضه له، لم يكن عابـداً لـه؛ ولو أحب شـيئاً، ولم يخضع لـه، لم يكن عابداً لـه؛ كما يحب ولـده، وصـديقه؛ ولهـذا لا يكفي أحـدهما في عبـادة الله تعـالى، بل يجب أن يكـون الله أحب إلى العبد من كل شـــيء، وأن يكـــون أعظم عنـــده من كل شـيء، بل لا يسـتحق المحبة الكاملـة، والـذل التـام إلا الله سبحانه.

إذا عـرف ذلـك، فتوحيد العبـادة، هـو: إفـراد الله سـبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفهـا، وهو نفس العبـادة المطلوبة شرعاً، ليس أحدهما دون الآخر؛ ولهـذا قـال ابن عبـاس: كل

ما ورد في القـرآن من العبـادة، فمعنـاه التوحيـد؛ وهـذا: هو التوحيد الـــذي دعت إليه الرســـل، وأبى عن الإقـــرار به المشـركون، وأما العبـادة من حيث هي، فهي أعم من كونها توحيداً عمومـاً مطلقـاً، فكل موحد عابد للـه، وليس كل من عبد الله يكـون موحـداً؛ ولهـذا يقـال عن المشـرك: إنه يعبد اللـــه، مع كونه مشـــركاً، كما قـــال الخليل صـــلى الله عليه وسـلم: (أفـرأيتم ما كنتم تعبـدون، أنتم وآبـاؤكم الأقـدمون، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) [الشـعراء: 75 –77] وقـال عليه السلام: (إنني براء مما تعبـدون، إلا الـذي فطـرني فإنه سيهدين) [الزخرف

(ص292):ـ 26، 27] فاستثنى الخليل ربه من معبـوديهم، فدل على أنهم يعبـدون اللـه.فـإن قيـل: ما معـنى النفي في قوله سبحانه: (ولا أنتم عابدون ما أعبد) [الكافرون: 3] قيل: إنما نفى عنهم، الاسم الـدال على الوصـف، والثبـوت؛ ولم ينف وجود الفعل، الدال على الحدوث، والتجـدد؛ وقد نبه ابن القيم، رحمه الله تعالى، على هذا المعنى اللطيف، في بدائع الفوائـــد، فقـــال: لما انجر كلامه على ســـورة (قل يا أيها الكافرون) وأما المسألة الرابعـة، وهو أنه لم يـأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعـل، وفي جهته جـاء بالفعل المسـتقبل تارة، وباسم الفاعل أخرى.

وذلك – والله أعلم – لحكمة بديعـــة، وهي: أن المقصـــود الأعظم، براءته من معبـــوديهم، بكل وجـــه، وفي كل وقت؛ فأتى أولاً، بصيغة الفعـل، الدالة على الحـدوث، والتجـدد؛ ثم أتى في هذا النفي، بعينـه، بصـيغة اسم الفاعـل، الدالة على الوصـــف، والثبـــوت؛ فأفـــاد في النفي الأول: أن هـــذا لا يقع مني؛ وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي، ولا شـأني، فكأنه قـال: عبـادة غـير اللـه، لا تكـون فعلاً لي، ولا وصـفاً فـأتى بنفيين، لمنفيين، مقصودين بالنفي.

وأما في حقهم، فإنما أتى بالاسم الـــدال على الوصـــف، والثبوت، دون الفعل؛ أي: الوصف الثـابت، اللازم للعابد للـه، منتف عنكم، فليس هذا الوصف، ثابتاً لكم، وإنما

(ص293) يثبت لمن خص الله وحـده بالعبـادة، لم يشـرك معه فيها أحـداً؛ وأنتم لما عبـدتم غـيره، فلسـتم من عابديـه، وإن عبـدتموه في بعض الأحيـان، فـإن المشـرك: يعبد اللـه، ويعبد معه غــيره، كما قــال تعــالى، عن أهل الكهــف: (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) [الكهـف: 16] أي اعـتزلتم: معبوديهم، إلا الله، فإنكم لم تعتزلوه، وكذا قول المشــركين، عن معبــــوديهم: (وما نعبــــدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: 3] فهم كانوا يعبـدون اللـه، ويعبـدون معه غـيره، لم ينف عنهم الفعل، لوقوعه منهم، ونفي الوصف، لأن من عبد غير الله، لم يكن ثابتاً على عبادة الله، موصوفاً بهـا. فتأمـل: هــذه النكتة البديعــة، كيف تجد في طيهــا: أنه لا يوصف بأنه عابد للــه، وإن عبــده، ولا المســتقيم على عبادتــه، إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتل إليه تبتيلاً، لم يلتفت إلى غـيره، ولم يشرك به أحداً في عبادته، وأنه إن عبده، وأشـرك به غـيره، فليس عابداً لله، ولا عبداً له؛ وهذا من أسرار هذه الســورة، العظيمة، الجليلة، التي هي أحد سورتي الإخلاص، التي تعدل ربع القــرآن، كما جــاء في بعض الســنن، وهــذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه، إلا من منحه الله، فهما من عنده، فله الحمد والمنــــة، انتهى كلامه رحمه الله تعــــالى. وأما الإخلاص، فحقيقته: أن يخلص العبد لله، في أقواله، وأفعالـه، وإرادتـه، ونيته؛ وهذه، هي: الحنيفية،

(ص294) ملة إبـراهيم صـلى الله عليه وسـلم، الـتي أمر الله بها عبــاده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرهــا، وهي: حقيقة الإسلام (ومن يبتغ غـير الإسـلام دينـاً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) [آل عمـران: 85] وهي ملة إبـراهيم، الـتي من رغب عنهـا، فهو من أسـفه السـفهاء (ومن يـرغب عن ملة إبــراهيم إلا من ســفه نفســه) [البقــرة: 130].وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، على اشتراط الإخلاص، للأعمال، والأقوال، الدينيـة؛ وأن الله لا يقبل منهـا، إلا ما كــان خالصــاً، وابتغى به وجهــه؛ ولهــذا كــان الســلف الصالح، يجتهدون غاية الاجتهـاد، في تصـحيح نيـاتهم، ويـرون

الإخلاص أعز الأشياء، وأشقها على النفس؛ وذلك لمعـرفتهم باللــه، وما يجب لــه، وبعلل الأعمــال، وآفاتهــا؛ ولا يهمهم العمل، لسهولته عليهم؛ وإنما يهمهم سلامة العمل، وخلوصه من الشـوائب، المبطلة لثوابـه، والمنقصة لـه. قـال الإمـام أحمد رحمه الله: أمر النية شديد؛ وقـال سـفيان الثـوري: ما عـالجت شـيئاً، أشد علي من نيـتي، لأنها تتقلب علي؛ وقـال يوسف بن إسـباط : تخليص النيـة، من فسـادها، أشد على العاملين من طول الاجتهاد؛ وقـال سـهل بن عبد اللـه: ليس على النفس شــيء أشق من الإخلاص، و لأنه ليس لها فيه نصـيب؛ وقـال يوسف بن الحسـين: أعز شـيء في الـدنيا، الإخلاص، وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي،

(ص295) وكأنه ينبت فيه على لـون آخـر، فيجب على من نصح نفسه أن يكـون اهتمامه بتصـحيح نيتـه، وتخليصـها من الشـوائب، فـوق اهتمامه بكل شـيء، لأن الأعمـال بالنيـات، ولكل امــرىء ما نــوى وأما ما بين الثلاثــة، من العمـــوم، والخصــــوص، وهل هو وجهي، أو مطلق ؟ فقد قـــدمنا: أن العبادة من حيث هي، أعم من توحيد العبادة، عموماً مطلقاً، وأن العبـادة المطلوبة شـرعاً، هي نفس توحيد العبـادة؛ ودل كلام ابن القيم رحمه اللـــــه: أن توحيد العبــــادة، أعم من الإخلاص، حيث قال:

فلواحد كن واحـــداً في | أعــني سـبيل الحق
هذا وثاني نوعي التوحيد | حيد العبـــــادة منك
أن لا تكون لغـيره عبـداَ | تعبد بغــير شــريعة
فتقوم بالإسلام والإيمان | ـــــإحسان في سر
والصـدق والإخلاص ركنا | ــــوحيد كــالركنين

إلى أن قال:

وحقيقة الإخلاص توحيد | د فلا يزاحمه مـــراد
والصــــدق توحيد الإرادة | ل الجهد لا كسـلاً ولا
والسـنة المثلى لسـالكها | حيد الطريق الأعظم

فقوله رحمه الله: والصـدق، والإخلاص، ركنا ذلك التوحيـد، جعل الإخلاص، أحد ركني العبادة، والصدق ركنه

(ص296) الآخر، وفسر الصدق بما ذكـر؛ وقـال في بعض كلامه: ومقام الصدق، جامع للإخلاص؛ فعرفنا رحمه اللـه: أن توحيد العبـــادة، أعم من الإخلاص، ولم يـــذكر إلا عمومـــاً مطلقـاً؛ وأما العمـوم الـوجهي، فالظـاهر، أن المـراد بـه: إذا كان أحد الشـيئين أعم من وجـه، وأخص من وجـه؛ والعمـوم الـــذي بين مطلق العبـــادة، وبين توحيد العبـــادة، والإخلاص، مطلق، لا وجهي

وأما الإله، فهو: الـذي تألهه القلـوب، بالمحبـة، والخضـوع، والخـــوف، والرجـــاء؛ وتوابع ذلـــك، من: الرغبـــة، والرهبـــة، والتوكـل، والإسـتغاثة، والـدعاء، والـذبح، والنـذر، والسـجود؛ وجميع أنـواع العبـادة: الظـاهرة والباطنـة؛ فهو إلـه، بمعـنى: مألوه؛ أي: معبود؛ وأجمع أهل اللغة: أن هذا معنى الإله، قال الجوهري: أله بالفتح، إلهة، أي عبد عبادة، قـال: ومنه قولنـا: الله، وأصـله؛ إلـه، على فعـال، بمعـنى مفعـول، لأنه مـألوه، بمعنى معبود، كقولنا: إمام، فعال؛ بمعنى: مفعول، لأنه مؤتم به؛ قال، والتأليه، التعبيد؛ والتأله: التنسك، والتعبد؛ قال رؤبة

سبحن واسترجعن من تأله.......................... انتهى

وقال في القاموس: أله، إلهة، وألوهة، عبد، عبـادة؛ ومنـه: لفظ الجلالـة؛ واختلف فيـه، على عشـرين قـولاً؛ يعـني في لفظ: الجلالة؛ قال، وأصله: إله، بمعنى: مألوه؛

(ص297) وكل ما اتخذ معبـــوداً، أله عند متخـــذه؛ قـــال، والتألـــه: التنســـك، والتعبـــد، انتهى؛ وجميع العلمـــاء، من: المفسـرين، وشـراح الحـديث، والفقـه، وغـيرهم، يفسـرون: الإلـــــه، بأنـــــه: المعبـــــود.وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن الإلـه، هو القـادر على الاخـتراع؛ وهـذه زلة عظيمة، وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقـل، تـبين له بطلانه؛ وكأن هـذا القائـل، لم يستحضر ما حكـاه الله عن المشـــركين، في مواضع من كتابـــه؛ ولم يعلم أن مشـــركي

العرب، وغيرهم، يقرون بأن اللـه، هو القـادر على الاخـتراع، وهم مع ذلك مشركون؛ ومن أبعد الأشـياء: أن عـاقلاً يمتنـع، من التلفظ بكلمة يقر بمعناها، ويعترف به، ليلاً ونهاراً، سـراً وجهاراً؛ هذا ما لا يفعله، من له أدنى مسكة من عقل

قال أبو العباس، رحمه الله تعالى: ليس المـراد بالإلـه، هو القادر على الاخــتراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الألوهيـة، هي القـدرة على الاخـتراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع، دون غـيره، فقد شـهد: ألا إله إلا الله؛ فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد؛ كما قــال تعــالى: (ولئن ســألتهم من خلق الســموات والأرض ليقـولن اللـه) [الزمـر: 38] وقـال تعـالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل

(ص298) أفلا تذكرون) الآيات [المؤمنـون: 84-89]وقـال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشـركون) [يوسـف: 106]

قال ابن عبـاس: تسـألهم، من خلق السـماوات والأرض ؟ فيقولون: الله؛ وهم مع هذا، يعبدون غيره.

وهـــذا التوحيـــد، من التوحيد الـــواجب، لكن لا يحصل به الـواجب، ولا يخلص بمجـرده عن الإشـراك، الـذي هو أكـبر الكبائر، الذي لا يغفره الله؛ بل: لابد أن يخلص لله الدين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه لله، والإله، هو: المألوه، الـذي تألهه القلوب؛ فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى أله؛ انتهى.

وقد دل: صريح القرآن، على معنى الإله، وأنه هو المعبود، كما في قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى بـراء مما تعبـدون، إلا الـذي فطـرنى فإنه سـيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبـه) [الزخـرف: 26-28] قـال المفسـرون: هى كلمة التوحيد، لا إله إلا الله (باقية في عقبه) أى: ذريته؛ قـال قتادة، لا يزال في ذريتـه، من يعبد اللـه، ويوحـده؛ والمعـنى: جعل هذه الموالاة، والبراءة من كل معبود سواء، كلمة باقية في ذرية إبــراهيم، يتوارثها الأنبيــاء، وأتبــاعهم، بعضــهم عن بعض، وهى كلمــة: لا إله إلا اللــه. فتــبين: أن مــوالاة الله

بعبادته، والبراءة من كل معبود سواه، هو معنى: لا إله إلا الله، إذا تبين ذلك، فمن صرف لغير الله شيئا، من أنواع العبادة، المتقدم تعريفها، كالحب،

(ص299) والتعظيم، والخوف، والرجاء، والدعاء، والتوكل، والذبح، والنذر، وغير ذلك، فقد عبد ذلك الغير، واتخذه إلها، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فر من تسمية فعله ذلك تألها، وعبادة وشركا؛ ومعلوم عند كل عاقل: أن حقائق الأشياء، لا تتغير بتغير أسمائها؛ فلو سمى: الزنا، والربا، والخمر، بغير أسمائها، لم يخرجها تغيير الاسم، عن كونها: زنا، وربا، وخمرا، ونحو ذلك.

ومن المعلوم: أن الشرك، إنما حرم لقبحه في نفسه، وكونه متضمناً مسبة الرب، وتنقصه، وتشبيهه بالمخلوقين، فلا تزول هذه المفاسد، بتغيير اسمه، كتسميته: توسلا، وتشفعا، وتعظيما للصالحين، وتوقيرا لهم، ونحو ذلك؛ فالمشرك: مشرك، شاء أم أبي؛ كما أن الزانى: زان، شاء أم أبى؛ والمرابى: مراب، شاء أم أبي.

وقد أخبر النبي أن طائفة من أمته: يستحلون الربا، باسم البيع؛ ويستحلون الخمر، باسم آخر غير اسمها، وذمهم على ذلك؛ فلو كان الحكم: دائرا مع الاسم، لا مع الحقيقة، لم يستحقوا الذم؛ وهذه: من أعظم مكائد الشيطان لبنى أدم، قديما وحديثا؛ أخرج لهم الشرك، في قالب تعظيم الصالحين، وتوقيرهم؛ وغير اسمه بتسميته إياه: توسلا، وتشفعا، ونحو ذلك؛ والله الهادى إلى سواء السبيل.

وأما: تعريف الطاغوت؛ فهو مشتق من طغا، وتقديره

(ص300) طغوت، ثم قلبت الواو ألفاً، قال النحويون، وزنه: فعلوت، والتاء زائدة؛ قال الواحدى: قال جميع أهل اللغة، الطاغوت: كل ما عبد من دون الله، يكون واحداً، وجمعاً، ويذكر، ويؤنث؛ قال تعالى: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) [النساء: 60] فهذا في الواحد، وقال تعالى في الجمع: (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) [البقرة: 257]

وقال في المؤنث: (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) [الزمر: 17] قال: ومثله: في أسماء الفلك، يكون واحداً، وجمعاً، ومذكراً ومؤنثاً؛ قال: قال الليث، وأبو عبيدة، والكسائى، وجماهير أهل اللغة، الطاغوت: كل ما عبد من دون الله؛ وقال الجوهرى، الطاغوت: الكاهن، والشيطان، وكل رأس في الضلال؛ وقال مالك، وغير واحد من السلف، والخلف: كل ما عبد من دون الله، فهو طاغوت.

وقال: عمر بن الخطاب، وابن عباس رضى الله عنهما، وكثير من المفسرين، الطاغوت: الشيطان؛ قال: ابن كثير، وهو قول قوى جداً، فإنه يشمل: كل ما عليه أهل الجاهلية، من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها؛ وقال الواحدى، عند قول الله تعالى: (يؤمنون بالجبت والطاغوت) [النساء: 51] كل معبود من دون الله، فهو

(ص301) جبت، وطاغوت؛ قال ابن عباس في رواية عطية ـ الجبت: الأصنام؛ والطاغوت: تراجمة الأصنام، الذين يكونون بين أيديهم، يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس؛ وقال ـ في رواية أيديهم، يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس؛ وقال ــ في واية الوالبي ــ: الجبت الكاهن، والطاغوت الساحر؛ وقال بعض السلف ـ في قوله سبحانه: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) [النساء: 60] ـ إنه كعب بن الأشرف؛ وقال بعضهم: حيي بن أخطب، وإنما استحقا هذا الاسم، لكونهما من رؤساء الضلال، ولإفراطهما في الطغيان، وإغوائهما الناس، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله، فكل من كان بهذه الصفة، فهو طاغوت، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ([النساء: 60] لما ذكر ما قيل: إنها نزلت في من طلب التحاكم، إلى كعب بن الأشرف، أو إلى حاكم الجاهلية، وغير ذلك، قال: والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل؛ وهو المراد بالطاغوت ههنا.

فتحصل من مجمـــــوع كلامهم رحمهم اللـــــه: أن اسم الطـاغوت، يشـمل كل معبـود من دون اللـه، وكل رأس في الضلال، يدعو إلى الباطل، ويحسـنه؛ ويشـمل أيضـاً: كل من نصبه الناس، للحكم بينهم، بأحكام الجاهليـة، المضـادة لحكم اللـه، ورسـوله؛ ويشـمل أيضـاً: الكـاهن، والسـاحر، وسـدنة الأوثان، الداعين إلى عبادة المقبورين، وغيرهم، بما

(ص302) يكـــذبون من الحكايـــات المضـــلة للجهـــال، الموهمـة: أن المقبـور، ونحـوه، يقضى حاجة من توجه إليـه، وقصـده، وأنه فعـل: كـذا وكـذا، مما هو كـذب، أو من فعل الشياطين، ليوهموا الناس، أن المقبور، ونحـوه يقضى حاجة من قصـده، فيوقعـوهم في الشـرك الأكـبر، وتوابعـه؛ وأصل هذه الأنواع كلها، وأعظمها: الشيطان؛ فهو: الطاغوت الأكبر؛ والله سبحانه وتعالى أعلم.

(ص303) وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـالمين، وصـلى الله على محمـد، وآلـه، وصحبه، الطيبين الطـاهرين؛ أما بعـد: فقد ورد علينا رسـالة، من شيخنا العلامة، الشيخ: عبد الرحمن بن حسن، متعنا الله بوجـوده، متضـمنة للإفـادة، أخرجها مخـرج السـؤال، بقولـه: عرفونا، ما معـنى: العبـادة ؟ ويكـون التعريف جامعـاً مانعـاً، وكذلك الإله المنفى، بكلمة الإخلاص، والإلهية المثبتـة، للحق سبحانه وتعالى ؟

فـالجواب، وبالله التوفيـق: أما تعريف العبـادة، فقد عرفها شيخنا: محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، في فوائـده، على كتابه: كتاب التوحيد، بأن العبادة، هى التوحيد؛ لأن الخصـومة فيه، وأن من لم يأت به، لم يعبد الله، فدل: على أن التجـرد من الشرك، لابد منه في العبادة، وإلا فلا يسمى عبادة.

وقال الشيخ تقى الدين، العبـادة: اسم جـامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأفعال؛ فهى الغاية

(ص304) المحبوبة له تعـالى، وبها أرسل الرسـل، وأنـزل الكتب؛ كما قـال نـوح عليه السـلام، لقومـه: (اعبـدوا الله

مالكم من إله غيره) [المؤمنون: 32] وكذلك: هـود، وصـالح؛ وذلك: أن الإله، يطلق على كل معبـود بحـق، وباطـل؛ والإله الحق، هو اللـه؛ قـال الله تعـالى: (فـاعلم أنه لا إله إلا اللـه) [محمد: 19].

ويسمى هذا النـوع: توحيد الإلهيـة، لأنه مبـنى على إخلاص التألـه، وهـو: أشد المحبة لله وحـده، لا شـريك لـه؛ وذلك يستلزم إخلاص العبادة، وتوحيد العبـادة، وتوحيد الإرادة، لأنه مبـنى على إرادة وجه الله بالأعمـال، وتوحيد القصـد، لأنه مبـنى على إخلاص القصـد، المسـتلزم لإخلاص العبـادة لله وحده؛ قـال الله تعـالى: (فاعبد الله مخلصا له الـدين، ألا لله الدين الخالص) [الزمر: 2، 3].

فالموحد: من جمع قلبـه، ولسـانه، مخلصا لله تعـالى، في الإلهية، المقتضية لعبادته، بمحبته، وخوفه، ورجائـه، ودعائـه، والاستغاثة به، والتوكل عليه، وحصر الدعاء، بما لا يقدر على جلبه، أو دفعه، إلا الله وحده؛ والمـوالاة في ذلـك، والمعـاداة فيه، وامتثال أمره، نـاظرا إلى حق الخـالق، والمخلـوق، من الأنبيـاء، والأوليـاء، ممـيزاً بين الحقين؛ وذلك واجب في علم القلب، وشهادته، وذكره، ومعرفته،

(ص305) ومحبته؛ وموالاته، وطاعته، وهذا من تحقيق " لا إله إلا الله ".

لأن معـنى: "الإلـه" عند الأولين، ما تألهه القلـوب، بالمحبة التى كحب الله، والتعظيم، والإجلال، والخضوع؛ قـال تعـالى: (ومن النـاس من يتخذ من دون الله أنـداداً يحبـونهم كحب الله) الآية [البقرة: 165] فالمحبة التى لله، غير المحبة التى مع الله، قال الله تعالى، عن الكفار: (تالله إن كنا لفى ضلال مبين، إذ نسويكم برب العالمين) [الشعراء: 98: 97].

فمعـنى شـهادة: ألا إله إلا اللـه، أن يقولهـا، نافيـاً قلبه ولسـانه، الإلهية عن كل ما سـواه، ومثبتها لمسـتحقها، وهو الله المعبـود بـالحق، فيكـون معرضا بقلبـه، عن جميع المخلوقات، لا يتألههم فيما لا يقـدر عليه إلا اللـه، مقبلا على عبـادة رب الأرض والسـماوات، وذلك يتضـمن، إرادة القلب

في عبادته ومعاملتــــه، ومفارقته في ذلك كل ما ســــواه؛ فيكون: مفرقاً في علمه وقصده وشهادته وإرادتـه، ومعرفته ومحبتـه، بين الخـالق والمخلـوق، بحيث يكـون عالمـاً باللـه، ذاكرا له، عارقاً به؛ وأنه تعـالى مبـاين لخلقـه، منفـرد عنهم، بعبادته، وأفعاله، وصفاته؛ ويكـون محبـاً لـه، مسـتعيناً بـه، لا بغيره، متوكلا عليه، لا على غيره.

وهذا هو معنى: (إياك نعبد وإياك نستعين) [الفتحة: 5]

(ص306) وهى من خصــــائص الإلهيــــة، كما أن رحمته لعبيده، وهدايته إياهم، وخلقه السماوات والأرض، وما فيهما، من الآيات من خصائص الربوبية، التى يشـترك في معرفتهـا: المـؤمن، والكـافر، والـبر، والفـاجر، حـتى إبليس لعنه اللـه، معــترف بها في قولــه: (رب بما أغويتــنى) [الحجــر: 39] وقوله: (أنظرنى إلى يوم يبعثـون) [الأعـراف: 14] مقر بـأن كل شئ في يــده ســبحانه، وإنما كفر بعنــاده، وتكــبره عن الحــق، وطعنه فيـه، وكـذلك المشـركون الأولـون، يعرفـون ربوبيتــه، وهم بها له معــترفون، كما ذكر الله ذلك عنهم، في قوله تعــالى: (قل من يــرزقكم من الســماء والأرض) الآية [يونس: 31] وغيرها من الآيات؛ وكما يقولون في تلبيتهم: لا شريك لك، إلا شريك هو لك.

فمن تـرك التوحيـد، وارتكب ضـده، من الإقبـال إلى غـير الله، بالتوكل عليه، ورجائه، فيما لا يمكن إلا من اللــه، والتجأ إلى ذلك الغـير، مقبلاً عليه بقلبـه، طالبـاً شـفاعته، متـوكلاً عليه، راغباً إليه فيها، تاركـاً ما هو المطلـوب المتعين عليـه، متعلقاً على المخلوق لأجله، فإن هذا بعينه، فعل المشركين، واعتقـادهم؛ ولا نشـأت فتنة في الوجـود، إلا بهـذا الاعتقـاد، فصار شقياً، بالإرادة الكونية.

والإرادة الدينيــــة: أصل في إيجــــاد المخلــــوق، والإرادة الكونية: أصل فيمن كتبت عليه الشقاوة، فلا ييسر إلا لها،

(ص307) ولا يعمل إلا بهــا، قــال تعــالى: (ولا يزالــون مختلفين، إلا من رحم ربك ولــذلك خلقهم) [هـــود: 118، 119] فهي: الإرادة الكونية، وهي لا تعـارض الإرادة الدينيـة،

التي هي أصل إيجاد المخلوقات، فمن ذلك قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـــــدون) [الــــذريات: 56] فقد يعبدون، وقد لا يعبدون؛ وقوله: "اعملوا فكل ميسر لما خلق لــه" وكما في حــديث القبضــتين؛ فبهــذا يتــبين الفــرق، بين الإرادة الكونية، والإرادة الدينية.

وأما تعريف الشرك، وأنواعه، فقد عرفه، شــيخنا، الشــيخ: محمد بن عبد الوهــاب، رحمه اللـــه، في: كتــاب التوحيــد، خصوصــاً: الشــرك في العبــادة، وأقســامه وجليــه، وخفيــه، وأكبره وأصغره، خصوصاً: الشرك في العبادة، مما عساك لا تجده مجموعاً في غيره، من الكتب المطولات؛ فإن الإيمــان النافع، لا يوجد إلا بترك الشرك مطلقاً.

وأما أنواعــه، فمنهــا: الشــرك في الربوبيــة، وهــو: نوعــان، شرك التعطيل، كشرك فرعون؛ وشرك الــذي حــاج إبــراهيم في ربه؛ ومنه شرك طائفة ابن عربي، ومنه شرك من عطل أســماء الــرب ســبحانه، وأوصــافه، من غلاة الجهميــة، ومنــه: شرك من جعل مع الله إلهاً آخر، ولم يعطل ربوبيته كشــرك النصارى، الذين جعلوه ثالث ثلاثة.

النوع الثاني: الشرك في أسمائه، وصفاته؛ ومنه تشبيه

(ص308) الخالق بالمخلوق، كمن يقــول: يــد، كيــدي؛ وهو شرك المشبهة.

والنوع الثالث: الشرك في توحيد الإلهية، والعبادة؛ كالرياء، والسمعة، والعمل لأجل النــاس؛ وقد قــال شــيخنا: محمد بن عبد الوهــاب، رحمه اللـــه: إن الشـــرك الأصـــغر، أكـــبر من الكبــائر؛ ومنه الشـــرك في الألفــاظ، كقــول: ما شــاء الله وشئت، ونحوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الشرك نوعان، أكبر، وأصـغر؛ فمن خلص منهمــا، وجبت له الجنــة؛ ومن مــات على الأكــبر، وجبت له النـــــار؛ ومن خلص من الأكـــــبر، وحصل له بعض الأصــغر، مع حســنات راجحــة، دخل الجنــة؛ ومن خلص من الأكبر، لكن كثر الأصغر، حتى رجحت به ســيئاته، دخل النــار؛ وذلك على سبيل الإشارة، والإختصار؛ والله أعلم.

وأجاب أيضاً:
وقولك: هل تعريف العبادة، تعريف العبودية ؟ المـراد: هل معناهما واحد ؟. فالعبادة: أخص من العبودية، واسم
(ص309) العبودية عـام؛ قـال ابن القيم، رحمه اللـه، في: المدارج؛ العبودية: نوعان، عامة، وخاصة.
فالعبودية العامـــة: عبودية أهل الســـماء والأرض، كلهم مؤمنهم، وكافرهم، وبـرهم، وفـاجرهم، وهي: عبودية القهـر، والملك، قـال تعـالى: (إن كل من في السـموات والأرض إلا آتِ الـرحمن عبـداً [مـريم: 93] فهـذا يـدخل فيه مـؤمنهم، وكافرهم.
وأما النــوع الثــاني: فعبودية الطاعــة، والمحبــة، واتبــاع الأوامر، قال تعـالى: (يا عبـاد لا خـوف عليكم اليـوم ولا أنتم تحزنون) [الزخرف: 68] (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) [الفرقان: 63].
وسئل أيضاً: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، عن قول من يقول: إن الأمر بعبادة الله وحده، لا يفيد النهي عن الشرك، بل لابد من النهي عن الشرك ؟
فأجاب: قول الجاهل، الكاذب على الله، الهاضم لكلام الله عما أريد منه، من قولـه: إن الأمر بعبـاده الله وحـده، لا يفيد النهي عن الشـــرك، بل لابد من النهي عن الشـــرك، فهـــذا مخطئ ضال، والوعيد الشديد فيمن قال في القـرآن برأيـه، ولو أصـــاب؛ فكيف بمن قـــال برأيه وأخطأ ! وقد قـــال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من الأمر بالعبادة،
(ص310) فمعناها التوحيـد؛ وعلى هـذا جميع المفسـرين، والعلماء.
فعلى قول هـذا الجاهـل: إن قوله سـبحانه: (اعبـدوا ربكم الذي خلقكم) [البقرة: 21] وقوله: (إياك نعبد) [الفاتحـة: 5] وقولــه: (وأنا ربكم فاعبــدون) [الأنبيــاء: 92] وقولــه: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبــدون) [الــذاريات: 56] وقولــه: (فإياي فاعبـدون) [العنكبـوت: 56] ونحو ذلـك، لا يفيد النهي عن الشرك؛ فـإذا كـانت العبـادة المـأمور بهـا، هي التوحيـد؛

والتوحيد، هو إفراد الله بالإلهية، ونفيها عمن سواه، وهو معنى: لا إله إلا الله؛ التي حقيقتها: إثبات العبادة لله وحده، ونفي الشركة عن الله سبحانه فيها، وهذا أمر واضح، وما يحتاج إلى إيضاح، فقد تبين بطلان قوله بما ذكرناه.

وسئل عن معنى: لا إله إلا الله ؟ وما تنفي، وما تثبت ؟

فأجاب رحمه الله: أول واجب على الإنسان: معرفة معنى هذه الكلمة، قال الله تعالى، لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاعلم أنه لا إله إلا الله) [محمد: 19] وقال: (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) أى بلا إله إلا الله (وهم يعلمون) [الزخرف: 86] بقلوبهم، ما شهدوا به بألسنتهم؛ فأفرض الفرائض: معرفة معنى هذه الكلمة؛ ثم التلفظ بها والعمل بمقتضاها؛ فالإله، هو المعبود؛ والتأله التعبد، ومعناها: لا معبود إلا الله؛ نفت الإلهية عمن سوى الله،

(ص311) وأثبتها لله وحده.

فإذا عرفت: أن الإله، هو المعبود، والإلهية، هي العبادة؛ والعبادة: اسم جامع، لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه، من الأقوال والأفعال؛ فالإله، هو المعبود المطاع؛ فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله، فهو مشرك، وذلك، كالسجود، والدعاء، والذبح، والنذر؛ كذلك: التوكل، والخوف، والرجاء، وغير ذلك من أنواع العبادة، الظاهرة، والباطنة، وإفراد الله سبحانه بالعبادة، ونفيها عمن سواه، هو حقيقة التوحيد، وهو معنى: لا إله إلا الله.

فمن قال: لا إله إلا الله، بصدق، ويقين، أخرجت من قلبه: كل ما سوى الله، محبة وتعظيماً؛ وإجلالاً، ومهابة، وخشية، وتوكلاً؛ فلا يصير في قلبه، محبة لما يكرهه الله، ولا كراهة لما يحبه، وهذا حقيقة الإخلاص، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم " من قال لا إله إلا الله، مخلصاً من قلبه، دخل الجنة، أو حرم الله عليه النار ".

قيل للحسن البصري: إن ناساً، يقولون: من قال لا إله إلا الله، دخل الجنة، فقال، من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها،

وفرضـها... إلخ؛ وغـالب من يقـول لا إله إلا اللــه، إنما يقولها تقليداً، ولم يخالط الإيمان: بشاشة قلبه، فلا يعــرف الإخلاص فيهـا، ومن لا يعـرف ذلـك، يخشى عليه أن يصـرف عنها عند الموت، وغالب من يفتن في القبور،

(ص312) أمثال هؤلاء، كما في الحديث: " سمعت النـاس يقولون شـيئاً فقلته " نسـأل اللـه: أن يثبتنا وإيـاكم، بـالقول الثابت، في الحياة الدنيا، وفي الآخرة؛ والله أعلم.

وسئل: أيضاً، عن معـنى: لا إله إلا اللـه، وعمن قالهـا، ولم يكفر بما يعبد من دون اللـــه، وهل من قالهـــا، ودعا نبيـــاً، أو ولياً، تنفعه ؟ أو هو: مباح الدم، والمال، ولو قالها ؟

فأجـاب رحمه اللـه: معـنى "لا إله إلا الله " عند جميع أهل اللغـة، وعلمـاء التفسـير، والفقهـاء كلهم، يفسـرون: الإلـه، بالمعبود؛ والتأله: التعبد؛ وأما العبادة، فعرفها بعضـهم، بأنهـا: ما أمر به شرعاً، من غير اطـراد عـرفي، ولا اقتضـاء عقلي؛ والمأثور عن السلف، تفسير العبـادة، بالطاعـة، فيـدخل في ذلك فعل المـأمور، وتـرك المحظـور، من واجب ومنـدوب، وترك المنهى عنه، من محرم و مكروه.

فمن جعل: نوعـاً من أنـواع العبـادة، لغـير اللـه، كالـدعاء، والسجود، والذبح، والنذر، وغير ذلك، فهو مشــرك؛ ولا إله إلا الله: إثبات العبادة لله وحده، والبراءة من كل معبود ســواه؛ وهـذا معـنى: الكفر بما يعبد من دونـه؛ لأن معـنى الكفر بما يعبد من دونه، البراءة منه، اعتقاد بطلانه، وهذا معنى

الكفر بالطاغوت، في قوله تعالى: (فمن

(ص313) يكفر بالطـــاغوت ويـــؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) [البقرة: 256].

والطــاغوت: اسم لكل معبــود ســوى اللــه، كما في قوله تعــــالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رســـولاً أن اعبـــدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل: 36] وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحـديث الصـحيح " من قـال لا إله إلا اللـه، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله " فقولـــه: " وكفر بما يعبد من دون الله " الظـــاهر: أن هـــذا

زيادة إيضاح؛ لأن لا إله إلا الله، متضمنة الكفر بما يعبد من دون الله.

ومن قال: لا إله إلا الله , ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر , كدعاء الموتى , والغائبين , وسؤالهم قضاء الحاجات , وتفريج الكربات , والتقرب إليهم بالنذور , والذبائح , فهذا مشرك , شاء أم أبى؛ و(الله لا يغفر أن يشرك به) [النساء: 48] و(من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) [المائدة: 72] ومع هذا فهو شرك , ومن فعله, فهو كافر.

ولكن كما قال الشيخ: لا يقال فلان كافر , حتى يبين له ما جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم فإن أصر بعد البيان , حكم بكفره , وحل دمه , وماله؛ وقال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي: شرك (ويكون الدين كله لله) [الأنفال: 39] فإذا كان في بلد: وثن يعبد من دون الله, قوتلوا , لأجل هذا

(ص314) الوثن , أي لإزالته , وهدمه ,وترك الشرك , حتى يكون الدين كله لله.

والدعاء: دين سماه الله دينا , كما في قوله تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) [العنكبوت: 65] أي: الدعاء , وقال صلي الله عليه وسلم " بعثت بالسيف بين يدي الساعة , حتى يعبد الله وحده لا شريك له" فمتى كان شيء من العبادة مصروفا لغير الله , فالسيف مسلول عليه , والله أعلم.

وسئل الشيخ: عبد الله أبا بطين , عن إنكار النبي , على من قال: نستشفع بالله عليك.. الخ.

فقال: وما سألت عنه , من إنكار النبي صلي الله عليه وسلم على من قال: نستشفع بالله عليك , ولم ينكر قوله: نستشفع بك على الله , لأن معنى قوله: نستشفع بك على الله , أي: نطلب منك , أن تدعو الله أن يغيثنا؛ لأن الداعي: شافع؛ ومعنى: نستشفع بالله عليك , نطلب من الله: أن

يطلب منك , أن تــدعو لنا , وتستســقي لنــا؛ فالله ســبحانه يشفع إليه ولا يستشفع هو إلى أحد.
وأمــا: آخر الحــديث , الــذي أشــار عليه , بعد قولــه: "لا يستشــفع به على أحد , شــأن الله أعظم من ذلــك؛ إن الله على عرشه , وإن عرشه على ســـــماواته وأرضه , هكـــــذا بأصابعه , مثل القبة" وفي لفظ: " وإن عرشه فوق سماواته , وسماواته فوق
(ص315) أرضه ,هكذا " وقال بأصــابعه مثل القبــة؛ وقوله في الحديث الآخر: " إنه لا يستغاث بي " الحديث.
فكأن النبي صلي الله عليه وسلم أراد بهذا الحماية لجانب التوحيد , وإن كــانت الاســتغاثة بــالمخلوق , فيما يقــدر عليه جائزه , كقوله تعالى: (فاستغاثه الذي من شيعته على الــذي من عدوه) [القصــص: 15] وإذا أقبل عليك عــدو , واســتغثت بأصـــحابك , ليعينـــوك , فهـــذا: اســـتغاثة بهم , والاســـتغاثة بالمخلوق , فيما يقدر عليه , جائزة.
وســئل: أيضا , رحمه الله , عن ســؤال الله ,بحق الكعبة , وطوافي عليك يا رب؛ وبحق محمد , ومدينته , عليك يا رب؛ وبحق القـــــــرآن , عليك يا رب؛ وبحق جبرئيل , والملائكة , والجنة , والنار , والشمس , والقمر , والأقطاب , والأبــدال , والأوتاد , وغيرها؟
فأجاب: السؤال بهذه الأشياء , التي ذكرتم , باطل لا أصل له؛ والمشروع " إنما هو , سؤاله سبحانه , بأسمائه وصــفاته , كما في الأحاديث المشهورة؛ والله أعلم.
قــال الشــيخ: عبد اللطيف , بن عبد الــرحمن ,بن حسن , رحمه الله تعالى:
بسم الله الرحمن الرحيم
اعلم رحمك الله: أن الله خلق الخلق لعبادته؛ الجامعة
(ص316) لمعرفته , ومحبته , والخضـــوع له , وتعظيمه , والإنابة إليه , والتوكل عليه , وإســلام الوجه لــه؛ وهــذا , هو الإيمان المطلق , المــأمور به , في جميع الكتب الســماوية , وسائر الرسالات النبوية , ويدخل في باب معرفة الله تعالى:

توحيد الأسماء , والصفات , فيوصف سـبحانه , بما وصف به نفسه , من صفات الكمال , ونعـوت الجلال , وبما وصـفه به رسوله صلى الله عليه وسلم , لا يتجاوز ذلك , ولا يوصف إلا بما ثبت في الكتاب والسنة.

وجميع ما في الكتاب والسنة , يجب الإيمـان به , من غـير تحريف ولا تعطيل , ومن غـير تكـييف ولا تمثيـل؛ قـال الله تعالى " (ولله الأسماء الحسنى) [الأعـراف: 180] فأسـماؤه كلها حسـنى , لأنها تـدل على الكمـال المطلق , والجلال المطلق , والصـفات الجميلـة؛ فنثبت ما أثبته الـرب لنفسه , وما أثبته رسوله صلي الله عليه وسـلم , لا نعطله , ولا نلحد فيه , ولا نشبه صفات الخالق بصفات المخلوق؛ فـإن تعطيل الصفات , عما دلت عليه: كفر؛ والتشبيه فيها , كذلك: كفر.

وقد قـال مالك بن أنس , رحمه الله , لما سـأله رجل , فقال: (الرحمن على العرش استوى)[طـه: 5] كيف اسـتوى ؟ فاشـتد ذلك على مالك رحمه الله , حـتى علته الرحضـاء , إجلالا لله , وهيبة له , من الخـوض في ذلـك؛ ثم قـال رحمه اللـه: الاسـتواء معلـوم , والكيف غـير معقـول , والإيمـان به واجب , والسؤال عنه بدعة؛ يريد رحمه الله

(ص317) تعالى: السؤال عن الكيفية.

وهذا الجواب: يقال في جميع الصفات , لأنه يجمع الإثبـات والتنزيـه؛ ويـدخل في الإيمـان , بالله ومعرفته , الإيمـان بـه, وبربوبيته العامة ,الشـاملة , لجميع الخلق , والتكـوين , وقيوميته , العامة , الشـاملة , لجميع التـدبير , والتيسـير , والتمكين؛ فالمخلوقـات بأسـرها , مفتقـرة إلي الله , في قيامها , وبقائها , وحركاتها , وسـكناتها , وأرزاقها , وأفعالهـا؛ كما هي مفتقرة إليه , في خلقها , وإنشائها , وإبداعها , قـال تعـالى: (يا أيها النـاس أنتم الفقـراء إلي الله والله هو الغـني الحميد , إن يشأ يـذهبكم ويـأت بخلق جديد , وما ذلك على الله بعزيز) [فاطر: 15, 16, 17].

ويـدخل في الإيمـان به : إيمـان العبد بتوحيد الإلهية الـذي تضـمنته شـهادة الإخلاص: لا إله إلا اللـه؛ فقد تضـمنت: نفي

استحقاق العبادة , بجميع أنواعها , عما سواه تعالى , من كل مخلوق , ومربوب؛ وأثبت ذلك , على وجه الكمال الواجب , والمستحب , لله تعالى؛ فلا شريك له , في فرد من أفراد العبادة , إذ هو الإله الحق , المستحق , المستقل , بالربوبية , والملك , والعز , والغنى , والبقاء.

وما سواه: فقير مربوب: معبد خاضع , لا يملك لنفسه نفعا , ولا ضرا؛ فعبادة سواه , من أظلم الظلم , وأسفه السفه؛ والقرآن كله: راد على من أشرك بالله , في هذا التوحيد؛ مبطل لمذهب جميع أهل الشرك , والتنديد , آمر ,

(ص318) ومرغب في إسلام الوجه لله , والإنابة إليه , والتوكل عليه , والتبتل في عبادته , ومعنى العبادة , في أصل اللغة: لمطلق الذل , والخضوع؛ ومنه: طريق معبد , إذا كان مذللا , قد وطأته الأقدام , كما قال الشاعر:

تبارى عتاقا ناجيات واتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد

واستعملها الشارع , في العبادة: الجامعة لكمال المحبة , وكمال الذل والخضوع؛ وأوجب الإخلاص له فيها , كما قال تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين , ألا لله الدين الخالص) [الزمر: 2 ,3] وهذا: هو التوحيد , الذي جاءت به الرسل , ونزلت به الكتب؛ والعبادة إذا خالطها الشرك , أفسدها , وأبطلها؛ ولا تسمى عبادة , إلا مع التوحيد؛ قال ابن عباس: ما جاء في القرآن من الأمر بعبادة الله , إنما يراد به التوحيد , انتهى.

ويدخل في العبادة الشرعية , كل: ما شرعه الله , ورضيه, من الأقوال , والأعمال , الباطنة والظاهرة؛ كمحبة الله , وتعظيمه , وإجلاله , وطاعته , والتوكل عليه , والإنابة إليه , ودعائه , خوفا وطمعا , وسؤاله , رغبا , ورهبا, وصدق الحديث , وأداء الأمانة , والوفاء بالعهود , وصلة الأرحام , والإحسان على الجار , واليتيم , والمملوك , والمسكين , وابن السبيل , وكذا النحر , والنذر , فإنهما من أجل العبادات , وأفضل الطاعات , وكذا الطواف ببيته تعالى , وحلق الرأس , تعظيما وعبودية , وكذا سائر الواجبات ,

(ص319) والمستحبات.
فحق الله على العباد: أن يعبدوه , وحده لا شـريك له , ولا يشركوا به شيئا؛ والشرك في العبادة , ينـافي هـذا التوحيد , ويبطلـه؛ كما قـال تعـالى , لما ذكر حـال خـواص أوليائه , ومقربي رسله: (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عبـاده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) [الأنعام: 88]
والشـرك قد عرفه النـبي صـلى الله عليه وسـلم بتعريف جامع , كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه , أنه قـال: يا رسول الله , أي الـذنب أعظم ؟ قـال: " أن تجعل لله نـدا وهو خلقك " والند المثل , والشبيه.
فمن صرف شيئا , من العبـادات , لغـير الله , فقد أشـرك به شـــركا , يبطل التوحيد , وينافيه , لأنه شـــبه المخلـــوق بالخـالق , وجعله في مرتبته , ولهـذا كـان أكـبر الكبـائر على الإطلاق , ولما فيه من ســـوء الظن به تعـــالى , كما قـــال الخليل عليه الســـلام: (أئفكا آلهة دون الله تريـــدون , فما ظنكم برب العالمين) [الصافات: 86 ,87].
قـــــال: العلامة ابن القيم رحمه الله , أي: فما ظنكم أن يجـــازيكم إذا لقيتمـــوه , وقد عبـــدتم غـــيره ؟ وما ظننتم بأسمائه, وصفاته , وربوبيته من النقص , حتى أحـوجكم ذلك إلي عبودية غـــيره ؟ فلو ظننتم به ما هو أهله , من أنه بكل شـيء عليم , وعلى كل شـيء قـدير , وأنه غـني عن كل ما سـواه , وكل ما سـواه فقـير عليه , وأنه قـائم بالقسط على خلقه , وأنه المتفرد
(ص320) بتـدبير خلقه , لا يشـركه فيه غـيره , والعـالم بتفاصيل الأمـور , فلا تخفى عليه خافية من خلقه , والكـافي لهم وحده , لا يحتاج على معين؛ والـرحمن بذاته , فلا يحتـاج في رحمته على من يستعطفه.
وهـذا بخلاف الملـوك , وغـيرهم من الرؤسـاء , فـإنهم محتاجون: من يعـرفهم أحـوال الرعية , وحـوائجهم , والـذي يعينهم على قضـــاء حـــوائجهم , على من يســـترحمهم ,

ويستعطفهم بالشفاعة , فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم, وعجزهم , وضعفهم , وقصور علمهم.

فأما: القادر على كل شيء , الغني بذاته عن كل شيء , العالم بكل شيء , الرحمن الرحيم , الذي وسعت رحمته كل شيء , فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه , تنقص بحق ربوبيته , وإلهيته , وتوحيده , وظن به ظن السوء , وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده , ويمتنع في العقول والفطر , وقبحه: مستقر في العقول السليمة , فوق كل قبيح , انتهى.

إذا عرفت هذا: فصلاح العبد , وفلاحه , وسعادته , ونجاته , وسروره , ونعيمه , , وسعادته , ونجاته , في إفراد الله بهذه العبادات , والإنابة إليه بما شرعه لعباده , منها - وهو أصلها - كمال المحبة , وكمال الذل , والخضوع , كما تقدم؛ هذا: سر العبادة وروحها , ولابد في عبادة الله من كمال الحب , وكمال الخضوع , فأحب خلق الله إليه , وأقربهم منزلة عنده , من قام بهذه المحبة والعبودية , وأثنى عليه -سبحانه - بذكر أوصافه

(ص321) العلا , فمن أجل ذلك: كان الشرك أبغض الأشياء إليه , لأنه ينقص هذه المحبة , والخضوع , والإنابة , والتعظيم؛ ويجعل ذلك بينه , وبين من أشرك به.

والله لا يغفر أن يشرك به , لأنه يتضمن التسوية بينه تعالى, وبين غيره في المحبة والتعظيم , وغير ذلك من أنواع العبادة , قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين أمنوا أشد حبا لله) [البقرة: 165] أخبر سبحانه: أن من أحب شيئا من دون الله كما يحب الله , فقد اتخذه ندا , وهذا معنى قول المشركين لمعبوديهم: (تالله إن كنا لفي ضلال مبين , إذ نسويكم برب العالمين) [الشعراء: 97 ,98] فهذه تسوية في المحبة, والتأله , لا في الذات , والأفعال , والصفات؛ فمن صرف ذلك لغير إلهة الحق , فقد أعرض عنه , وأبق عن مالكه وسيده , فاستحق مقته وبغضه , وطرده عن دار كرامته , منزل أحبابه.

والمحبة: ثلاثة أنواع , محبة طبيعية , كمحبة الجائع للطعام , والظمآن للماء , وغير ذلك؛ وهذا لا يستلزم التعظيم؛ والنوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق , كمحبة الوالد لولده الطفل , ونحوها؛ وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم؛ والنوع الثالث: محبة أنس , وألفة؛ وهي محبة المشتركين في صناعة , أو علم , أو مرافقة , أو تجارة , أو سفر بعضهم لبعض؛ وكمحبة الإخوة بعضهم بعضا؛ فهذه المحبة: التي تصلح للخلق بعضهم من بعض؛ ووجودها فيهم , لا يكون

(ص322) شركا في محبة الله سبحانه؛ ولهذا كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل , وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد , وكان أحب اللحم إليه الذراع , وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحب نساءه وكانت عائشة أحبهن إليه , وكان يحب أصحابه, وأحبهم إليه الصديق.

وأما المحبة الخاصة , التي لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره , كان شركا , لا يغفره الله؛ فهي محبة العبودية , المستلزمة للذل , والخضوع , والتعظيم , وكمال الطاعة , وإيثاره على غيره؛ فهذه المحبة , لا يجوز تعليقها بغير الله أصلاً , وهي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها , وهي أول دعوة الرسل , وآخر كلام العبد المؤمن , الذي إذا مات عليها دخل الجنة , باعترافه , وإقراره بهذة المحبة , وإفراد الرب بها.

فهي أول ما يدخل به في الإسلام , وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى الله؛ وجميع الأعمال كالأدوات , والألات لها؛ وجميع المقامات وسائل إليها , وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل؛ فهي: قطب رحى السعادة , وروح الإيمان , وساق شجرة الإسلام , ولأجلها أنزل الله الكتاب , والحديد؛ فالكتاب هاد إليها ودال عليها , ومفصل لها؛ والحديد لمن خرج عنها , وأشرك مع الله غيره فيها ولأجلها خلقت الجنة والنار؛ فالجنة دار , أهلها الذين أخلصوها لله وحده , وأخلصهم لها؛ والنار دار من أشرك فيها

(ص323) مع الله غـيره , وسـوىٍ بينه وبين الله فيهـا؛ فالقيام بها واجب , علما وعملاً وحالاً؛ وتصحيحها هو تصـحيح شهادة أن لا إله إلا الله

فحقيق لمن نصح نفسـه، وأحب سـعادتها، ونجاتهـا: أن يتيقظ لهذه المسألة، وتكون أهم الأشياء عنده وأجل علومه، وأعماله، فإن الشأن كله فيها، والمدار عليها، والسـؤال عنها يـوم القيامـة؛ كما قـال تعـالى: (فو ربك لنسـألنهم أجمعين، عما كـانوا يعملـون) [الحجـر: 92، 93] قـال غـير واحد من السلف: عن قول لا إله إلا الله؛ وهذا حق؛ فـإن السـؤال كله عنها، وعن أحكامها وحقوقها؛ قال أبو العالية: كلمتـان يسـأل عنهما الأولـون والأخـرون: مـاذا كنتم تعبـدون ؟ مـاذا أجبتم المرسـلين ؟ فالسـؤال عما كـانوا يعبـدون: السـؤال عنها نفسـها، والسـؤال عما ذا أجـابوا المرسـلين: سـؤال عن الوسيلة والطريقة المؤدية، هل سلكوها، وأجـابوا الرسل لما دعوهم إليها، فعاد الأمر كله إليها.

وأمر هذا شأنه، حقيق أن تثنى عليه الخناصـر، ويعض عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب على فضـلة، بل يجعل هو المطلـوب الأعظم؛ وما سواه إنما يطلب على فضـلة، والله المسـؤول أن يمن علينا بتحقيق ذلك، علما وعملا وحـالاً؛ ونعـوذ بالله أن يكـون حظنا من ذلك، مجرد حكايته؛ وصلى الله على محمد.

(ص324) وسـئل أيضـاً الشـيخ: عبد اللطيف بن عبد الـرحمن، رحمهما الله تعـالى، عن تفصـيل ما يجب على الإنسان، من التوحيد وأنواعـه، وما يجب فيـه، من المعـاداة، والمـوالاة ؟ فأجـاب: معرفة التفاصـيل، تتوقف على معرفة الأحكام الشرعية، من أدلتها التفصـيلية؛ فالـدين كله توحيـد؛ لأن التوحيد إفراد الله بالعبادة، وأن تعبده مخلصاً له الـدين؛ والعبادة: اسم جامع، لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقـوال والأعمال، الظاهرة والباطنـة؛ فيـدخل في ذلك قـول القلب، وعمله؛ وقول اللسان، وعمل الجوارح؛ وتـرك المحظـورات، والمنهيـات، داخل في مسـمى العبـادة؛ ولـذلك فسر قوله

تعالى: (يا أيها الناس اعبـدوا ربكم الـذي خلقكم والـذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة: 21] بالتوحيد في العبــادة، لأن الخصومة فيه، وهو تفسير ابن عباس.

إذا عرفت: هـذا، عـرفت: أن على العبـد، أن يخلص أقواله وأعماله للـــه، وأن من صـــرف شـــيئا من ذلك لغـــيره، فقد أشــرك في عبــادة ربــه؛ ونقص توحيــده وإيمانــه، وربما زال بالكلية، إذا اقتضى شركه التسوية بربه، والعدل به، وتضــمن مسبة الله؛ فإن الشرك الأكبر يتضـمنهما؛ ولهـذا يـنزه الـرب تعـــالى، ويقـــدس نفسه عن ذلك الشـــرك، في مواضع من كتابــه؛ كقوله تعـالى: (ســبحان الله وتعـالى عما يشــركون) [القصص: 68] (سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسـلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين)

(ص325) [الصـافات: 180ـ: 182] (وسـبحان الله وما أنا من المشـــركين) [يوســـف: 108] ومحل تفاصـــيلها الكتب المصنفة، في بيان الأحكام الشرعية، وواجباتها، ومستحباتها؛ سواء كانت في معرفة القلوب، وعلمهــا، أو عملها وســيرها؛ فـــالأول: العقائـــد؛ وهى: التوحيد العلمى؛ وقد صـــنف أهل السـنة فيها مصـنفات، من أحسـنها: كتب شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمة اللـــه؛ وأما الثـــانى، وهو علم أعمـــال القلـــوب وسيرها، المسمى: علم السـلوك؛ فقد بسط القـول فيه ابن القيم رحمه الله تعــالى، في شــرح: المنــازل؛ وفى: ســفر الهجرتين؛ وأما أعمـال الجـوارح الظـاهرة، فالمصـنفات فيها أكثر من أن تحصر؛ وبالجملة: فمعرفة جميع تفاصيل العبـادة تتعـــذر؛ إذ ما من عـــالم إلا وفوقه من هو أعلم منـــه، حـــتى ينتهى العلم إلى الله تعالى.

وأما المـوالاة، والمعـاداة، فهى من أوجب الواجبـات؛ وفى الحـديث " أوثق عـرى الإيمـان: الحب في اللـه، والبغض في الله " وأصل الموالاة: الحب؛ وأصل المعاداة: البغض؛ وينشأ عنهما من أعمـال القلـوب، والجـوارح، ما يـدخل في حقيقة الموالاة، والمعاداة؛ كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهــاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال؛ والولي ضد العدو.

وسئل أيضاً الشيخ: عبد اللطيف، عن معنى: لا إله إلا الله، فأجاب:

(ص326) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى؛ وبعد: فقد خاض بعض الجاهلين، في معنى كلمة الإخلاص، وإعرابها، وأتى بخلط، وجهل، لا يسع السكوت عليه؛ فنقول: اعلم أن لا إله إلا الله، هى كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وأصل دين الإسلام، ومفتاح دار السلام؛ قد دلت بمنطوقها، وموضوعها، على نفى استحقاق الإلهية عن غيره تعالى، والبراءة من كل معبود سواه، قولا وفعلا، وإثبات استحقاق الإلهية على وجه الكمال لله تعالى.

فالأول: وهو النفى، يستفاد من: لا، واسمها، وخبرها المقدر؛ والإثبات: يستفاد من الاستثناء؛ لأن الإثبات بعد النفى المتقدم، أبلغ من الإثبات بدونه، وهذه طريقة القرآن، يقرن بين النفى والإثبات غالباً، كما في هذا الموضع، لأن المقصود لا يحصل إلا بهما، قال تعالى: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) [البقرة: 256] وقال: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل: 36] وقال: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) [الإسراء: 23] وقال: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ألا تعبدوا إلا الله) [هود: 1، 2] وقال عن نبيه يوسف: (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) [يوسف: 40] وهذا هو معنى: لا إله إلا الله.

(ص327) قال ابن القيم رحمه الله: وطريقة القرآن في مثل هذا، أن يقرن النفى بالإثبات، فينفى عبادة ما سوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد؛ والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد، إلا متضمناً للنفى والإثبات، وهذا حقيقة لا إله إلا الله، انتهى.

ولذلك أفادت هذه الكلمة، الحصر، والاختصاص؛ وقرر بعض المحققين، لهذه الكلمة الطيبة، وما شابهها من الآيات، التى ابتدأت بنفى الإلهية والعبادة عن غير الله، أن ذلك أبلغ،

وآكد في الإثبات، والاختصـاص؛ ومنـه: لا رجل إلا زيـد، أو: لا كريم إلا زيد، فإنه مع إفادته نفي الصفة عن غير المسـتثنى، أفـاد إثباتها لـه، على وجه الكمـال، الـذي لا يتـأتى بمجـرد الإثبـات، من غـير نفي، فلا تفيـده: زيد رجـل؛ أو زيد كـريم؛ ولأن بين النفى والإثبـات هنا تلازم من كل وجـه، فلا بـراءة من الشـرك وعبـادة غـير الله إلا بتوحيـده، ولا توحيد إلا بالبرءاة من كل معبود سوى الله، وكما تضـمنت العلم، فهي تتضـمن العمـل، ولا يتصـور وجـود شـهادة، وإذعـان وإتيـان بمدلولها إلا مع العلم والعمل، وهذا الذي قررنـاه، تـدل عليه عبارات أهل العلم، من اللغويين، والمفسرين وغيرهم.

والإله وضع لكل معبود، حقاً كان أو باطلاً، لأنه مشتق من: الإلهة، بمعنى: العبادة؛ قال في القـاموس: ألـه، يألـه، إلهـة، وألوهية: عبـد، يعبـد، عبـادة؛ وكل من عبد شـيئاً، فقد اتخـذه إلها، انتهى؛ وقال غيره: إله، اسم

(ص328) جنس، يقع على كل معبـود؛ والإلـه، بمعـنى المألوه، كالكتاب بمعنى المكتوب ـ قال شيخ الإسلام: الإلـه، هو الذي تألهه القلوب، محبة، وذلا وإنابـة، وتعظيمـاً، وتـوكلا، وخوفاً، ورجاء؛ وكذا قال ابن القيم، وابن رجب، وغيرهما من أهل العلم؛ وبعد التعريف، والتفخيم، صار علماً على ربنا جل وعلا، قال سيبويه: هو أعرف المعارف؛ قـال تعـالى متمـدحاً بـذلك: (هل تعلم له سـمياً) [مـريم: 65] والـدليل على أنه بمعنى العبادة، قول رؤبة:

لله در الغانيات المُدّهِ سبحن واسترجعن من تأله

يعنى تعبد، وقـرأ ابن عبـاس (ويـذرك وإلهتـك) [الأعـراف: 127] أى: عبادتـك، وزنا ومعـنى؛ وأما التعبيـد، فهو في الأصل: التذليل، كما قال الشاعر:

تبارى عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد

والمور المعبد، هو: الطريق المـذلل؛ وفى الاصـطلاح، هى أخص، لأنه لا بد فيها من وجـود الـركن الأعظم، وهو الحب، قال في الكافية: ـ

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان

والقطب، الأس، الذي عليه المدار؛ وبهذا يتبين أن المقصود: نفى استحقاق العبادة عن غيره تعالى، لا نفى وجود التأله والتعبد لسواه؛ فإن نفى وجوده مكابرة للحس والنص، قال تعالى: (واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم
(ص329) عزاً) [مريم: 81] وقال: (أئفكا آلهة دون الله تريدون) [الصافات: 86] وقال عن صاحب يس: (ءأتخذ من دونه آلهة) [يس: 23] فسمى معبوداتهم على اختلاف أجناسها آلهة، وعبادة غير الله وجدت وانتشرت، واشتهرت في الأرض، من عهد قوم نوح؛ وقد تقدم: أن من عبد شيئا، فقد اتخذه إلها؛ ويدل عليه، قوله تعالى: (قل يا أيها الكافرون)[الكافرون: 1]

وقد غلط هنا بعض الأغبياء، وقدر الخبر : " موجود " وبعضهم قدره: " ممكن" ومعناه: أنه لا يوجد، ولا يمكن، وجود إله آخر؛ وهذا جهل بمعنى: الإله؛ ولو أريد بهذا الاسم: الإله الحق وحده، لما صح النفي من أول وهلة، والصواب: أن يقدر الخبر: " حق" لأن النزاع بين الرسل وقومهم، في كون آلهتهم حقاً، أو باطلاً؛ قال تعالى: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) [سبأ: 24] وأما إلهية الله: فلا نزاع فيها، ولم ينفها أحد ممن يعترف بالربوبية.

لكن زعموا: أن إلهية أندادهم، وأصنامهم، حق أيضاً، ولذلك: قالت لهم رسلهم (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) [الأعراف: 59، 65، 73، 85] وبادر منهم من جحد ذلك بقوله: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) [ص: 5] لما دعى إلى هذه الكلمة، فأنكروا إبطال عبادتها، المستلزم لإبطال تسميتها، وهذا مستفيض عندهم، قد ارتاضت به
(ص330) ألسنتهم، لا يحتاجون فيه إلى موقف ومعلم، بل عرفوه بمجرد الوضع، قال أبو جهل لأبى طالب لما دعاه النبي إلى كلمة الإخلاص: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فعرف بعربيته: أنها تبطل عبادة وإلهية من عبده عبد

المطلب وقومـــــه، وهـــذا قصر إفــــراد، لا قصر قلب؛ لأن المقصود إفراده بالإلهية وإستحقاقها.

فيكون النفي على هـذا منصـباً على الخـبر، وهـو: " حق " المقدر، وتقديره: موجـود، أو ممكن: لا يفيد ما تقـدم، إلا إذا وصف الاسم بحق؛ وقيل: لا إله حق موجود، فحينئذ يسـتقيم الكلام، ويرجع إلى ما قلنا.

و" لا " هذه، هى: النافية للجنس، واسمها يبـنى معها على الفتح، على المشـهور، والخـبر ما مر تقريـره، و " إلا " أداء استثناء، وما بعدها هو المستثنى، وهو مرفوع، والعامل فيــه، هو العامل في الخـــبر؛ لأنه بـــدل منه عند البصـــريين، وعند الكوفيين: هو عطف نسق؛ قال ثعلب: كيف يكون بـــدلاً، وهو مـــوجب، ومتبوعه منفي، يريد أن التـــابع والمتبـــوع، لابد أن يتوافقا نفيـــاً وإثباتـــاً، وأجيب عنـــه، بأنه بـــدل منه في عمل العامـــل، وتخالفهما في النفي والإيجــــاب، لا يمنع البدليــــة؛ وأجاب: خالد الأزهرى، بأن محل اشتراط ذلك، في غير بـــدل البعض.

قلت: وبما قـالوه، يعلم: أن المسـتثنى مغـاير للمسـتثنى منه، معنى، ولفظاً؛ فمن أجهل خلق الله، وأضلهم من

(ص331) فهم: دخول المثبت في المنفي، والمستثنى في المستثنى منه؛ فكيف يتوهم من يعقل ما يقول، دخول: الإله الحق في اسـم: " لا " المنفي ؟! وهل بعد هـذا التـوهم من الضـلال، أمد ينتهى إليه ؟ وقد تـرد " إلا " بمعـنى: غـير، كما في قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) [الأنبياء: 22] وذلـك: إن كـان الموصـوف جمعـاً، أو شـبهه؛ ويؤيـده، حـديث الاسـتفتاح: " سـبحانك اللهم وبحمـدك...... ولا إله غيرك " وعاقبت "غير "، " إلا " في هـذا المحـل، وهى: تفيد مغايرة ما قبلها لما بعدها بالذات، كما إذا قلت: جـاءنى رجل غـير زيـد؛ وفى الصـفات، كقولـك: خـرجت بوجه غـير الـذي دخلت به.

إذا عـــرفت ذلـــك، فـــاعلم: أنه رفع إليَّ رســـالة، لرجل فارســى، تكلم فيها على معــنى: لا إله إلا اللــه، وأتى بخلط

وضلال، يخالف ما عليه أهل العلم، في هذا المقام؛ من ذلك: أنه افتتح رسالته بقوله: الحمد لله المتوحد بجميع الجهات؛ وهذه العبارة: دائرة بين أمرين، إما سوء المعتقد، والقول بأنه تعالى في كل مكان، كما هو قول أهل الحلول؛ وإما الجهل بالعربية، ومعانى الحروف؛ ولا يقال؛ إن "الباء" بمعنى "من " لأنها لا تنوب إلا عن " من " التبعيضية؛ ويشترط في نيابتها: أن تشرب معنى لا يستفاد من " من " وقد اجتمع الأمران، في قوله تعالى: (عينا يشرب بها عباد الله) [الإنسان: 6] وقول الشاعر:

(ص332) شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج ثم قال في رسالته: وبالله التمسك والاعتصام؛ والتمسك إنما يكون بدينه، وكتابه، وأمره؛ ولا يقال: تمسكت بالله، لأن التمسك بمعنى: الالتزام، والأخذ والثبات؛ ولا تليق هذه المعانى ههنا؛ وقال في رسالته: إن الإله وضع في اللغة للمعبود فقط، لا بقيد الحقيقة، أو البطلان؛ وهذه العبارة كذب على اللغة، فإن كتب اللغة بأجمعها، دلت، وقررت: أن الإله موضوع لكل معبود، وأدلة ذلك تعرف في مواضعها، فلا نطيل بذكرها.

وأيضاً: هذه العبارة فاسدة، من جهة المعنى، فإنه لا يتصور، ولا يوجد إله غير مقيد، ولا موصوف بحق أو باطل، هذا كلام لا يعقل، فكيف ينسب إلى اللغة، أو ينقل؛ فإن القسمة في مسمى الإله، ثنائية، إما حق، أو باطل؛ وتجويز الثالث، مستحيل عقلا وشرعا، ولا يقول هذه العبارة إلا مخبول في عقله، جاهل في حكايته، ونقله.

وقال في رسالته: إن الإله، في " لا إله إلا الله " واقع على الإله الحق؛ وسميت آلهة، باعتبار زعم من عبدها، وهذا منه جهل عريض، وظلمات مركبة، كيف يقع في ذهن من له أدنى تعقل وتفهم، تجويز ذلك، وأن الله ورسوله يسميها ألهة، باعتبار زعمهم، ويجاريهم في هذا الزعم، والتسمية، ثم يكفرهم بهذا، ويبيح دماءهم، وأموالهم،

(ص333) ونساءهم، لعباده المؤمنين؛ ويرتب على تركـه، والــبراءة منــه، ما رتبه من الإســلام والإيمــان، والأحكــام الدنيوية، والأخروية. ولو جارى قريشاً، وسماها أسماء تختص بالحق، لما حصل التوحيد، والإيمان، من مدلول هذه الكلمـة، ولما قالوا له: (أجعل الآلهة إلها واحــدا) [ص: 5] لأن المثبت عين المنفى، على زعم هــذا، وهو الإله الحــق؛ وهــذا تغيــير لــدين الإسـلام، وإلحـاد في معـنى كلمة الإخلاص، وتأييد لما زعمه عباد الأصنام، من أنها حق لا باطل (ولكن أكثر النــاس لا يعلمون) [يوسف: 40 والروم: 30].

ولذلك: راج بهرجه على جهلة المــدعين للطلب، أتبـاع كل ناعق، الذين لم يستضـيئوا بنـور العلم، ولم يلجـؤوا إلى ركن وثيق في المعتقــد، فــأى ريح هبت، مــالت بهم، وأى غــرض عــرض عصــفهم، فنعــوذ بالله من الحــور بعد الكــور، ومن الضلال بعد الهدى، ومن الغى بعد الرشاد.

ويــرده قوله تعـالى: (فـإنهم لا يكـذبونك ولكن الظـالمين بآيـات الله يجحــدون) [الأنعـام: 33] وقولــه: (وجحــدوا بها واســتيقنتها أنفســهم) الآية [النمــل: 14] فــإن فيهــا: أنهم يعرفـون بطلانهـا، ولا يعتقـدون في البـاطن أنها حـق، وهـذا يبطل قوله: سـميت آلهة باعتبـار اعتقـاد من عبـدها، ويبطل قوله: وأن العبادة لا تسمى عبادة، إلا مع اعتقـاد العابـد، أنها حق.

(ص334) وقال في رسالته: إن إله، وضع للمفهوم الكلي، يريد به تقرير ما مر من الباطــل، والكلي، هو الــذي لا يتقيد بـذات، ولا بصـفة؛ وهـذه قضـية كاذبـة، خاطئـة، لم يوضع إلا للجنس الشــايع في أفــراده، والمعــاني الكليــة، لا توجد إلا ذهنية، لا خارجيــة؛ ولــذلك: ضل من ضل من المتكلمين، في إثبات وجود الـرب، ووجـود ذاتـه، وقـال بنفى الصـفات، بنـاء على أن: الكلى لا يتقيــد، ولا يتخصص بصــفة من الصــفات، وهــذا من أكــبر قواعــدهم، وإفكهم، الــذي جر إليهم الكفر الجلي، وجحد ما في الكتــاب والســنة، من الصــفات. وكلام السلف: في تكفيرهم، وتضـليلهم، موجـود مشـهور، لا نطيل

بـــذكره، فمن أقل ما قيل فيهم، قـــول: محمد بن إدريس، الشـــــافعى، حكمى في أهل الكلام: أن يضـــــربوا بالجريد والنعـال، ويطـاف بهم في العشـائر، والقبائـل، ويقـال: هـذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام.

وأصل ضلال: جهم، أنه لقى قومـاً من السـمنية، فجـادلهم بالكلام، والمنطق، فقالوا له: ألست تزعم أن لك إلها ؟ قال: نعم؛ قالوا: فهل رأيته ؟ هل سمعته ؟ أو لمسـته ؟ أو ذقته ؟ قـال: لا؛ فتحـير الخـبيث أربعين يومـاً، لا يـدرى من يعبـد؛ ثم اسـتدرك: حجة من جنس حجج النصـــاري، وقـــال لهم: أنتم تقولــون بوجــود الــروح، هل رأيتموها ؟ أو ســمعتموها ؟ أو لمستموها ؟ أو ذقتموها ؟ قالوا:

(ص335) لا؛ قال: فكذلك، هو روح غائب عن الأبصار.

وهــذا الكلام، الــذي أورده: السـمنية على جهم، باطـــل، مموه؛ وهؤلاء، يقال لهم: السفسطائية؛ وأصل هـذه الكلمـة، ومعناهـــا؛ الحكمة المموهـــة؛ وحق الكلام، أن يقـــال: ما لا يحس، ولا يمكن الإحساس به، لا يكون موجوداً، فموَّهوا: بأن ما لا يحسه هـو، ويدركه بحواسـه، لا يكـون موجـوداً؛ فارتبك الغـبي، ولم يفــرق بين: ما لا يمكن إحساسـه، وما لا يدركه هو، بحاسته؛ فأجاب بجوابه الفاسد، المتقدم 0

ولو هدى للعقل، والنقل، لفرق بين العبارتين، وقال لهم: الله تعالى يمكن الإحساس به، فـيرى يـوم القيامـة، ويسـمع كلامـــه، وقد أدرك موسى كلامه بحاسة ســـمعه، وســـمعته ملائكته، وما شاء من خلقه؛ والإنسـان: يقر ضـرورة، بوجـود أشياء لا يحس بها هـو، مما يعـرف بضـرورة العقـل، كوجـود بعض الأمـــاكن، والأمم، بل وأصــله الــذي تكــون منــه، وهو مادته، لا يحس به هو، ولا ينكره عاقـل، لكنه يمكن أن يحس به غيره 0

فإحساس الإنسان: نـوع؛ وإمكـان الإحسـاس: نـوع آخـر؛ وبسـبب عـدم التفرقـة، ضـل: جهم، وشـيعته؛ وجـره الكلام المموه، إلى الكفر البواح، والإنسلاخ من الدين؛ فكيف يقول

عاقـل، بقـول لم يسـبق إليه ؟ ولا يصح له معـنى، عند أهل العلم والإيمان ويعتمد عبارة منطقية، في مثل هذا
(ص336) الشأن، هذا لو سلم: أن المناطقة، أو ردوها هنا 0 والصـواب: أنها مختلفـة، لا محكيـة؛ مع أن عبـارة صـاحب هذه الرسالة: فاسدة من جهة أخرى، وهو: أنه زعم في أول رسـالته، أن المـراد باسم الإله الحـق؛ وأن آلهة المشـركين سميت بذلك، باعتبـار اعتقـادهم فيهـا، وقد تقـدم هـذا عنـه، ولكن سيق هنا، لبيان تناقضـه؛ فـإن التقييـد: ينـافى المعـنى الكلي؛ فكلامه: تخريف، وظلمات بعضها فوق بعض (ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) [النور: 40] 0

وفى آخر كلامه اضـطرب: وقـال: وضع للمفهـوم الكلي، وإن لم يوجد منه إلا فـرد، كالشـمس؛ وهـذا مع مخالفته ما تقـدم، فهو غلط قـبيح، من وجـوه، منهـا: أنه يلـزم عليه أن المنفي عين المثبت، وأنه مســاو، لاسم الله في معنـــاه، ومدلولـه؛ وهـذا ضـلال مـبين؛ ولا يسـتقيم معه نفى إلهية ما سـوى اللـه، ولا تـدل الكلمة الطيبة على التوحيـد، على زعم هـذا، لأن المنفي هو المثبت، فـأي نفي، وأي توحيد يبقى مع اتحادهما معنى 0

وقد تقدم: إبطـال هـذا، ورده؛ وأن الله سـمى معبـودات المشركين: آلهة، وأبطل عبادتهـا، وإلهيتهـا؛ وقد تقـدم، قوله تعالي: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) [مـريم: 81] وقوله عن صـــاحب يس: (ءأتخذ من دونه آلهة [يس: 23] فسماها آلهة، مع الحكم بأنها لا تغنى
(ص337) عنهم شيئاً، ولا ينقذونهم، وقال منكراً على من عبد سـواه: (واتخـذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصـرون) [يس: 74] وحكى عن خليله: إبراهيم، أنه قال لقومه: (أإفكاً آلهة دون الله تريـدون) [الصـافات: 86] جعلها إفكـاً، مع تسميتها آلهة، فـأي شـبهة تبقى مع هـذا ؟ وكيف يقـول، من يسـمع هـذه الأيـات ويفهمها أن الله سـماها آلهـة، باعتبـار اعتقاد المشركين: أن "إله" وضع للإله الحق، ولا يقال لغيره إله، فنعوذ بالله، من الجهل والعمى 0

وقول المناطقة: إن الشمس وضعت لكل كوكب نهاري، مردود، لأن الله هو الذي وضع الأسماء، وعلمها آدم، وحين التعليم والوضع، لم يكن في الخارج إلا هذا الكوكب المعروف، فدعوى: دخول غيره، لو فرض وجوده، باطل 0

وقال في رسالته: إن الاستثناء، وقع من الإخراج المنوي، يريد به الجواب عن الاعتراض، الذي مر، وهو: أن كلمة التوحيد، على تقريره، لا تفيد النفي والإبطال، لآلهة المشركين، ولكل ما عبد من دون الله، وأن المثبت، عين هذا المنفي، والمستثني، نفس المستثنى منه 0

وحاصل جوابه: أن الإخراج، والإبطال، وقع بالنية، فاستثنى من المنوي؛ وهذا: تصريح منه، بأن لا إله إلا الله، ما نفت، ولا أخرجت، ولا أبطلت شيئاً، إلا بالنية؛ وأنها لم تدل على التوحيد باللفظ، وهذا الجهل العريض

(ص338) الأكبر، لم يسبقه إليه سابق، ولم يقل به من يعرف معنى الكلام، حتى المشركون، يعرفون، ويفهمون من هذه الكلمة إبطال آلهتهم، ونفي استحقاقها للعبادة؛ ولذلك قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) [ص: 5] فعرفوا النفى، أنه من اللفظ، وعرفوا معنى المقصود من الإله، وعرفوا المراد من الاستثناء، وكل هذا عرفوه بمجرد اللغة، وكونهم عربا؛ فجاء هذا الفارسى، الذي لا يعرف لغتهم، ولا يحسن شيئاً منها، فخبط خبط عشواء، وهرول، ولكنه في ظلماء؛ شعراً

ما كل داع بأهل أن يصاح له كم قد أصم بنعي بعض من ناحا

وهذا القول: لم يسبقه إليه عاقل، يفهم مايقول؛ والنحاة مجمعون: على أن الاستثناء من المذكور، لفظه وحكمه، إلا أن السهيلى، قال لم يدخل المستثنى في المستثنى منه، بل الاستثناء أثبت حكما مستقلا مغايرا لما قبله، وقال بعضهم: الاستثناء أخرج من الحكم المذكور، لا من اللفظ، ومذهب الجمهور: أن الاستثناء من اللفظ والحكم معا، الاسم من الاسم، والحكم من الحكم، ومن الممتنع: إخراج الاسم المستثنى منه، مع دخوله تحته في الحكم، فإنه لا يعقل

الإخراج حينئذ البتـة، فإنه لو شـاركه في حكمـه، لـدخل معه في الحكم والاسم جميعا، فكان استثناؤه غير معقول.
ورد أهل هـــذا القـــول: زعم من زعم، أن المســـتثنى مسكوت عن حكمه قبل الاستثناء، نفيا وإثباتا، وأبطلوا ذلك
(ص339) من وجـوه؛ منها أنك إذا قلت، ماقـام إلا زيـد، وماضربت إلا عمرا، ونحو ذلك من الاستثناءات المفرغـة، لم يشك السامع: أن الأحكام المـذكورة، أثبتت لما بعد "إلا" كما سلبت عن غيره؛ ولو قيل إنه مسكوت عنه، لما أفهم إثبــات هذه الأفعال لما بعد "إلا" ومنها: أنه لو كان مسكوتا عنه، لم يدخل الرجل في الإسلام، بقول: لا إله إلا الله، لأنه على هذا التقــدير الباطـــل، لم يثبت الإلهية للـــه؛ فهـــذه أعظم كلمة تضــمنت بالوضــع، نفي الإلهية عما ســوى اللــه، وإثباتها لله بوصف الاختصـاص؛ فـدلالتها على إثبـات الإلهيـة، أعظم من دلالة قولنا: الله إلـه؛ ولا يسـتريب أحد في هـذا البتـة، انتهى ملخصاً.
وهو يبطل كلام الفارسي، ويبين جهله من وجـوه؛ فـالأول: إجماعهم على أن الاسـتثناء باللفـظ، والإخـراج باللفظ خلافا لــه؛ والثـاني: أنهم متفقـون على مغـايرة: إلا، لما قبلها في الحكم، واللفظ؛ ومنها: اتفـاقهم على سـلب الحكم عما قبل "إلا" وإثباته لما بعـــدها، فتأمـــل؛ ثم أتى بطامة أخـــرى، كأخواتها، فقال: إنه لا حاجة إلى تقـدير في الخـبر، بل يقـدر من الأفعـال العامـة، كـالوجود، والإمكـان؛ وهـذا مبـني على أساسه الفاسد، الواهي، وهو قوله: إن "إله" يستعمل ويــراد به: الإله الحق، في الكلمة الطيبة، فكونه حقا، يستفاد عنــده من اسم "لا" وهو: إلـه، فلا حاجة إلى أن يجعل الخــبر حقـا، وكل من تصور المعنى المراد أي تصور، يعرف: أن
(ص340) المنفي كون هـذه الآلهة الـتي عبـدت من دون الله حقـا، ويعـرف فسـاد هـذا القـول؛ وقد مر تقريـره في كلامنا.
والـنزاع: بين الرسل ومن خـالفهم، في حقيقة معبـوداتهم مع الله، لا في وجودها فـإن الوجـود أمر محسـوس لا ينكـر؛

ولكن أهل الكلام: يكذبون بالحسيات، والبديهيات، ويزعمـون أنهم أهل العلم، والعقليــات، ويســمون: نصــوص الكتــاب، والسنة، ظنيات؛ وقواعد المناطقـة، قطعيـات؛ فلا عجب من ضلالهم، في معنى هذه الكلمة؛ وما أحسن ما حكى الله عن رسله من قولهم، لمن كـذب بتوحيـده، وشك فيما جـاءت به رسـله: (أفى الله شك فـاطر السـموات والأرض) [إبـراهيم: 10] لأن هذا من أظهر الظاهرات، وأوضح الواضحات، وأبين البينات.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما قوله: إن المشتق يتحد مع المشتق منه في المعــنى، فهي عبـــارة جاهليـــة، تـــدل على إفلاس قائلها من العلم، لاسيما علم الصرف، واللغة؛ كفى بالجهل قـائلا: الله مشـتق من: إلــه، أو من الآلهــة، وهو لا يوافقــه، ولا يتحد معه في المعنى، وضرب من الضرب، وشرف من الشـرف، هـذا في الاشتقاق الأصغر، والاشتقاق الأكـبر، مثل ذلـك، وأظهـر، كما في خلــق، وخــرق، وأمثالهمــا، فــإن المــدار في ذلك على الاتفاق، في معظم الحروف؛ واشتق عمــرو - وهو دال على الذات - من التعمير، وهو المصدر، واشتق محمد

(ص341) من الحمد، وبينهما تفاوت في اللفظ والمعـنى، ولو قيـــل: إنه يتضـــمنه وزيـــادة، لصح الكلام، واســـتقام؛ وبالجملة: فلا يقول هذا، إلا من لا يعـرف ما يتكلم بـه؛ وقـال بعد ما سبق من الهذيان وحاصل المعنى، سلب مفهـوم الإله لما سـوى اللـه، كأنه أراد عما سـوى اللـه، فقـال: لمـا؛ فلم يفرق بين معنى اللام، وعن؛ ومن بلغت به الجهالة، إلى هذه الغاية، والحالة، سقط معه البحث والمقالة.

وذكر لي: أنه يـزعم، أو بعض تلامذتـه: أن هـذا التخليـط، مأخوذ من كلام شيخ الإسلام، وهـذا من أعجب العجب، كيف ينسب إليه هــذا الجهل والضــلال، مع وفــور عقله وعلمــه، ومتانة دينه وجودة بحثه، وامتيازه في العلــوم. ولكن إن صح هذا، فله فيه سلف، نقل لنا عن: داود بن جرجيس، العراقي،

أنه يزعم: أنه يـرد على شـيخنا بكلام ابن تيميـة، وابن القيم، فلما وقفنا على كلامــه، إذا هو من أجهل خلق اللــه، بكلامه ودينه، وبكلام نبيه، وبكلام أولى العلم من خلقه.

وأبلغ من قـول هـذين، وأعجب، قـول اليهـود: إن إبـراهيم كان يهوديا، وقول النصارى: بل كان نصرانيا، فرد الله عليهم بقوله: (ماكان إبـراهيم يهوديـاً ولا نصـرانياً ولكن كـان حنيفا مسـلما وما كـان من المشـركين) [آل عمـران: 67] وأما قولـه: هـذا ما ظهر لي، فصـدق في هـذه، وهل يظهر الحق والصواب، إلا لمن اعتصم بالسنة، والكتاب؛ وأما من

(ص342) أعـرض عن ذلـك، فقد سد على نفسه البـاب، وكشف حجابه عن فهم المــراد والخطــاب؛ وقــال تعــالى: (فبظلم من الــذين هــادوا حرمنا عليهم طيبــات أحلت لهم) الآية، [النساء: 160].

خاتمـة، تتضـمن: النصـيحة للـه، ولرسـوله، وكتابـه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، لا سيما جهال الطلبة، الـذين لا بصـيرة لهم بــدين اللــه، ولا معرفة لهم بحــدود مــاأنزل الله على رســوله، فــاعلم: أن أمر المســلمين مــازال مســتقيما في القــرن الأول، والقــرن الثــاني، على ماكــان عليه الســلف الصـالح، في أفضل أبـواب العلم، وأشـرفها، وأوجبهـا، وهـو: باب معرفة الله، بصـفات كمالـه، ونعـوت جلالـه؛ وفي: بـاب عبادته وحده لا شريك له.

ثم دخل في أمــور المســلمين، مع ولاة الأمــور، من قصر في بــاب العلم باعـه، وقل في شــرع نبيه نظـره واطلاعـه، قـوم: أعيتهم السـنن أن يحفظوهـا، وأبت عليهم الأحكـام أن يعرفوهــا، فطلبــوا علــوم الأوائــل، من أهل منطق اليونــان، واستحسنوها؛ وتركوا السنة والقرآن، وما فيهما من الأحكام، ولم يعظموهــا؛ منهم: بشر المريســي؛ وابن أبي دؤاد، وكانا قد تمكنا من عبد اللــه: المــأمون، أمــير المؤمــنين الخليفة العباسي، وزينا لديه المنطق، وحسناه، وأنه مـيزان العقـول، والأفكار.

فلهج به المأمون، واشتغل، واعتقد أنه امتاز على من

(ص343) سبقه، في باب معرفة اللـه، وما يجب لـه، وما يستحيل عليـه؛ وما زال به ذلـك، حـتى ألـزم النـاس برأيـه، ورفع شأن من وافقه، وكان على طريقـه؛ وولاهم الولايـات، وعزل من خالفه، وأهانـه، وحبس، وشـرد، وابتلى المؤمنـون به، وجرى على الإسلام أعظم محنة، وأكـبر بليـة؛ وكتب إلى وزيـره ببغـداد: يـذم أهل السـنة، ويعيبهم، ويصـفهم بالجهالة والضـلالة، وأنهم حشــو، وسـفلة، ولا نظر لهم، ولا علم، ولا نور، ولا فهم، يعني بذلك الإمام أحمد، ومن كان على طريقه المثبـتين للصـفات، القـائلين بـأن القـرآن: كلام اللـه، غـير مخلـوق ويقـول في كتابـه: إن الجمهـور الأعظم، والسـواد الأكـبر، من حشو الرعيـة، وسـفلة العامـة، ممن لا نظر لهم، ولا روية، ولا استضاءة بنـور العلم، وبرهانـه، أهل جهالة بالله تعالى، وعمى عنـه، وضـلالة عن حقيقة دينـه؛ وأنهم انتسـبوا إلى السنة والجماعة، وأنهم أهل الحق؛ وأن من سواهم أهل الباطـل، والكفـر؛ وإنما هم أوعية الجهالـة، وأعلام الكـذب، ولسان إبليس الناطق في أوليائـه، والهائل على أعدائـه، من أهل دين اللـه؛ وأطـال الكلام، وأمر وزيـره، بامتحـانهم على موافقته، على مااعتقد، من أن القـرآن مخلـوق؛ وأمـره: أن يحبس، ويفعل، ويفعل، بمن امتنع عن هذا القول.

ولما بلغـه: أن أحمد بن حنبـل، ومحمد بن نـوح، وأحمد بن نصر، امتنعوا من الإجابة إلى رأيه، أمر بحملهم

(ص344) إليه في القيـود، وكـان بطـوس، في بعض غزواته؛ فـدعا اللـه: أحمد بن حنبـل، أن لا يريه إيـاه، فمـات المأمون قبل وصولهم، فردوا إلى بغـداد، ثم امتحنهم، أخـوه المعتصم، وابنه الواثق، وجرى على الإسلام، والقـرآن أعظم محنة، من العناية بمنطق اليونان، حتى ضرب أحمد بن حنبل بالسياط، وقتل أحمد بن نصر، وبعض العلماء شرد، وهاجر.

فتأمل ما جر المنطق على أهله , من البلايا والمحن , وما أوقعهم فيه من التعطيل , والـريب , والفتن؛ فكيف يسـتجيز من له أدنى عقل , أو دين , أن يقـرأ كتب المنطق , وعلـوم اليونان ؟! ويدع الاشتغال بعلوم السنة والقرآن ؟! وهل هـذا

الكتاب إلا زيغ في القلوب؛ ومثل هـذا لا يوفق لطلب العلم , من كتـاب الله , وفهمـه؛ قـال ابن عينيه , في قوله تعـالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكـبرون في الأرض بغـير الحـق) [الأعراف: 146] أى: عن فهم القرآن

فأي ذريعة , وأي وسيلة إلي ترك كتاب الله , وسـنة نبيه , ومعرفته , وتوحيده , أضر , وأقرب من المنطق , والأخذ عن أهله , وخلط دين الله به , فنسأل الله الثبات على دينه ,

(ص345) وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا , وأن يجعلنا من أوليائه وحزبه الـــذين ينصـــرونه ويـــذبون عن دينه وكتابه , وينفـــون عنه تحريف المبطلين , وتأويل الجـــاهلين , وزيغ الزائغين؛ إنه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير؛ وصلى الله على محمد , وآله وصحبه وسلم.

قال الشيخ سليمان بن سحمان , رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الـذي أوضح المحجة للسـالكين , وأقـام الحجة على جميع المكلفين , وأشهد ألا إله إلا الله , وحده لا شريك له , إله الأولين والآخـرين , وقيـوم السـماوات والأرضـين , وأشهد أن محمداً عبده ورسوله , وخليله , الصـادق الأمين , الذي علم الله به من الجهالة , وهدى به من الضـلالة , وفتح به أعينا عميا , وآذانا صما , وقلوبا غلفا , وبلغ الرسـالة وأدى الأمانة , ونصح الأمة؛ وعبد الله حتى أتاه اليقين؛ فصـلى الله , وعلى أله وصـحبة , ومن تبعهم بإحسـان إلي يـوم الـدين , وسلم تسليما كثيرا.

أما بعـد: فـإن الله سـبحانه وتعـالى , قد أكمل لنا الـدين , وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين , فليس لأحد من الناس أن يشرع في دين الله ما لم يأذن به الله , ولا أن يزيد فيه بعد أن أكمله الله , قال تعـالى: (اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمـتي ورضـيت لكم الإسـلام دينـا) [المائدة: 3] وقال صلى الله عليه وسلم:

(ص346) " تركتم على المحجة البيضاء, ليلها كنهارها , لا يزيغ عنها إلا هالك " وقـال صـلى الله عليه وسـلم: " عليكم

بسـنتي , وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين من بعـدي , تمسـكوا بها , وعضـوا عليها بالنواجذ , وإيـاكم ومحـدثات الأمور , فإن كل محدثة بدعة , وكل بدعة ضلالة".

وقال صلى الله عليه وسلم " ما تركت من شـيء يقـربكم من الجنة إلا وقد حدثتكم به , ولا من شيء يبعدكم من النـار إلا وقد حـدثتكم به " وقـال صـلى الله عليه وسـلم: " من أحـدث في أمرنا هـذا ما ليس منه فهو رد " رواه البخـاري , ومسـلم , وفي روايـة: " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ".

وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تـوفي رسـول الله صـلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علما؛ وفي صحيح مسلم: أن بعض المشركين , قالوا لسلمان: لقد علمكم نـبيكم كل شـيء حـتى الخـراءة ؟ قـال: أجـل؛ فـإذا تحققت هذا , وعلمته فالواجب على المسلم: أن يقتدى , ولا يبتدى ,وأن يتبع , ولا يبتدع؛ كما قيل: -

فخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحـدثات البدائع

فقد حـذر صـلى الله عليه وسـلم أصـحابه عن البـدع , ومحدثات الأمور , وأمرهم بالاتباع ,الـذي فيه النجـاة من كل محـذور , ونهـاهم عن الغلو في الـدين , واتبـاع غـير سـبيل المؤمـنين؛ قـال صـلى الله عليه وسـلم " إيـاكم والغلو في الـدين, فإنما أهلك الـذين من قبلكم الغلو في الـدين " إلي ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى؛

(ص347) وقال صلى الله عليه وسـلم " افـترقت اليهـود على إحـدى وسـبعين فرقة , وافـترقت النصـارى على ثنـتين وسـبعين فرقة , وسـتفترق هـذه الأمة على ثلاث وسـبعين فرقة , كلها في النـار إلا واحـدة " قـالوا: من هي يا رسـول الله ؟ قـال: " من كـان على مثل ما أنا عليه اليـوم وأصحابي".

فعلى من نصح نفسه , وأراد نجاتها: أن يعتصم بكتاب الله , وسنة رسوله , وأن يتمسك بما كـان عليه أصـحاب رسـول

الله صلى الله عليه وسلم لأنهم القـدوة , وبهم الأسـوة؛ وما من خير إلا وقد سبقونا إليه؛ قال عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه: من كان منكم مستناً , فليستن بمن قد مات , فإن الحي لا تـؤمن عليه الفتنة , أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم , كـانوا أبر هـذه الأمة قلوبـاً , وأعمقها علمـاً , وأقلها تكلفاً , قوم اختارهم الله لصحبة نبيـه, ولإظهـار دينـه؛ فخـذوا بهـديهم , واعرفـوا لهم فضـلهم , فـإنهم كـانوا على الصراط المستقيم.

وقال الإمام: محمد بن وضـاح , في كتـاب البـدع , والنهي عنها , أخبرنـا: الحكم بن المبـارك , اخبرنا عمر بن يحـيى , قال سمعت أبي يحدث عن أبيه , قـال: كنا نجلس على بـاب عبد الله بن مسعود , قبل صـلاة الغـداة , فـإذا خـرج مشـينا معه إلي المسجد؛ فجاءنا أبو موسى الأشعري , فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا: لا؛ فجلس معنا حتى خرج , فلما خـرج: قمنا إليه جميعـاً , فقـال: يا أبا عبد الـرحمن , إني رأيت في المسجد آنفا أمراً أنكرته , ولم أر

(ص348) والحمد لله إلا خـيراً؛ قـال: فما هو ؟ قـال: إن عشت فستراه.

قـال: رأيت في المسـجد قوما حلقا , جلوسـاً ,ينتظـرون الصـلاة , في كل حلقة رجل , وفي أيـديهم حصى , فيقـول: كـبروا مائـة؛ فيكـبرون مائـة؛ فيقـول: هللـوا مائة , فيهللـون مائة؛ فيقول سبحوا مائة , فيسبحون مائة؛ قـال: فمـاذا قلت لهم ؟ قال: ما قلت لهم شـيئا , أنتظر رأيك , وأنتظر أمـرك؛ قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم , وضمنت لهم أن لا يضيع من حسـناتهم شـيء؛ ثم مضى , ومضـينا معه , حـتى أتى حلقة من تلك الحلق , فوقف عليهم , فقـال: ما هـذا الـذي أراكم تصـنعون ؟ قـالوا يا أبا عبد الـرحمن , حصى , نعد به التكبير , والتهليل؛ والتسبيح و التحميد؛ قال: فعدوا سـيئاتكم , فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء.

ويحكم يا أمة محمد , ما أسـرع هلكتكم ! هـؤلاء أصـحابه متـوافرون , وهـذه ثيابه لم تبل , وآنيته لم تنكسـر؛ والـذي

نفسي بيـده: إنكم لعلى ملة , هي أهـدى من ملة محمد , أو مفتتحوا باب ضلالة؛ قالوا: والله يا أبا عبد الـرحمن , ما أردنا إلا الخـير؛ قـال: وكم من مريد للخـير لم يصـبه؛ إن رسـول صلى الله عليه وسلم حـدثنا " أن قوما يقـرؤون القـرآن , لا يجـاوز تـراقيهم " وأيم اللـه: لا أدري لعل أكـثرهم منكم؛ ثم تــولى عنهم , فقــال عمــرو بن ســلمة: رأينا عامة أولئك , يطاعنونا يوم النهروان , مع الخوراج , انتهى.

فإذا كان هذا حال هؤلاء القوم , وهم إنما يكبرون الله , (ص349) ويحمدونه , ويسبحونه , قد كانوا مفتتحين بـاب ضـلالة , لأنهم عملـوا عملاً لم يكن عليه رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ولا أصـحابه , فأفضى بهم إلي الغلو في الـدين , والمجـاوزة للحد , أن مرقـوا من الإسـلام , فصـار أكثرهم: يطاعنون الصحابة مع الخوراج , يوم النهروان.

فـإذا تـبين هـذا , وما ذكرته قبل ذلك , مما تقـدم بيانـه؛ فاعلم: أنه قد حدث في هذه الأزمان , من بعض الإخوان من الغلو , والمجاوزة للحد في بعض المسـائل الدينية , والأوامر الشرعية , ما يجب على كل مسلم إنكـاره , وبيـان خطأ من أحدثه في الدين , من غير بينة , ولا برهـان , ولا حجة , يجب المصير إليها , من السنة والقـرآن؛ ولا قـال بها أحد من أئمة الإسـلام , الـذين هم معـالم الهـدى , ومصـابيح الـدجا , وهم القدوة , وبهم الأسوة في بيـان مـراتب الـدين , والأحكـام – إلي أن قال: -

وأذكر قبل الشــروع في الكلام على هـــذه المســائل , والجواب عنها , معـنى لا إله إلا الله , وما ذكـره العلمـاء في ذلك , وما ذكــره شــيخنا: الشــيخ عبد الــرحمن بن حسن , مفتي الديار النجدية , رحمه لله تعالى , من شروطها , الـتي لا يصح إســلام أحد من النــاس , إلا إذا اجتمعت له هـــذه الشــروط , وقــال بها , علما , وعملاً , واعتقــاداً؛ وكــذلك نواقض الإسلام العشـرة , الـتي ذكرها شـيخ الإسـلام: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى , لأن هذا هو الأصل , الذي (ص350) تتفرع عليه هذه المسائل , وتبني عليه أحكامها.

فأقول , وبالله التوفيق , وبه العصمة , والثقة:
اعلم رحمك اللــه: أن كلمة الإخلاص، لا إله إلا اللـــه، هي الكلمة التي قـامت بها الأرض والسـماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقـات، وعليها أسست الملــة، ونصــبت القبلــة، ولأجلها جــردت ســيوف الجهــاد، وبها أمر الله جميع العبــاد، فهي فطرة الله الـتي فطر النـاس عليهـا، ومفتـاح عبوديتـه، التي دعا الأمم على ألسن رسـله إليهـا، وهي كلمة الإسـلام، ومفتاح دار السلام، وأسـاس الفـرض والسـنة؛ فـإذا عـرفت هـذا، فـاعلم: أن لا إله إلا اللـه، لا تنفع قائلهـا، إلا بعد معرفة معناهـــا، والعمل بمقتضـــاها، وأنها لا تنفعه إلا بعد الصـــدق، والإخلاص، واليقين؛ لأن كثـــيراً ممن يقولهـــا، في الـــدرك الأسفل من النار.
فلابد في شــهادة: ألا إله إلا اللـــه، من اعتقـــاد بالجنـــان، ونطق باللســان، وعمل بالأركــان؛ فـإن اختل نــوع من هــذه الأنــواع، لم يكن الرجل مســلماً؛ فـإذا كـان الرجل مســلماً، وعــاملاً بالأركـان، ثم حــدث منه قــول، أو فعــل، أو اعتقــاد، ينــاقض ذلــك، لم ينفعه قــول: لا إله إلا اللــه؛ وأدلة ذلك في الكتاب والسنة، وكلام أئمة الإسلام، أكثر من أن تحصر.
وقد أخرج البخاري في صحيحه، بسنده عن قتادة، قال (ص351) حدثنا: أنس بن مالك، أن النبي صـلى الله عليه وسلم ومعاذ، رضي الله عنه، رديفه على الرحل – قــال: " يا معاذ " قال: لبيك يا رسول الله، وسعديك، قـال: " يا معـاذ " قال لبيك يا رسـول الله وسـعديك، ثلاثـاً، قـال: " ما من أحد يشـهد ألا إله إلا اللـه، وأن محمـداً رسـول اللـه، صـدقاً من قلبه، إلا حرم الله تعـالى عليه النـار " قـال: يا رسـول اللـه، أفلا أخبر الناس فيستبشروا ؟ قال: " إذا يتكلـوا " فـأخبر بها معاذ عند موته تأثماً.
قال شيخ الإسـلام، وغـيره، في هـذا الحـديث، ونحـوه: أنه فيمن قالها، ومات عليها، كما جاءت مقيدة، لقوله: " خالصــاً من قلبه " غير شاك فيها، بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد: انجذاب الروح إلى الله تعالى جملة؛ فمن شـهد: أن لا إله إلا

الله، خالصاً من قلبه، دخل الجنة؛ لأن الإخلاص، هو انجــذابٍ القلب إلى الله تعالى، بـأن يتـوب من الـذنوب توبة نصـوحاً، فإذا مات على تلك الحالة نال ذلك.

فإنه قد تواترت الأحاديث: بأنه يخرج من النار، من قــال لا إله إلا اللــه، وكـان في قلبه من الخـير ما يـزن شـعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت: بأن كثيراً ممن يقــول لا إله إلا الله، يدخل النـار، ثم يخـرج منهـا؛ وتـواترت: بـأن الله حــرم على النــار، أن تأكل أثر السـجود من ابن آدم؛ فهــؤلاء كانوا يصلون، ويسجدون لله؛ وتواترت: بأنه يحرم على النــار من قال، لا إله إلا الله، وشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً

(ص352) رسول الله، لكن جاءت مقيـدة بـالقيود الثقـالٍ وأكثر من يقولها، لا يعرف الإخلاص؛ وأكثر من يقولها، تقليداً وعـادة، ولم يخالط الإيمـان بشاشة قلبـه؛ وغـالب من يفتن عند المـوت، وفي القبـور، أمثـال هـؤلاء، كما في الحـديث " سمعت الناس يقولون شـيئاً فقلته " وغـالب أعمـال هـؤلاء، إنما هو تقليد واقتـداء بأمثـالهم، وهم من أقـرب النـاس، من قوله تعـــالى: (إنا وجـــدنا آباءنا على أمة وإنا على آثـــارهم مقتدون) [الزخرف: 23] 0

وحينئـذ: فلا منافـاة بين الأحـاديث، فإنه إذا قالها بـإخلاص، ويقين تـام، لم يكن في هـذا الحـال مصـراً على ذنب أصـلاً؛ فإن كمال إخلاصه ويقينه، يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شــيء، فــإذاً لا يبقى في قلبه إرادة لما حــرم اللــه، ولا كراهة لما أمر الله وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت ذنـوب قبل ذلـك، فـإن هـذا الإيمـان، وهـذا الإخلاص، وهـذه التوبة، وهذه المحبة، وهـذا اليقين: لا تـترك له ذنبـاً إلا محي عنه، كما يمحوا الليل النهار.

فـإذا قالها على وجه الكمـال، المـانع من الشـرك الأكـبر، والأصغر، فهذا غير مصر على ذنب أصـلاً، فيغفر لـه، ويحـرم على النار، وإن قالها على وجه، خلص به من الشرك الأكــبر، دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهـذه الحسـنة

لا يقاومها شيء من السيئات، فـيرجح بها مـيزان الحسـنات، كما في حديث البطاقة، فيحرم على النار، ولكن تنقص

(ص353) درجته في الجنة، بقـدر ذنوبه وهـذا بخلاف من رجحت سـيئاته بحسـناته، ومـات مصـراً على ذلـك، فإنه يسـتوجب النـار، وإن قـال لا إله إلا اللـه، وخلص بها من الشـرك الأكـبر، لكنه لم يمت على ذلـك، بل أتى بعـدها بسـيئات، رجحت على حسـنة توحيـده؛ فإنه في حـال قولها كان مخلصـاً، لكنه أتى بـذنوب أوهنت لك التوحيد والإخلاص، فأضـعفته، وقـويت نـار الـذنوب حـتى أحـرقت ذلـك، بخلاف المخلص المسـتيقن، فـإن حسـناته لا تكـون إلا راجحة على سيئاته، ولا يكون مصـراً على سـيئات، فـإن مـات على ذلك دخل الجنة.

وإنما يخـاف على المخلص: أن يـأتى بسـيئة راجحـة، فيضـعف إيمانـه، فلا يقولها بـإخلاص ويقين مـانع من جميع السـيئات، ويخشى عليه من الشـرك الأكـبر والأصـغر، فـإن سـلم من الأكـبر، بقى معه من الأصـغر، فيضـيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك، فيرجح جـانب السـيئات؛ فـإن السـيئات: تضـعف الإيمـان واليقين، فيضـعف قـول لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص بالقلب، فيصير المتكلم بها كالهاذى، أو النـائم، أو من يحسن صـوته بآية من القـرآن، من غـير ذوق طعم وحلاوة.

فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعـدها بسـيئات تنقص ذلـك، بل يقولونها من غـير يقين وصـدق، ويموتون على ذلك، ولهم سيئات كثيرة، تمنعهم من دخول

(ص354) الجنة، فـإذا كـثرت الـذنوب، ثقل على اللسـان قولهـا، وقسا القلب عن قولهـا، وكـره العمل الصـالح، وثقل عليه سـماع القـرآن، واستبشر بـذكر غـيره، واطمـأن إلى الباطـل، واسـتحلى الـرفث، ومخالطة أهل الباطل وكـره مخالطة أهل الحق.

فمثل هذا: إذا قالها، قال بلسـانه ما ليس في قلبـه، وبفيه ما لا يصدقه عمله، قال الحسـن: ليس الإيمـان بـالتحلى، ولا

بالتمنى، ولكن ما وقر في القلـوب، وصـدقته الأعمـال؛ فمن قال خيراً قبل منه، ومن قال خيراً وعمل شراً لم يقبل منه؛ وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى: ما سـبقهم أبو بكر بكـثرة صيام، ولا صلاة، ولكن بشئ وقر في قلبه.

فمن قال لا إله إلا اللـه، ولم يقم بموجبهـا، بل اكتسب مع ذلك ذنوباً، وكان صادقاً في قولها، موقناً بهـا، لكن له ذنـوب أضـعفت صـدقه ويقينـه، وانضـاف إلى ذلك الشـرك الأصـغر العملي، فرجحت هذه السـيئات، على هـذه الحسـنة، ومـات مصراً على الذنوب، بخلاف من يقولها، بيقين، وصدق ثـابت، فإنه لا يموت مصراً على الذنوب؛ إما: إلا يكـون مصـراً على سيئة أصلاً؛ أو يكون توحيده، المتضمن لصـدقه ويقينـه، رجح حسناته.

والـــذي يـــدخل النـــار، ممن يقولهـــا؛ إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام، المنـافيين للسـيئات، أو لرجحانهـا، أو قالوها، واكتسبوا بعد ذلك سيئات، رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولها بعد ذلك،

(ص355) بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضـعفت ذلك الصدق، واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء: لا يقـوى على محو السـيآت، فـترجح سـيآتهم على حسـناتهم، انتهى ملخصاً.

وقال الوزير، أبو المظفر، في الإفصاح: قوله " شـهادة أن لا إله إلا الله " يقتضـى: أن يكـون الشـاهد عالمـاً بلا إله إلا الله، كما قال تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) [محمـد: 19] قـال: واسم (اللـه) مرتفع بعد (إلا) من حيث أنه الـواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه، قـال: وجملة الفائـدة في ذلـــك، أن تعلم أن هـــذه الكلمـــة: مشـــتملة على الكفر بالطـاغوت، والإيمـان باللـه، فإنك لما نفيت الإلهيـة، وأثبت الإيجاب لله سبحانه، كنت ممن كفر بالطاغوت، وآمن بالله.

وقال في: البدائع، رداً لقول من قال: إن المستثنى مخرج من المنفي، قال بل هو مخرج من النفي وحكمـه، فلا يكـون داخلاً في المنفي، إذ لو كـان كـذلك، لم يـدخل الرجل في

الإســـلام، بقولـــه: " لا إله إلا الله " لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى، وهـذه أعظم كلمـة: تضـمنت لنفي الإلهية عما سـوى الله تعالى، وإثباتها له بوصف الاختصاص؛ فدلالتها على إثبات الإلهية: أعظم من دلالة، قولنا: الله إله؛ ولا يستريب أحد في هذا البتة، انتهى بمعناه.

وقال: أبو عبد الله القرطبى، في تفسير، " لا إله إلا

(ص356) الله " أى: لا معبود إلا هـو، وقـال الزمخشـرى: الإله: من أسماء الأجناس، كالرجـل، والفـرس، يقع على كل معبود بحق، أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق.

قال شيخ الإسلام: الإله، هو المعبود المطاع؛ فإن الإله، هو المألوه؛ والمألوه، هو الذي يستحق أن يعبـد؛ وكونه يسـتحق أن يعبـد، هو بما اتصف به من الصـفات، الـتى تسـتلزم أن يكون هو المحبـوب غاية الحب، المخضـوع له غاية الخضـوع؛ قال: فإن الإله، هو المحبـوب، المعبـود، الـذي تألهه القلـوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه وترجـوه، وتـنيب إليه في شدائدها، وتـدعوه في مهماتهـا؛ وتتوكل عليه في مصـالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبـه، وليس ذلك إلا لله وحده.

ولهـذا: كـانت " لا إله إلا الله " أصـدق الكلام، وكـان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمتـه، فـإذا صـحت صح بها كل مسـألة وحـال، وذوق، فـإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله.

وقـال ابن القيم: الإله الـذي تألهه القلـوب محبة وإجلالاً، وإنابة وإكراماً وتعظيماً، وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاء، وتوكلاً.

وقـال ابن رجب: الإله هو الـذي يطـاع فلا يعصـى، هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء، وتوكلا عليه وسؤالاً منه،

(ص357) ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عـزَّ وجـلَّ؛ فمن أشرك مخلوقاً في شئ من هـذه الأمـور الـتى هى من خصائص الإلهية كـان ذلك قـدحاً في إخلاصه في قـول لا إله إلا اللـه، وكـان فيه من عبودية المخلـوق بحسب ما فيه من ذلك.

وقال البقاعي: لا إله إلا اللـه، أي انتفى انتفـاء عظيمـاً أن يكـون معبـوداً بحق غـير الملك الأعظم، فـإن هـذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمـاً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كـان مع الإذعـان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف.

وقال الطيبي: الإله فعال بمعنى مفعـول، كالكتـاب بمعـنى المكتوب، من أله إلهة، أى: عبد عبادة؛ قـال: الشـارح، وهـذا كثير في كلام العلماء، وإجمـاع منهم؛ فـدلت: " لا إله إلا الله " على نفى الإلهيـة، عن كل ما سـوى الله تعـالى، كائنا من كان، وإثبـات الإلهية لله وحـده، دون كل ما سـواه؛ وهـذا هو التوحيد، الذي دعت إليه الرسل، ودل عليه القـرآن، من أوله إلى آخـــره، كما قـــال تعـــالى عن الجن: (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً، يهـدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) [الجن: 1، 2].

فلا إله إلا الله، لا تنفع إلا من عرف مـدلولها، نفيـاً وإثباتـاً، واعتقد ذلك، وقبله، وعمل به؛ وأما من قالها، من

(ص358) غـير علم، واعتقـاد، وعمل فقد تقـدم في كلام العلماء: أن هذا جهل صرف، فهى حجة عليه بلا ريب، فقوله في الحديث: " وحـده لا شـريك له " أكيـد، وبيـان لمضـمون معناهـــا؛ وقد أوضح عن ذلك وبينـــه، في قصص الأنبيـــاء والمرسلين، في كتابه المبين.

فما أجهل عباد القبور بحالهم، وما أعظم ما وقعوا فيه من الشـــرك، المنـــافى لكلمة الإخلاص: لا إله إلا اللـــه؛ فـــإن مشـركى، العـرب، ونحـوهم، جحـدوا: لا إله إلا اللـه، لفظـاً، ومعـنى، وهـؤلاء المشـركون، أقـروا بهـا، لفظـاً، وجحـدوها معـنى، كـالحب، والتعظيم، والخـوف، والرجـاء، والتوكـل، والدعاء، وغير ذلك، من أنواع لعبادة.

بل زاد شركهم، على شرك العرب، بمراتب؛ فـإن أحـدهم إذا وقع في شدة، أخلص الدعاء لغير الله تعـالى، ويعتقـدون أنه أسرع فرجا لهم من الله، بخلاف حال المشركين الأولين، فـــإنهم يشـــركون في الرخـــاء، وأما في الشـــدائد، فـــإنهم

يخلصون لله وحده، كما قـال تعـالى: (فـإذا ركبـوا في الفلك دعـوا الله مخلصـين له الـدين فلما نجـاهم إلى الـبر إذا هم يشركون) الآية [العنكبوت: 65].

فبهـذا: تـبين أن مشـركى هـذه الأزمـان، أجهل باللـه، وبتوحيـده، من مشـركى العـرب، ومن قبلهم؛ انتهى من فتح المجيد، فهذا بعض ما ذكره بعض العلماء، في معنى: لا

(ص359) إله إلا اللـه، وفيه كفايـة: (لمن كـان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)، [ق: 37]

فصـل: وأما شـروطها، الـتى ذكر شـيخنا: الشـيخ عبد الرحمن ابن حسـن؛ أنه لابد منها في شـهادة ألا إله إلا اللـه؛ فقال رحمه الله: لابد في شـهادة ألا إله إلا اللـه، من: سـبعة شروط، لا تنفع قائلها، إلا باجتماعها.

الأول: العلم، المنافى للجهل؛ فمن لم يعرف المعنى، فهو جاهل بمـدلولها؛ الثـانى: اليقين، المنـافى للشـك؛ لأن من النـاس من يقولهـا، وهو شـاك فيما دلت عليه من معناهـا؛ الثـالث: الإخلاص، المنـافي للشـرك، فـإن لم يخلص أعماله كلها لله، فهو مشرك شركاً ينافى الإخلاص؛ الرابع: الصـدق، المنافى للنفاق؛ لأن المنافقين يقولونها، ولكنه لم يطـابق ما قـالوه، لما يعتقدونـه، فصـار قـولهم كـذباً، لمخالفة الظـاهر للباطن.

الخـامس: القبـول، المنـافى للـرد، لأن من النـاس من يقولها، مع معرفته معناها، لكن لا يقبل ممن دعـاه إليـه، إما كبراً، أو حسداً، أو غير ذلك من الأسـباب المانعة من القـول؛ فتجـده يعـادى أهل الإخلاص، ويـوالي أهل الشـرك، ويحبهم؛ السـادس: الانقيـاد، المنـافى للشـرك؛ لأن من النـاس من يقولها، وهو يعرف معناها، لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها،

(ص360) ولوازمها من الـولاء، والـبراء، والعمل بشـرائع الإسلام، ولا يلائمه إلا ما وافق هواه، أو تحصيل دنيـاه؛ وهـذه حال كثير من الناس؛ السابع: المحبة، المنافية لضدها؛ انتهى ما ذكره الشيخ.

فإذا تبين لك هذا، وعرفته، وتحققت: أن لا إله إلا الله، هى كلمة الإخلاص؛ وهى الفارقة بين الكفر والإسلام، وهى كلمة التقوى؛ وهى العروة الوثقى؛ فـاعلم: أن هـذه الكلمـة، نفى، وإثبات؛ نفى الإلهية عما سـوى الله من المخلوقـات، وإثباتها لله وحـده لا شـريك لـه؛ وأنها لا تنفع قائلها إلا باجتمـاع هـذه الشـروط، الـتى تقـدم ذكرهـا؛ فمن عـرف معناهـا، وعمل بمقتضاها، وتحقق بها علمـاً وعملاً، واعتقـاداً، فقد استمسك بالإسلام، الـذي قـال الله فيـه: (إن الـدين عند الله الإسـلام) [آل عمـران: 19] وقـال: (ومن يبتغ غـير الإسـلام دينـاً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) [آل عمران: 85].

فـإذا علمت هـذا، فقد ذكر أهل العلم: نـواقض الإسـلام؛ وذكر بعضـهم: أنها قـريب من أربعمائة نـاقض؛ ولكن: الـذي أجمع عليه العلماء، هو ما ذكره شـيخ الإسـلام، وعلم الهـداة الأعلام، الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، من نواقض الإسـلام، وأنها عشرة.

(ص361) فقـال رحمه اللـه، اعلم أن نـواقض الإسـلام، عشرة نواقض؛ الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعـالى: (إن الله لا يغفر أن يشـرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء: 48] (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومـأواه النـار وما للظـالمين من أنصـار) [المائدة: 72] ومنـه: الـذبح لغـير اللـه، كمن يـذبح للجن، أو للقـبر؛ الثـانى: من جعل بينه وبين الله وسـائط، يـدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كفر إجماعـا؛ الثـالث: من لم يكفر المشـركين، أو شك في كفـرهم، أو صـحح مـذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدى النـبي ﷺ أكمل من هديـه، أو أن حكم غـيره أحسن من حكمـه، كالـذين يفضـلون حكم الطواغيت، على حكمه، فهو كافر؛ الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء الرسول ﷺ، ولو عمل به كفر؛ السادس: من اسـتهزأ بشئ من دين الله، أو ثوابـه، أو عقابـه، كفـر؛ والـدليل قوله

تعالى: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون، لا تعتـذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) [التوبة: 65، 66].
السابع: السحر، ومنه: الصـرف، والعطـف؛ فمن فعلـه، أو رضى بـه، كفـر، والـدليل قوله تعـالى: (وما يعلمـان من أحد حتى يقـولا إنما نحن فتنة فلا تكفـر) [البقـرة: 102] الثـامن: مظـاهرة المشـركين، ومعـاونتهم على المسـلمين، والـدليل قوله تعالى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا
(ص362) يهدى القوم الظالمين) [المائـدة: 51] التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر: الخـروج عن شـريعة موسى عليه السـلام، فهو كافر.
العاشر: الإعـراض عن دين اللـه، لا يتعلمـه، ولا يعمل بـه؛ والــدليل قوله تعــالى: (ومن أظلم ممن ذكر بآيــات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمـون) [السـجدة: 22] ولا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجـاد، والخـائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكـثر ما يكـون وقوعاً، فينبغى للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه، انتهى
وسئل الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: عن الفــرق، بين التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الإرادى الطلبي؟.
فأجاب: الفرق بينهما، الأول: هو توحيد الأسماء والصفات؛ والثانى: هو توحيد الإلهيـة؛ ثم وجـدت لابن القيم رحمه اللـه، ما لفظه: وأما التوحيد، الـذي دعت إليه الرسـل، وأنـزلت به الكتب، فهو: نوعان؛ توحيـد: في المعرفـة، والإثبـات؛ وتوحيد في الطلب والقصد.
فــالأول هو إثبــات حقيقة ذات الــرب تعــالى، وأســمائه وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه وتكلمــه، وتكليمه، لمن شاء من عباده، وإثبـات عمـوم قضـائه وقـدره وحكمه؛ وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حد الإفصاح، كما
(ص363) في أول سـورة: الحديـد، وسـورة: طـه، وآخـر: الحشــر، وأول: تنزيل السـجدة، وأول آل عمــران، وســورة:

الإخلاص، بكمالها، وغير ذلك النوع الثانى: ما تضمنته سـورة: (قل يا أيها الكافرون) و (قل يا أهل الكتاب تعـالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية [آل عمران: 64] وأول سورة: تنزيل الكتـاب، وآخرهـا، وأول سـورة: يـونس، ووسـطها، وآخرها وأول سـورة: الأعـراف، وآخرهـا، وجملة سـورة: الأنعـام، وغـالب سـور القـرآن؛ بل كل سـورة في القـرآن، فهى: متضمنة لنوعى التوحيد.

بل نقول قولاً كليـاً: إن كل آية في القـرآن، فهى متضـمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خـبر عن الله وأسمائه وصفاته، وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري؛ وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونـه، فهو التوحيد الإرادي الطلـــــــبي، إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم